

دكتور محمد صالح محمد السيد
بكلية الآداب - جامعة المنيا

أصالة علم الكلام

١٩٨٧

دار الثقافة والنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المهراني - الغزالة
القاهرة ت/ ٩٠٤٦٩٦



دكتور محمد صالح محمد السيد
كلية الآداب - جامعة المنيا

أصالة علم الكلام

١٩٨٧

دار الثقافة والنشر والتوزيع
٢ شارع سيف الدين المرناني - العبالة
القاهرة ت / ٩٠٤٦٩٦٠

مقدمة

نشأت الفلسفة الإسلامية وتطورت في كنف الإسلام وحضارته وارتبطت به أشد الارتباط ، وعالجت مشكلاته الفكرية معالجة عولت فيها على العقل واستدلالاته تارة ، وعلى الذوق والوجدان تارة أخرى ، قدمت بذلك زادا عقليا وقوتا روحيا للمسلم في كل زمان ومكان •

ويمثل علم الكلام جانبا هاما من الفلسفة الإسلامية ، ذلك لأنه العلم المتكفل بالدفاع عن العقائد الإيمانية وإثباتها بالدليل العقلي في مواجهة المتشككين والمخالفين •

ولقد انطلق المتكلمون من نقاش ذاتي حول القرآن الكريم بما أثارته من أدلة في مواجهة الديانات والملل والأهواء والتحلل السابقة ، فكانت هذه الأدلة نماذج حذوا حذوها ، وصارت أساسا من أسس الجدل مع هذه الديانات •

وكان من أسس هذا الجدل مع الديانات المخالفة ، دراستها دراسة متأنية ، تمكنهم من فهم دقائق عقائدها ، وتعينهم على تنفيذ مزاعم أصحابها وقد أنتج المتكلمون — بهذه الدراسات — ما يمكن أن يصح في هذا الوقت المبكر — أساسا لعلم مقارنة الأديان متخذين من الإسلام أساسا للمقارنة (١) •

(١) من أبرز ما أنتجه المتكلمون في هذا الصدد ، ما كتبه الجاحظ في « الرد على النصارى » ، والقاضى عبد الجبار في كتابه « المغنى في أبواب التوحيد والعدل » ، الجزء الخامس ، « الفرق الإسلامية » والباقلاني في كتابه « التهديد في الرد على الملحدة والمعطلة » والشهرستاني في « الملل والنحل » وابن حزم في كتابه « الفصل في الملل والأهواء والنحل » ، والبيروني في كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » ، ابن القيم في « هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى » ، وغيرهم •

وهم في دراستهم لهذه الاديان والملة ، عرضوها عرضا موضوعيا تمهيدا للرد عليها ، فخاصوا في موضوعات جديدة وافدة على الفكر الاسلامي ، قد لا يكون لها صلة مباشرة بذلك الفكر ، فانتسج نطاق موضوعه وتطور وتعمق .

من هنا فقد أثرت شبهات كثيرة تقدر في أصالة علم الكلام سواء من ناحية موضوعه أو منهجه .

غير أن الباحث المنصف سرعان ما يتبين له أن ماخاص فيه المتكلمون من موضوعات تدخل في لطيف الكلام ، ودقيقه وجليلة إنما هي موضوعات فرضت عليهم فرضا من قبل خصومهم ، فلم يكن هنالك بد من مواجهتها لأن لها صلة وثيقة بعقائد الخصوم ، فضلا عن أن لكثير منها أصول نقليية في الكتاب والسنة ، بدأ المتكلمون منها كأسس لمناقشة هذه الموضوعات .

فخاص المتكلمون في جدالهم مع اليهود في أبحاث دارت حول الدفاع عن نبوة محمد ﷺ ، وعن شرعية النسخ في الأحكام وغاياته وبحث في التشبيه والتجسيم .

كما خاصوا في نقاشهم للمسيحيين في موضوعات دارت حول الكلمة وخلق القرآن ، والذات الالهية وصفاتها ، والحرية والمسؤولية .

وأنتجت لنا مواجهتهم للديانات الفارسية تفسيرات دارت حول الخير والشر ، وما يتعلق بهما من بحوث ميتافيزيقية وأخلاقية واجتماعية ، فخاصوا في بحوث حول العدل الالهي ، والصالح والاصلاح واللفظ ، والعوض ، والتكليف ، ، ، ، ، وأدت مقاومتهم للخصم الى أن يخوضوا في مسائل تتعلق بجوانب عميقة من نظرية المعرفة .

كما أنتجت لنا مواجهتهم للديانات الهندية نقاشا ممتازا دار حول دلائل النبوة ، وانكار النسخ ، والتطرق الى بحوث عميقة في نظرية المعرفة مواجهين بذلك كله عقائد الصابئة من جانب والبراهمة والسنيية من جانب آخر .

وهكذا خلف لنا المتكلمون من خلال مواجهتهم للديانات المخالفة تراثاً لم يتعلق فقط بالعقائد ، بل امتد ليشمل جوانب أخرى ميتافيزيقية وطبيعية وأخلاقية .

ومن شأن هذا الصراع الجدلي أن يحدث نوعاً من التسرب لأفكار الخصوم واستخدماً لأسلحتهم وأدواتهم ، من هنا تسرب إلى بعض طوائف المتكلمين شيء من أفكار ومعتقدات هذه الديانات ولقد وقف جمهور المتكلمين من أصحاب المدارس الكلامية الكبرى موقف البصير الشديد من هذا التسرب ، وقاوموه مقاومة عنيفة لا هوادة فيها .

ومما له دلالة قوية ، على أنهم خاضوا في هذه الموضوعات لحاجة دفاعية أننا نجد معظم المتكلمين يبرأ إلى الله من كل ما يخالف القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، فهذا هو النظام من المعتزلة يتضرع إلى الله عند احتضاره قائلًا : « اللهم ان كنت تعلم أنني لم أقصر في نصرة توحيدك ، ولم أعتقد مذاهباً من المذاهب اللطيفة إلا لأشد به التوحيد ، فما كان منها يخالف التوحيد ، فانا منه بريء » اللهم ان كنت تعلم أنني كما وصفت فاغفر لي ذنوبي ، وسهل علي سكرة الموت » (٢) . وهذا أيضاً أبو الهذيل العلاف الذي خاض في دقيق الكلام وجليله يعان براءته وانحلاله عن كل ما يخالف منهاج الاسلام ويعتذر بأن خوضه إنما كان لنصرة الاسلام (٣) ، وهذا ما نجده عند الأشعري (٤) ، والجويني (٥) ، والغزالي (٦) .

(٢) أبو الحسين الخياط : الانتصار والرد على ابن الرواندي ص ٤١

(٣) نفس المصدر : ص ٢١٦

(٤) الأشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، ج ١ ، ص ٣٤٧

(٥) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد

الطلو ، ومحمد الطناحي ، مطبعة الطبى ، ١٩٦٢ م ج ٣ ص ٢٦٣

(٦) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد ، ص ١٥ .

كافح علماء الكلام هذه العقائد المخالفة للإسلام ، وما ارتبط بها من زندقة والحاد ، وهم في سبيل ذلك استعانوا بكل مصدر ممكن فلسفيا وغير فلسفي ، طالما كان مشروعا استخدامه ، للوصول الى هذه الغاية الدينية ، فلا يقدح في اصلتهم تسرب بعض مصطلحات الفلسفة اليهم ، ذلك لانهم وهم في مجال الدفاع عن الدين استعانوا ببعض الجوانب الفلسفية كوسيلة للوصول الى غايتهم ، و الفرق كبير بين الوسيلة والغاية : — بل وكما سوف نتبين — لقد وقفوا من الفلسفة موقف العداء في المواضع التي تخالف العقيدة ، فاذا كان المتكلمون قد خاضوا في جوانب فلسفية : ميتافيزيقية أو طبيعية أو اخلاقية ... فهم أبدا لم يقصدوا أن يكونوا فلاسفة • وانما دعمت هذه الجوانب مهمتهم الدفاعية ، لأن معظم خصومهم من أصحاب الديانات المخالفة ، كانوا على علم مسبق بالفلسفة واستخدموها ضدهم في صياغة هجومهم على الاسلام ونقدته ، فلم يكن من سبيل امام المتكلمين الا أن يستخدموا سلاح خصومهم ، لا محبة في الفلسفة لذاتها وانما لكونها وسيلة فقط ، وفي المواضع التي تؤيد ادلتهم الدينية •

وفي اعتقادنا أنه لا يقدح مطلقا في اصاله علم الكلام أن يختلط بموضوعه بعض جوانب فلسفية ، ذلك لانهم قد قد استخدموا هذه الجوانب والمصطلحات بعد أن خلصوها مما يتعلق بها من أمور قد تخالف العقيدة •

لكل ما تقدم ، ادرك مؤرخو العلم ، ومصنفوه في الاسلام ، مكانة علم الكلام ، فوضعوه في دائرة العلوم الشرعية النقلية ، وأنزلوه منزلة عالية من علوم عصرهم •

واذا كانت الأصلة تعني أن يكون الشيء ذا أصل يهني عليه ويستند اليه وجوده ^(٧) ، فانني أرى أن ذلك الأصل والاساس هو

(٧) الزمخشري : اسباس البلاغة ، دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٥ هـ

النص المنزل قرآنا أو سنة وما صدر من نقاش ذاتي حول هذه النصوص الدينية ، ذلك النقاش الذي اندفع اليه المسلمون بفعل تطوّر حياتهم ، وتلبيه لمشكلات مجتمعتهم ، فصدر علم الكلام مليا لحاجات المجتمع الاسلامي . في صدر الاسلام ، في المشاركة بالرأى على أساس من هدى القرآن الكريم والسنة الصحيحة فيما تعرضوا له من مشكلات ، فقد كان ضرورة ملحة استدعتها ظروف مجتمع المصدر الأول .

ومع اختناكه مع الأديان والتيارات الأجنبية ، يظل علم الكلام في جوهره معبرا عن فلسفة الاسلام الحقيقية .
حاول هذا البحث ان يقدم الأدلة على أصالة ذلك للعظم ، من ناحية موضوعية وتطوره^(٨) ، والتمس هذا البحث الأدلة في فصول ثلاثة هي :

الفصل الأول : بعنوان (مدخل عام لبيان أصالة علم الكلام) : جاء هذا الفصل بمثابة مدخل عام ، يلتبس بيان هذه الأصالة الاسلامية لعلم الكلام من جوانب ثلاثة : الأول : تعريفات علم الكلام وتسمياته . والثاني : الموقف من علم الكلام ، فأبان عن أدلة المعارضين لعلم الكلام ، مناقشا اياها ، ومبيننا أدلة المؤيدين لعلم الكلام ، وكيف كان للفقهاء -

ص ١٨ وابن منظور : لسان العرب ، طبعة مصورة من مطبعة بولاق ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ج ١٣ ، مادة اصل ، ص ١٦ ، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للراعي ، تأليف ، الفيومي ، المكتبة العلمية ، بيروت مادة اصل ، والزبيدي : ناچ العروس من جواهر القاموس ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ ، ج ٧ ، مادة اصل ص ٢٠٨ ، وانظر : مختار الصحاح ، لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، القاهرة ، الطبعة التاسعة ، ١٩٦٢ م ، مادة اصل ، ص ١٨ ، والمعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٢ ، ج ١ ، ص ٢٠٠ مادة اصل .

(٨) ركز هذا البحث عن بيان أصالة علم الكلام من ناحية الموضوع والغاية ، وسوف يفرد صاحبه بحثا آخر عن شأن اللغة - لبيان الأصالة في المنهج الذي انتهجه هذا العلم في معالجة موضوعاته .

المهاجمين لعلم الكلام — آراء كلامية ، والثالث : بيان كيف أن علم الكلام علما شرعيا ، وبيان منزلته من العلوم الشرعية .

أما الفصل الثانى فهو بعنوان (المصادر الاسلامية لعلم الكلام) ابنت فى هذا الفصل موضوعات علم الكلام الرئيسية ، وكيفية القماس أصوله من القرآن الكريم والسنة الصحيحة لهذه الموضوعات ، فضلا عن أن علم الكلام جاء فى مجموعه ملبيا لحاجات عصر نشأته فحاول المتكلمون أن يخوضوا فى مشكلات مجتمعتهم آنذاك ، وأن يلتمسوا لها طولا ، مما أدى الى اجتهاد فى مجال الأصول الاسلامية فنشأ علم الكلام .

أما الفصل الثالث : فهو بعنوان (المصادر الأجنبية وأثرها فى تطور علم الكلام) نتبعنا فى هذا الفصل مجموعة المصادر الأجنبية والتقى كان لها أثر فى تطور موضوع علم الكلام ، وتعميق مباحثه وصقل مناهجه ، وتتمثل هذه المصادر الأجنبية فى أثر الاديان السماوية من اليهودية والمسيحية ، ومجموعة الملل والاهواء والنحل المخالفة للإسلام ، والتي قابلها الاسلام فى البلاد التى غزاها واشتبك معها ، مما دفع بالمتكلمين الى دراستهما ومناقشتها ، وكانت نقاط الخلاف بين الاسلام وبينها من أهم مشكلات علم الكلام ، ولقد استعانت هذه المصادر الأجنبية بالفلسفة اليونانية ، وهذا ما أدى بالمتكلمين الى دراستها ، واستخدامها فى الرد على اصحاب هذه الديانات فليس اقوى من سلاح الخصم للقضاء على اسلوبه ، طالما كان هذا السلاح مشروعا .

وهذا لا يقدح فى اصالة علم الكلام الاسلامية ، فان اختوائه على بعض اساليب الخصم ، او اشتماله على بعض مباحث الفلسفة وطرائفها لأن ذلك كله كان لغاية دينية وهى الدفاع عن الاسلام وتوكيد اصوله ، كما لا يقدح ذلك فى كونه علما دينيا من جملة العلوم الشرعية .

هذه هي فصوله البحث الثلاثة ، قصدت من خلالها ان اكشف عن
اصالة علم الكلام الاسلامية ؛ وبيان انه على رأس العلوم الشرعية
قاطبة .

وانى لأرجو أن اكون قد وقفت فى الاقتراب من هذا الهدف وأن
يكون بحثى هذا لبنة فى بناء فلسفة اسلامية أصيلة بها ندافع عن
الاسلام ضد التيارات الموافدة ، ولعل بيان هذه الاصالة يكون دافعا
لتحقيق هذا الهدف .

والله الموفق واليه يرجع الأمر كله .

محمد صالح محمد السيد

الفصل الأول

مدخل عام لبيان أصالة علم الكلام

- ١ — تمهيد
- ٢ — تعريف علم الكلام وتسمياته •
- ٣ — الموقف من علم الكلام •
- ٤ — منزلة علم الكلام من العلوم الشرعية •

تمهيد :

يعد هذا الفصل مدخلا عاما لحراسة أصالة علم الكلام ، فهو يحاول أن يلتصق أصانة هذا العلم الاسلاميه من جوانب ثلاثة :

الأول : تعريفات علم الكلام وتسمياته ، والتي دلت على مدى ارتباط هذا العلم موضوعا ومنهجيا بالأصول الاسلاميه .

الثاني : الموقف من علم الكلام ، فأبان عن أدلة المعارضين لعلم الكلام من الفقهاء والمحدثين والصوفية ، مبنيا أسس هذه المعارضة ، وقد قمت بالرد عليها ، مبنيا أن مذاهب الفقهاء لم تخل من آراء كلامية ، وأن أئمة الفقه الأربعة قد خاضوا في موضوعات كلامية لها خطرهما ، بل ونسب لبعضهم مؤلفات في علم الكلام .

وعرضت في الجانب الآخر لأدلة المؤيدين لعلم الكلام ، مبنيا على الحاجة اليه ، من خلال الغاية التي يحققها ببحثه في العقائد ، وهي اثباتها والدفاع عنها ، وهي غاية لا يستغنى عنها في أى عصر من العصور .

الثالث منزلة علم الكلام من العلوم الشرعية ، وأوضحت كيف أن علم الكلام يعد من العلوم الشرعية ، بل هو أهمها على الإطلاق . به يتم الاعتقاد ، وتصحيح العقائد ، فمهمته تؤكد العقائد بدليل النقل والعقل ، فهو المتكفل بالجانب النظري من الدين الذي هو أساس العمل ، فلا عمل بدون اعتقاد ولقد تنبه مصنفو العلوم من العرب ، فوضعوه في قائمة العلوم النقاية الشرعية .

هذه هي المداخل العامة ، التي تناولها هذا الفصل لبيان أصالة علم الكلام تمهيدا لبيان هذه الأصالة بشيء من التفصيل في الفصول التالية .

ونبدأ بتفصيل هذه المداخل العامة على النحو التالي :

أولاً - تعريف علم الكلام وتسمياته :

تعد تعريفات علم الكلام التي قدمها علماء ومؤرخوه من الشواهد التي تشهد على أصالته ، فجل تعريفاتهم تسند علم الكلام الى الدين وأصوله ، وتشير كلها الى أن موضوعه هو الأصول الاعتقادية ^(١) التي تكون المعرفة النظرية بالدين .

وعلم الكلام يتناول هذه الأصول الاعتقادية ، بالاثبات والدفاع عنها بالأدلة العقلية ، فيدخل في دائرته جميع هؤلاء الذين يتخذون النظر العقلي وسيلة لاثبات العقائد التي جاء بها الاسلام أو الدفاع عنها ، من حيث أن مهمته تأسيس العقيدة الاسلامية على أسس عقلية برهانية حتى يمكن فهم العقيدة ، وعرضها ، والدفاع عنها ^(٢) .

(١) الفارابي : احصاء العلوم تحقيق الدكتور عثمان أمين ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ ، ص ١٣١ ص ١٣٢ ، والشهرستاني : الملل والنحل ، على هامش الفصل في الملل والاهواء والنحل ، لابن حزم ، دار المعرفة ، بيروت الطبعة الثانية بالوفست ١٣٩٥ هـ : ١٩٧٥ م ، ج ١ ، ص ٥٨ ، والفزالي : المنقذ من الضلال ، مكتبة صبيح ، القاهرة ، ١٣٩٢ هـ ١٩٧٢ م ، ص ٨ ، ص ٩ وابن خلدون : المقدمة دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ - فصل الكلام ، ص ٥٨ ، والايجي : المواعظ ، اسطنبول ، ١٢٨٦ هـ ص ١٦ ، وسعد الدين التفتازاني : شرح العقائد النفسية ، القاهرة ، ١٣٥٨ هـ ، ص ٩ - ص ١١ ، وطائش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، بتحقيق كامل بكري ، وعبد الوهاب أبو النور ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، دار الكتب الحديثة ، ج ٢ ص ١٥٠ ، والامام محمد عبده : رسالة التوحيد دار النصر للطباعة ، القاهرة ، ١٩٦٩ م ، ص ٧ . وغيرهم .

(٢) أبو حيان التوحيدي : ثمرات العلوم ، مع كتاب الادب ، والانشاء في الصداقة والصديق ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ ، ص ١٩٢ - ص ١٩٣ ، وسعد الدين التفتازاني : شرح العقائد النفسية ، ص ٩ - ص ١١ . وغيرها ، على أن هناك من المؤرخين وعلماء الكلام من رأى

وهكذا يكون علم الكلام علما دينيا خالصا سواء فى موضوعه أو غايته ، وإذا كان أحد معانى الأصالة أن يكون للشيء أصل ثابت يبنى عليه ، فإن الأصل هنا فى علم الكلام هو الدين الإسلامى وأصوله فهى موضوعه وغايته .

كما يمكن الاستدلال على هذه الأصالة الإسلامية ، من تلك الأسماء التى اطلقت على علم الكلام والتى جمعها لنا التهانوى فى كتابه (٢) حيث يقول : علم الكلام ، ويسمى بعلم أصول الدين (٤) ، وسماه

=

أن مهمة علم الكلام تقف عند الدفاع عن العقيدة ، ولا تتعدى ذلك إلى اثباتها ، لأن العقائد الإيمانية مثبتة بالكتاب والسنة فليس هناك ما يدعو إلى اثباتها بالعقل . (انظر : الفزالى : المنقذ من الضلال ، ص ٨ - ص ٩ وفخر الدين الرازى : التفسير الكبير ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٨ هـ تفسير سورة البقرة آية ١٩ - ٢١ ، وابن نهيمة : النبوات ، القاهرة ١٣٤٦ هـ ، ص ١٤٥ . . . وغيرهم) ، ولقد تبنى جارودية هذا الموقف من غاية علم الكلام ، فذهب إلى أن غايته الدفاع عن العقيدة وليس فهم الإيمان ويعلق الدكتور عبد الرحمن بدوى الذى أورد رأى جاروديه بأن ذلك ربما يصح بغد القرن الرابع الهجرى ، أما خلال القرون الأربعة الأولى ، فكان يغلب عليه البحث فى فهم الإيمان ، وإدراك مضمون العقيدة ، وتحديد المعانى الغامضة التى وردت فى الكتاب والسنة : كالله وصفاته ، والقدر ، والعدل الإلهى والوعد والوعيد ، والنجاة فى الآخرة ، والثواب والعقاب (انظر الدكتور عبد الرحمن بدوى : مذاهب الإسلاميين دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٧٩ م ، الطبعة الثانية الجزء الأول ، المعتزلة والاشاعرة ، ص ١٣ - ص ١٤) ، وفى رأى أن وجهة النظر هذه صحيحة فيما يتعلق بغاية علم الكلام فى هذه الآونة ، فلقد أسهم متكلمو الفرق الإسلامية من معتزلة واشاعرة وغيرهم فى تحديد مفهوم الإيمان وشرحه والتخيل عليه ، واثبات أصوله ، من هنا ارتبط الدفاع عن العقيدة باثبات أصولها ارتباطا وثيقا .

(٣) التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، كلكنا ، ٨٦١ هـ مجلد (١) ، ماد تعلم الكلام :

(٤) ترجع تسميته بعلم أصول الدين ، لأن مسائله هى أساس الدين وأصوله ، فهو يستدل على أصول العقيدة الإسلامية ويؤسسها على العقل وهو الاسم الذى غلب عليه فى المصنفات المتأخرة .

أبو حنيفة (ت ١٥٠ هـ) بالفقه الأكبر ^(٥) ، وفى مجمع السلوك يسمى بعلم النظر والاستدلال ^(٦) ويسمى أيضا بعلم التوحيد والصفات ^(٧) ، وفى شرح العقائد للتفتازانى : ويسمى بعلم الشرائع والأحكام ويسمى بعلم الذات والصفات ، وقد يسمى أيضا بعلم العقائد الاسلافية ^(٨) .

ويتضح من هذه التسميات أن أصول علم الكلام أصول اسلامية صرفة ، وقد وردت أقوال كثيرة تفسر سبب تسمية هذا العلم بعلم الكلام ذكرها الايجي بقوله : ان علم الكلام سمي بذلك اما لأنه بازاء المنطق للفلسفة ، واما لأن أبوابه عنونت بالكلام فى كذا أو لأن مسألة الكلام أشهر أجزائه حتى كثير فيها التشاجر ، أو لأنه يورث قدره على الكلام فى الشرعيات مع الخصم ^(٩) ، كما يذكر النسفى ^(١٠) .

(٥) تسميته بالفقه الأكبر : نرجع الى تمييز مباحثة عن مباحث الفقه العملية والتي تسمى بالفقه الأصغر ، فكلها علم أصول الا ان علم الكلام يؤسس النظر ، بينما الفقه يؤسس العمل ومعنى الفقه هو العلم ، وعلم الكلام هو العلم الأكبر لأنه يكون الايمان ، وهو أصل العمل والطاعة فيكون الفقه فرعاً لهذا الأصل ، فيسمى بالفقه الأصغر .

(٦) تسميته بعلم النظر والاستدلال : يرجع الى اعتماده على الاستدلال العقلى بجانب الاستدلال النقلى .

(٧) تسميته بعلم التوحيد والصفات : راجعة الى انه يضع التوحيد عقيدة اساسية تستخرج منها باقى العقائد الاخرى بالاستدلال ، فصار التوحيد أهم موضوعاته ، فسمى العلم بأشرف أجزائه ، وهذا الاسم هو الذى يفضل له الامام محمد عبده فى رسالة التوحيد وكذلك يسميه بعلم الذات والصفات ذلك لأنه يبحث فى صفات الله تعالى ، والتي تعد من أهم مباحثه .

(٨) ذلك لأنه يبحث فى العقائد الاسلامية حتى يؤمن بها المخالفون .

(٩) الايجي : المواقف ، ص ١٦ ، وانظر أيضا : الشهر ستانى : الملل والنحل ، على هامش كتاب الفصل فى الملل والاهواء والنحل لابن حزم ج ١ ، ص ٥١ .

(١٠) النسفى : العقائد النسفية ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ ص ٦

جميع هذه التفاسير ، ويضيف اليها تفسيرين هما : الأول ، أن علم الكلام لا يتحقق الا بالمباحثة وادارة الكلام بين الجانبين على حين ان غيره من العلوم قد يتحقق بالتأمل ومطالعة الكتب ، كما انه نظرا اقيامه على الأدلة القطعية المؤيدة اكثرها بالأدلة السمعية كان أكثر العلوم تأثيرا في القلب وتغلغلا ، فسمى الكلام مشتقا من الكلم ، وهو الجرح .
والثاني : لأن أول خلاف وقع في الدين كان في كلام الله ، أمخلوق هو أم قريم ، فتكلم الناس فيه ، فسمى هذا النوع من العلم كلاما واختص به (١١) .

وهكذا تبدو أصالة هذا العلم في التعليقات التي قيلت حول سبب تسميته بهذه التسمية ، فهي اما راجعة الى منهجه ، وهو الكلام والجدل والرد على الخصوم ، فيكون بهذا الكلام الصحيح دون غيره لأنه يعتمد على كلام الله ، في استخراج حججه المؤثرة في القلوب والعقول معا ، واما راجعة الى موضوعه ، وهو كلام الله تعالى أقدم هو أم محدث ، فيكون هذا العلم موضوعا ومنهجيا يدور حول الأصول الدينية .
ثانياً — الموقف من علم الكلام :

تقبل علم الكلام بموجة من الاستنكار الشديد من قبل أهل الحديث والفقهاء والصوفية ، وأطلقوا على علم الكلام وأهله ، أصحاب البدع ومن أهم ما استندوا اليه في هذا الوصف أن الرسول ﷺ والصحابة لم يشتغلوا به ، فهو من البدع ، فراحوا يكتبون في ذم علم الكلام وأهله .

(١١) المصدر السابق : ص ٦ وانظر تفصيل ذلك عند الشيخ الأكبر مصطفى عبد الرزاق في كتابه تهديد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة الطبعة الثانية ، ١٩٥٩ م حيث جمع أقوال القدماء في معنى علم الكلام وتعريفه ، وسبب تسميته ، وبعد ما كتبه أحسن ما كتب في هذا الموضوع ، انظر ص ٢٦٥ وما بعدها .

فيقول ابن قتيبة (٢٧٦ هـ) في ذم المتكلمين واختلافهم في الدين: «وقد تدبرت رحمك الله مقالة أهل الكلام فوجدتهم يقولون أصول على الله ما لا يعلمون ، ويفتنون الناس بما يأتون ، ويبصرون القذى في عيون الناس وعيونهم تطرف على الأجذاع ويتهمون غيرهم في الغفل ولا يتهمون آراءهم في التأويل ، ومعاني الكتاب والحديث ، وما أودعاه من لطائف الحكمة وغرائب اللغة لا يدرك بالطفرة ، والتولد ، والعرض ، والجوهر ، والكيفية ، والكمية والايينية . ولو ردوا المشكل منهما إلى أهل العلم بهما وضح لهم المنهج واتسع لهم المخرج ، ولكن يجمع من ذلك طلب الرياسة وحب الاتباع واعتقاد الاخوان بالمقالات والناس أسراب طير يتبع بعضها بعضا وقد كان يجب مع ما يدعونه من معرفة القياس واعداد آلات النظر ان لا يختلفوا كما لا يختلف الحساب والمساح والمهندسون لأن آلاتهم لا تدل الا على عدد واحد والا على شكل واحد وكما لا يختلف حذاق الأطباء في الماء وفي نبض العروق لأن الأوائل قد وقفوه من ذلك على امر واحد. فما بالهم أكثر الناس اختلافاء لا يجتمع اثنان من رؤسائهم على امر واحد في الدين !! ولو كان اختلافهم في الفروع والسنن لا تسع لهم العذر عندنا ، وان كان لا عذر لهم مع ما يدعونه لأنفسهم كما اتسع لأهل الفقه ، ووقعت لهم الأسوة بهم ولكن اختلافهم في التوحيد . وفي صفات الله تعالى وفي قدرته ، وفي تقسيم أهل الجنة وعذاب أهل النار ، وعذاب البرزخ وفي اللوح ، وفي غير ذلك من الأمور التي لا يعلمها نبي الا بوحى من الله تعالى (١٢) .

ويقول ابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) في ذم علم الكلام : ونهى السلف — رحمهم الله — عن الجدل في الله جل ثناؤه في صفاته وأسمائه .

(١٢) ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، عن طبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٦ هـ ، ص ١٢ ، ص ١٤ . وانظر ايضا لابن قتيبة : الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة ، مطبعة السعادة ، القاهرة ١٣٤٩ هـ ، ص ٩ .

وأما الفقه فأجمعوا على الجدال فيه والتناظر : لأنه علم يحتاج فيه إلى رد الفروع إلى الأصول للحاجة إلى ذلك ، وليس الاعتقادات كذلك ، لأن الله جل وعز لا يوصف عند الجماعة — أهل السنة — إلا بما وصف به نفسه ، أو وصفه به رسول ﷺ ، أو أجمعت الأمة عليه . وليس كمثله شيء فيدرت : بقياس أو انعام نظر : وقد نهينا عن التفكير في الله ، وأمرنا بالتفكير في خلقه الدال عليه ، وعن مصعب بن عبد الله الزبيري قال : « وكان مالك بن أنس يقول : الكلام في الدين أكرهه ، ولم يزل أدل بلدنا يكرهونه وينهون عنه نحو الكلام في رأي جهنم والقدر وما أشبه ذلك ، ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل^(١٣) » وقال أحمد بن حنبل : لا يفاج صاحب كلام أبدا ، ولا تكاد ترى أحدا نظر في الكلام إلا وفي قلبه دغل ، (أي عيب يفسده) وقال مالك : رأيت أن جاءه من هو أجدل منه ، أبدع دينه كل يوم لدين جديد ؟ »^(١٤) ، وقال أبو عمر : تناظر القوم وتجادلوا في الفقه ، ونهوا عن الجدال في الاعتقاد ، لأنه يؤدي إلى الانسلاخ من الدين ، ألا ترى مناظرة بشر في قواه عز وجل : « وما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم حين قال : هو بذاته في كل مكان ، فقال له خصمه : فهو في قلنسوتك وفي حشرك ، وفي جوف حمار : تعالى الله عما يقولون : حكى ذلك وكيع ، رحمه الله ، وأنا والله أكره أن أحكى كلامهم تبحهم الله فعن هذا وشبهه نهى العلماء^(١٥) . ولقد وضع الهروي (ت ٤٠١ هـ) كتابا في ذم علم الكلام بعنوان « ذم الكلام وأهله » اعتمد عليه السيوطي (ت ٩١٤ هـ) ، في استخراج

(١٣) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغي في روايته وحمله ، ص ١٥٣ والشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ١١٩ ، ص ١٢٠ .
(١٤) نفس المصدر ص ١٥٦ والشيخ مصطفى عبد الرازق ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٢٠ .
(١٥) نفس المصدر : ص ١٥٧ — ص ١٥٨ والشيخ مصطفى عبد الرازق تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ص ١٢٠ .

الشواهد الدالة على ذمه لعلم الكلام ومن الآثار التي نقلها عن الهروي
في هذا الصدد (١٦) .

قول مالك (ت ١٧٩ هـ) أياكم والبدع ، قيل له : ما البدع ؟ قال :
أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه وقدرته ،
ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة ، والتابعون لهم باحسان .

وقول الرسول ﷺ : « من تكلم في الدين برأيه فقد أتهمه »
وقوله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكفر بالله جهارا وذلك عند كلامهم
في ربهم » .

وقول علي رضي الله عنه : « يخرج في آخر الزمان ، أقوام
يتكلمون بكلام لا يعرفه أهل الاسلام ، ويدعون الناس الى كلامهم ،
فمن لقيهم فليقاتلهم فان قتلهم أجزا عند الله » .

وقول ابن عمر : « ان القدرية حملوا ضعف رأيهم على مقدرة
الله ، وقالوا لم ؟ ولا ينبغي أن يقال لله لم ، لأنه لا يسأل عما يفعل ،
وهم يسألون » .

وقول محمد بن الحنفية : « لا تهتك هذه الأمة ، حتى تتكلم في
ربها » .

وقول هشام بن عبد الملك لبنيه : « اياكم وأصحاب الكلام فان
أمرهم لا يؤول الى الرشاد » .

وقول جعفر بن محمد : « اذا بلغ الكلام الى الله فأمسكوا »
وقوله : « تكلموا فيما دون العرش ، ولا تكلموا فيما فوق العرش فان
قوما تكلموا في الله فتأهوا » .

(١٦) الشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية
ص ٢٦٦ — ٢٦٧ .

وقول شعبه : « كان سفيان الثوري ، ييغض أهل الأهواء وينهى عن مجالستهم أشد النهى ، وكان يقول : عليكم بالأثر وإياكم والكلام فى ذات الله » .

وقول محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة أن أبى حنيفة قال : لعن الله عمرو بن عبيد ، فإنه فتح للناس الطريق الى الكلام فيما لا يعنيه من الكلام ، وقوله ان أبى حنيفة كان يحثنا على الفقه وينها عن الكلام .

وتشير كل هذه الأقوال والآثار الى أن المتكلمين تد خاضوا موضوعات دقيقة كان يجب أن يستكوا ويمسكوا عن الخوض فيها لأن الرسول ﷺ وصحابته ، لم يخوضوا فى شئ من هذا التقبيل بل نهوا عنه .

والواقع أن الاسلام — شأنه شأن أى دين آخر قد مر بمرحلتين : مرحلة التصديق القلبي والايان بالعقائد والأصول حتى يرسخ الدين فى القلوب ، ثم مرحلة البحث والنظر وصوغ مسائل الدين صياغة فلسفية ، فلم يكن هناك سائل فى عهد الرسول ﷺ يسأل عن كيفية الاستواء فى الآية الكريمة : « الرحمن على العرش استوى » وان سأل فإنه يلقي الجواب الذى قال به مالك بن أنس : « الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والمسؤال عنه بدعة ، والايان به واجب » . وقد خشى المسلمون الأوائل أن يكونوا من أهل البدع الذين قال الله فيهم : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة ، وابتغاء تأويله ، وما يعلم تأويله الا الله ولكنهم أرادوا أن يكونوا حسب تكلمة الآية : « والراسخون فى العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ، وما يذكر الا أولو الالباب »

وعلى هذا تجمع المصادر أن المسلمين فى زمن الرسول ﷺ لم يختلفوا حول أمر من أمور العقيدة الرئيسية مثل : وجود الله وصفاته ... ولم يبحثوا فى هذه المسائل ، كلهم فهموا ذلك من القرآن الكريم ،

وسكتوا عن الكلام فى الصفات ، ولم يتأول أحد منهم آيات القرآن الكريم فى هذا الصدد ، ولم يكن لدى أحد منهم ما يستدل به على وجوده تعالى ، وعلى نبوة محمد ﷺ سوى ما جاء فى الكتاب الكريم ، ومن هنا لم يعرف أحد منهم شيئا من طرق الكلام أو الفلسفة فيقول المقرئى : « ومن امعن فى دواوين الحديث ، وأوقف على الآثار السلفية علم أنه لم يروى قط من طريق صحيح ولا سقيم عن أحد من الصحابة رضى الله عنهم على اختلاف طبقاتهم وكثرة عددهم ، أنه سأل رسول الله ﷺ ، عن معنى شيء مما وصف الرب سبحانه تعالى به نفسه الكريمة فى القرآن الكريم ، وعلى لسان نبيه محمد ﷺ ، بل كلهم فهموا ذلك ، وسكتوا عن الكلام فى الصفات ، نعم ولا فرق أحدهم بين كونها صفة ذات أو صفة فعل وإنما أثبتوا له تعالى صفات أزلية من العلم والقدرة ، والحياة ، والادارة ، والسمع والبصر والكلام ، والجلال والإكرام والجود والانعام والعز والعظمة وساقوا الكلام سوقا واحدا ، وهكذا أثبتوا رضى الله عنهم ، ما أطلق الله سبحانه على نفسه الكريمة من الوجه واليد ونحو ذلك مع نفى مماثلة المخلوقين ، فاثبتوا رضى الله عنهم ، بلا تشبيه ، ونزهوا من غير تعطيل ، ولم يتعرض مع ذلك أحد منهم الى تأويل شيء من هذا ورأوا بأجمعهم اجراء الصفات كما وردت .

ولم يكن عند أحد منهم ما يستدل به على وحدانية الله تعالى وعلى اثبات نبوة محمد ﷺ ، سوى كتاب الله ولا عرف أحد منهم شيئا من الطرق الكلامية ، ولا مسائل الفلسفة (١٧) » .

لقد اكتفى المسلمون الأوائل بما جاء فى القرآن الكريم من عقيدة متكاملة ، فلم يبحثوا بحثا نظريا فى أصول الدين ، ولم يسعوا الى التعلم من غير هذا المصدر الالهي ، فقد وجدوا فيه ما يجب معرفته عن الله والعالم والانسان ، ولم يخوضوا فى جدل حول العقيدة مؤتمرين

(١٧) المقرئى : الخطط ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ ، ج ٤ ، ص ١٨٠-١٨١

بأمر الآية الكريمة : « واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا » وقوله تعالى : « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم » ، وقوله تعالى أيضا « وان جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون ، الله يحكم بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون » . . . الى آخر هذه الآيات التي تفيد تجميع الكلمة ، وعدم الخوض في الجدل ، الا بمقدار — ما تدعو الحاجة اليه .

ولهذا نقول انه لم يكن عند المسلمين الأوائل في زمن الرسول ﷺ والصحابة الأوائل كلام أو فلسفة، ولا خوض في جدال، وإنما اجماع في الكلمة حول العقائد .

على أن بعض المصادر تشير الى بعض المناقشات التي حدثت في زمن الرسول ﷺ ، فلقد وجد جماعة من الصحابة يتحدثون في التقدير فتنهاهم عن ذلك بقوله ﷺ : بهذا ضلت الأمم قبلكم (١٨) .

وغالب الظن أن الذين ذموا علم الكلام وأهله ، واعتبروهم أهل بدعة اعتمدوا — كما ذكرنا — على أن المتكلمين خاضوا في موضوعات لم يختص فيها السلف الأول من المسلمين ، فيكونوا بهذا ابتدعوا موضوعات جديدة ، تدخل في دقائق الأصول الدينية .

ولقد عرض لنا الأشعري في رسالته في استحسان الخوض في علم الكلام . التي تعد من الرسائل الهامة في بيان أصالة علم الكلام الإسلامية أدلة المعترضين على علم الكلام ، تمهيدا للرد عليهم فيقول : « أما بعد فإن طائفة من الناس جعلوا الجهل رأس ماله وثقل عليهم النظر والبحث في الدين ، ومالوا الى التخفيف والتقليد وطعنوا على من فتن عن أصول الدين ونسبوه الى الضلال وزعموا أن الكلام فسي

(١٨) انظر بعض هذه المصادر والمناقشات في تمهيد لتاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص ٢٨١ — ص ٢٨٣ .

الحركة والسكون والجسم والعرض والألوان والأكوان والجزء والطفرة
وصفات الباري عز وجل بدعة وضلالة (١٩) .

وقالوا لو كان ذلك هدى ورشادا لتكلم فيه النبي ﷺ وخلقائه
وأصحابه (قالوا) ولأن النبي ﷺ لم يمت حتى تكلم في كل ما يحتاج
اليه من أمور الدين وبينه بيانا شافيا ، ولم يترك لأحد بعده مقالا
فيما للمسلمين اليه حاجة من أمور دينهم ، وما يقربهم الى الله عز وجل
وبياعدهم عن سخطه .

فلما لم يرووا عنه الكلام في شيء مما ذكرناه علمنا أن الكلام
فيه بدعة ، والبحث عنه ضلالة ، لأنه لو كان خيرا لما فات النبي ﷺ
وآله وأصحابه وسلم واكملوا فيه .

(قالوا) ولأنه ليس يخلو ذلك من وجهين : اما أن يكونوا علموه
فسكتوا عنه ، أو لم يعلموه بل جهلوه ، فان كانوا علموه ولم يتكلموا
فيه وسعنا أيضا نحن السكوت عنه ، كما وسعهم السكوت عنه ،
ووسعنا ترك الخوض (فيه) كما وسعهم ترك الخوض فيه ولأنه لو كان
من الدين ما وسعهم السكوت عنه ، وان كانوا لم يعلموه وسعنا جهله
كما وسع أولئك جهله لأنه لو كان من الدين لم يجهلوه فعلى كلا الوجهين
الكلام فيه بدعة والخوض فيه ضلالة فهذه جملة ما احتجوا به من ترك
النظر في الأصول (٢٠) .

(١٩) نشره يوسف مكارثي ، بيروت ، ١٩٥٣ م في ذيل كتاب اللمع

للأشعري عن نشرة حيدر أباد الدكن ، ١٣٤٤ هـ ، ونشرها اينسا الدكتور
عبد الرحمن بدوي ، ضمن كتابه مقالات الاسلاميين ، دار العلم للملايين ،
بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٧٩ م ، ج ١ ، ص ١٥ — ص ٢٧ . وقد
اعتمدنا على النشرتين .

(٢٠) الأشعري : رسالة استحسان الخوض في علم الكلام ، نشرة
يوسف مكارثي اليسوعي ، بيروت ١٩٥٣ م في ذيل كتاب اللمع عن نشرة
حيدر أباد الدكن ١٣٤٤ هـ ص ٨٧ وقارن نشرة الاستاذ الدكتور عبد الرحمن
بدوي ، ضمن كتابه مقالات الاسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ،
الطبعة الثانية ١٩٧٩ م ، ج ١ ص ١٥ — ص ٢٧ .

ولقد رد الأشعري على هذا الاعتراض على أصالة علم الكلام من ثلاثة وجوه :

الأول : اننا لو قبلنا الأمر عليهم فقلنا : هل قال الرسول ﷺ : أن من بحث عن ذلك وتكلم فيه يكون مبتدعا ضالا ؟!

الثانى : وهو رد هام فى بيان أصالة علم الكلام الاسلامية ، حيث يقول : أن الرسول ﷺ لم يجهل شيئا مما ذكرتموه من الكلام فى الجسم والعرض والحركة والسكون والجزء والطفرة ، وان لم يتكلم فى كل واحد من ذلك معينا ، وكذلك الفقهاء والعلماء من الصحابة ، غير أن هذه الاشياء التى ذكرتموها معينة أصولها موجودة فى القرآن والسنة جملة غير مفصلة •

ويحاول الأشعري أن يوضح أن الخوض فى مسائل الحركة والسكون ، والطفرة ، والألوان ، والاكوان وهى كلها مسائل كلامية لا بأس به ، لأن له أصول نقلية •

فيذهب الى : أن الحركة والسكون والكلام شيئا أصلهما موجود فى القرآن وهما يدلان على التوحيد ، وكذلك الاجتماع والافتراق فاقدر أخبر الله تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام ، فى قصة أعول النوكب والشمس والقمر وتحريكها من مكان الى مكان ما دل على أن ربه عز وجل لا يجوز عليه شيء من ذلك ، ولو جاز عليه ذلك ما كان بالله •

وكذلك الكلام فى التوحيد مأخوذ من قوله تعالى : « لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدنا » وهذه الآية موجزة فى التنبيه على الوجدانية وأدلة المتكلمين على التوحيد مرجعها الى تلك الآية وأيضا الى قوله تعالى . « ما اتخذ الله من ولد ، وما كان معه من اله ، اذا لذهب كل اله بما خلق ، ولعل بعضهم على بعض » ، وكذلك سائر الكلام فى تفضيل فروع التوحيد والعدل انما هو مأخوذ من القرآن ، وكذلك القول فى جواز

البعث بعد الموت ، فأقره على من قال بالخلق الأول ، فتكون الاعداء
أيسر وأسهل من البداية بقوله تعالى « وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده ،
وهو أهون عليه » وقوله « كما بدأكم تعودون » ، كما أقره على
المنكرون للخلق الأول وقالوا بقديم العالم ، فرد على القائلين بقديم العالم
فاحتج عليهم بأن الضدين لا يجتمعان فى محل واحد ، ولا فى جهة واحدة
ولا فى الوجود فى المحل ولأنه يصح وجودهما فى محلين على سبيل
المجاورة فاحتج الله تعالى بقوله « الذى جعل لكم من الشجر الأخضر
نارا ، فإذا أنتم منها توقدون » (٢١) .

كذلك أيضا يجد أن المتكلمين أصولا عقلية لمقدماتهم العقلية فى
ردهم على الدهرية التى تدور حول أنه لكل حادث أول تبدأ منه فى مقابل
قول الدهرية بأنه لا حركة الا وقبلها حركة ، ولا يوم الا وقبله يوم ،
فى قول الرسول ﷺ « لا عدوى ولا طيرة » ، فقال أعرابى « فم ، بال
الأبل كأنها الظباء تدخل فى الأبل الجربى فتجرب » ، فقال النبى ﷺ :
« فمن أعدى الأولى » فسكت الأعرابى لما أفهمه بالحجة المعقولة وكذا
يقال لمن زعم أنه لا حركة الا وقبلها حركة ، لو كان الأمر هكذا لم تحدث
منها واحدة ، لأن مالا نهاية له لا حدث له .

ويذهب الأشعرى الى أن قاعدة رد الشيء الى شسكه ونظيره
قاعدة مأخوذة من النقل فلقد قال رجل للرسول ﷺ يانبنى الله « ان
امرأتى ولدت غلاما أسود » وعرض بنفيه فقال النبى ﷺ : « هل
لك ابل ؟ » فقال : نعم ، قال ﷺ : « فما ألوانها » قال « حمر » فقال
النبى ﷺ : « هل فيهما من أورك » قال « نعم ان فيها أورك » قال ﷺ :
« فأنى ذلك » قال « لعل عرقا نزع » فقال النبى ﷺ « ولعل ولدك

(٢١) قريب من هذا ما ذهب اليه الكندى فى رسالته : « فى الإبانة
عن سجود الجرم الأقصى ، وطاعته لله عز وجل » ، انظر : رسائل
الكندى الفلسفية بتحقيق وتقديم الدكتور أبو ريده ، دار الفكر العربى ،
القاهرة ، ١٩٥٠ ، الجزء الأول .

نزعة عرق » ويرى الأشعري أن المتكلمين قد عولوا على هذه القاعدة في تنزيه الله عن مشابهة مخلوقاته وعن الجسمية لأنه حكمه ليس حكمها (٢٢) .

ويواصل الأشعري التماس أصول نقلية لكل المشكلات الكلامية فيلتمس لنظرية الجزء الذي لا يتجزأ أصولاً نقلية من قوله تعالى « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين » ، فمحال احصاء ما لا نهاية له ومحال أن يكون الشيء الواحد أي الجوهر الواحد ينقسم ، لأن هذا يوجب أن يكون شيئين ، وقد أخبر أن العدد يقع عليهما ، فلن يتم الاحصاء (٢٣)

وأخذ الأشعري في هذه الرسالة يثبت ضرورة استخدام العقل في أمور العقيدة مستندا على نصوص نقلية وأدلة عقلية ، بعد أن حاول جاهداً — فيما بينا — أن يجد أصول المسائل التي يخوض فيها المتكلمون في كتاب الله وسنة رسوله ، فوجد الأشعري قياس الشبيه والمنظير في سنة الرسول ، والأصل في المناقضة على التخصيم في النظر مأخوذ من سنة الرسول أيضا ، وذلك من تعليم الله إياه حين لقي الحبر السمين فقال له ﷺ « نشدتك بالله هل تجد فيما أنزل الله تعالى من التوراة أن الله ييغض الحبر السمين » فغضب الحبر حين عيره بذلك ، فقال : « ما أنزل الله على بشر من شيء » فقال الله تعالى « قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نورا » فناقضه عن قرب لأن التوراة شيء وموسى بشر ، وقد كان الحبر مقرا بأن الله تعالى أنزل التوراة على موسى ، فقد كان الحبر يلوح بقوله « ما أنزل الله على بشر من شيء » إلى إنكار نبوة محمد ، واتهامه بالكذب فناقضه القرآن بما يعترف بصحته ، وهو

(٢٢) الأشعري : استحسان الخوض في علم الكلام ، نشرة مكابري

ص ٨٨ — ص ٩٠ .

(٢٣) سنتناول هذا تفصيلا فيما بعد في الفصل الثاني والمخصص لبيان

المصادر الاسلامية لعلم الكلام .

كتاب موسى التوراة الذي أنزله الله عليه ، وكان حجة في يديه ••
وينتهى الأشعري من كل هذه الأمثلة انتى ساقها على أن الأصول النقلية
من القرآن والسنة ، لم يهمل العقل في فهم الشريعة وتأبيده ضرورة
وليس ضلالة كما يقول الحنابلة ، الذين يتمسكون بظاهر النص وحده
ولا يحددون عنه (٢٤) •

الثالث : ان مسائل علم الكلام ، والتي يطعن في الخوض فيها على
اعتبار أنها بدعة ، قد علمها الرسول ﷺ ولم يجهل منها شيئاً مفصلاً ،
غير أنها لم تحدث في أيامه معينة فيتكلم فيها أو لا يتكلم فيها وان كانت
أصولها موجودة في القرآن والسنة ويقيس الأشعري الخوض في مسائل
فقهاء ووجوب ذلك على الخوض في مسائل أصولية ووجوب الخوض
فيها ، ومنع أن تكون بدعة لأن الخوض في المسائل التفقهية لم يكن بدعا
فيقول : « وما حدث من شيء فيما له تعلق بالدين من جهة الشريعة فقد
تكلموا فيه وبحثوا عنه وناظروا فيه وجادلوا وحاجوا كمسائل العول
والجدات في مسائل المفروض وغير ذلك من الأحكام والحرام والنابئ
والبقة » « وحبك على غاريك » وكالمسائل في الحدود والطلاق مما يكثر
ذكرها مما قد حدثت في أيامهم ولم يجيء في كل واحدة منها نص عن
النبي ﷺ لأنه لو نص على جميع ذلك ما اختلفوا فيها وما بقى الخلاف
إلى الآن •

وهذه المسائل ، وان لم يكن في كل واحدة منها نص عن رسول الله
ﷺ فانهم ردوها وقاسوها على ما فيه نص من كتاب الله تعالى واجتهادهم
فهذه أحكام حوادث الفروع ردوها إلى أحكام الشريعة ، التي هي شروع
لا تستدرك أحكامها إلا من جهة النسخ والرسول ، أما حوادث تحدث
في الأصول في تعيين مسائل فينبغي لكل عاقل مسلم أن يرد حكمها إلى
جملة الأصول المتفق عليها بالعقل والحس والبديهة ، وغير ذلك ، لأن

(٢٤) نفس المصدر ص ٩٣ •

حكم مسائل الشرع التي طرقتها السمع أن تكون مردودة الى أصول الشرع التي طرقتها السمع وحكم مسائل العقلية والمحسوسات ، أن يرد كل شيء من ذلك الى بابيه ولا تخلط العقلية بالسمعية ، ولا السمعية بالعقلية (٢٥) .

أي أن الأشعري رأى أننا في أمور الدين تستدل بأدلة عقلية وسمعية فمن المسائل ما يحتاج الى دليل عقلي ، ومنها ما لا يمكن البرهنة عليه الا بدليل سمعي ، ومنها ما يبرهن عليه بالعقل والسمع معا : فكل مجاله ، ويجب أن لا تختلط المجالات ، أي أن رأى الأشعري هو « محاربة ادراك النص في ضوء العقل أو السير وراء العقل في حدود من الشرع ، لأن العقل اذا ترك وشأنه اتبع هواه وفرق بين الهوى المضل ، وبين الهدى الذي يعصم من الزلل والعتار » (٢٦) ولكنه بالشرع يتبع هذا ، .

وهذا يعد من الأشعري منهجا دقيقا يتطلب الحيدة بين العقل والنص ، وأن أي ميل الى أحدهما يكون على حساب الآخر (٢٧) . وينتهي الأشعري في بيان شرعية موضوعات علم الكلام بانقول بأنه لو حدث في أيام النبي ﷺ الكلام في خلق القرآن ، وفي الجزء والطفرة ، بهذه الإلفاظ ، لتكلم فيه وبينه ، كما بين سائر ما حدث في أيامه من تعيين المسائل وتكلم فيها (٢٨) .

وفي نهاية رسالة الأشعري في استحسان الخوض في علم الكلام يوضح لنا مستخدما برهان الخلف المعروف في المنطق ، أن ما خاض فيه

(٢٥) نفس المصدر : ص ١٥ .

(٢٦) الدكتور جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٥ م ص ١٩٦ وهو ينقل عن الدكتور

غرابية : الاشعري ص ٨١ .

(٢٧) الدكتور جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ص ١٩٦ .

(٢٨) الأشعري : استحسان الخوض في علم الكلام ، ص ٩٦ .

المتكلمون من مسائل وما انتهوا اليه من نتائج لا يدخل في دائرة البدع ومن ادلته التي يقدمها : رده على القائلين بان القرآن غير مخلوق وهم في جملتهم من الفقهاء واصحاب الحديث المهاجمين لعلم الكلام ، بأن الرسول ﷺ لم يصح عنه حديث في أن القرآن مخلوق أو غير مخلوق ، فلم قلتم انه غير مخلوق ؟ فان قالوا : قد قاله بعض الصحابة ، وبعض التابعين ، قيل لهم يلزم الصحابي والتابعي أن يكون مبتدعا ضالا ، اذا قال ما لم يقله الرسول ﷺ

وحتى الذين يسكنون عن ابداء رأيهم في هذه المشكلة (أي خلق القرآن) أو غيرها كالصفات ونحوها ، فان موقفهم هذا موقف بدعة . ذلك لأن الرسول ﷺ لم يرد عنه أنه قال : « ان حدثت هذه الحادثة لا تقولوا فيها بعدى شيئا » .

وأجاز الأشعري الاحتجاج على نفى التشبيه والتجسيم واثبات التنزية حتى ولو كان ذلك مما لم يرد على لسان الرسول ﷺ ، والصحابة والتابعين ، لأن ذلك دل عليه محكم التنزيل وان من توقف في ذلك الأمر فهو ضال مبتدع .

وعلى هذا يمكن القول بأن الأشعري قد مهد القول في رسالته هذه للدفاع عن علم الكلام وتأبيده ، وبيان اعتماده على النقل والعقل فتعد هذه الرسالة دليلا هاما على أصالة علم الكلام الاسلامي وهي في نفس الوقت تفيد أن ما خاض فيه المتكلمون من موضوعات لم تكن في الصدر الأول للإسلام ولا في عهد الرسول ﷺ انما خاضوا فيها في منازعاتهم الفكرية مع أصحاب الديانات الأخرى أو مع الفرق الضالة ولا يوصف خوضهم في هذه الموضوعات بالبدعة لأن لكل عصر مشكلاته واتجاهاته الفكرية ، فضلا عن أن كثيرا من العلوم الاسلامية كالحديث ، الفقه ، والتفسير ... وغيرها من العلوم التي لم يشتغل الصحابة بشيء منها على الوجه الذي ظهرت عليه كعلوم متخصصة أو شبه متخصصة :

فلو كان الأمر كذلك ، لكنت هذه العلوم وأصحابها بدع ضالة ، ولم يقل أحد بهذا على الإطلاق .

وهنا يمكن ان تطرح السؤال التالي : لماذا يستحسن الخوض فى علم الكلام ؟

لقد أبان لنا الايجى عن فائدة الخوض فى علم الكلام : فهو يحقق خمس فوائد (٢٩) :

الأول : الترقى من حضيض التقليد الى ذروة الايقان « ويرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات » .
الثانية : ارشاد المسترشدين بايراد الحجة ، والزام المعاندين باقامة الحجة .

الثالثة : حفظ قواعد الدين عن أن تزلزلها شبه المبطلين .

الرابعة ان يبنى عليه العلوم الشرعية ، واليه يؤول أخذها واقتباسها .

الخامسة : صحة الفية والاعتقاد اذ بها يرجى قبول العمل ، وغاية ذلك كله الفوز بسعادة الدارين .

ويفصل التهانوى (ت ١١٥٨ هـ) ما سبق أن قرره الايجى من ذوائد لعلم الكلام ، بأن علم الكلام تبنى عليه العلوم الشرعية أى يبنى عايه ما عداه من العلوم الشرعية ، فانه أساسها ، واليه يؤول أخذها واقتباسها فانه ما لم يثبت وجود صانع عالم قادر مكلف مرسل للرسل ، منزل الكتب ، لم يتصور علم تفسير ، ولا علم فقه وأصوله ، فكلها متوقفة على علم الكلام مقتبسه منه فالآخذ فيها بدونه كبان على غير أساس . وغاية هذه الأمور كلها الفوز بسعادة الدارين (٣٠) .

(٢٩) الايجى : المواظف ، ص ٨ .

(٣٠) التهانوى : كشف اصطلاحات الفنون ، مادة علم الكلام .

وهكذا يتضح لنا أن علم الكلام هدفه الدفاع عن الدين والرد على الخصوم ، مستخدماً في ذلك أدلة النقل والعقل فيلجأ الى انبئات العقائد ، ليس لأن هذه العقائد محل شك لديه وإنما يثبتها للغير ممن لديه شبهة فيها ، أو مخالفتها ، بدلا من اللجوء الى مقاومتهم بالقوة مما يؤدي الى انتشار النفاق في قلوب المخالفين ، الذين قد تلجئهم القوة الى الايمان ظاهريا وهذا ما يدلنا عليه الشعراني بقوله : « اعلم رحمك الله أن علماء الاسلام ، ما صنعوا كتب العقائد ليثبتوا في أنفسهم العلم بالله تعالى وإنما وضعوا ذلك ردعا للخصوم ، الذين حجبوا الاله ، أو الصفات ، أو الرسالة ، أو رسالة محمد ﷺ بالخصوص ، أو الاعداء في هذه الاجسام بعد الموت ، ونحو ذلك مما لا يصدر الا عن كافر ، فطلب علماء الاسلام اقامة الأدلة على هؤلاء ليرجعوا الى اعتقاد وجوب الايمان بذلك لا غير . »

وانما لم يبادروا الى قتلهم بالسيف رحمة بهم ، ورجاء رجوعهم الى طريق الحق ، فكان البرهان عندهم كالمعجزة التي ينساقون بها الى دين الاسلام ومعلوم أن المراجع بالبرهان أحق ايمانا من المراجع بالسيف اذ الخوف قد يحمل صاحبه على النفاق وصاحب البرهان ليس كذلك ، فلذلك وضعوا علم الجوهر والعرض وبسطوا الكلام في ذلك ويكتفى في العصر الواحد واحد من هؤلاء (٣١) .

واذا كان الامام الغزالي قد ألجم العوام عن الخوض في علم الكلام ، فان هذا الالجام لا يعنى أنه لا يرى ضرورة لعلم الكلام ، انما لأنه يرى أن العوام ليسوا بحاجة الى أدلة علم الكلام في ايمانهم بالعقائد لأن ايمانهم ايمانا بسيطا ، أما ايمان الخواص ، ذلك الايمان القائم على البرهان مستقصيا شروط البرهان وأصوله ، حتى لا يبقى في

(٣١) الشعراني : البواقيت والجواهر ، طبعة مصر ، ١٣٠٧ هـ ،

ج ١ ، ص ٢٢٠ .

ذلك الايمان مجال للاحتتمال ، هذا الايمان بهذا المعنى لا يتحقق الا للعلماء وباستخدام أدلة علم الكلام وبراهينه (٣٢) .

ومن هنا يري أن الاشتغال بعلم الكلام ، من فروض الكفايات فيقول : (اعلم أن التبصر في هذا العلم والاشتغال بمجامعة نيس من فروض الأعيان ، وهو من فروض الكفايات ، فأما أنه ليس من فروض الأعيان فقد اتضح لك برهانة في التمهيد الثاني (٣٣) ، اذ تبين أنه ليس يجب على كافة الخلق الا التصديق الجازم : وتطهير القلب عن الريية والشك في الايمان ، وانما تصير ازالة الشك فرض عين في حق من اعتراه الشك .

فان قلت : فلم صار من فروض الكفايات ، وقد ذكرت أن أكثر الفرق يضرهم ذلك ، ولا ينفعهم ، ما علم أنه قد سبق ان ازالة الشك في أصول العقائد واجبة ، واعتوار الشك غير مستحيل وان كان لا يقع الا في الأقل ، ثم الدعوة الى الحق بالبرهان مهمة في الدين ، ثم لايبعد أن يثور مبتدع ويتصدى لاغواء أهل الحق بإفاضة الشبهة فيهم ، فلايد من يقاوم شبهته بالكشف ، ويعارض اغواءه بالتقبح ولا يمكن ذلك الا بهذا العلم ، ولا تتفك البلاد عن أمثال هذه الوقائع ، فوجب أن يكون في كل قطر من الاقطار ، وصقع من الاصقاع ، قائم بالحق ، فيشتغل بهذا العلم ، يقاوم دعاة المبتدعة ويستميل المائلين عن الحق ، ويصفي قلوب أهل السنة عن عوارض الشبهة (٣٤) .

(٣٢) الغزالي : الجام العوام عن علم الكلام ، ص ٣٨ — ص ٤٢ .

(٣٣) الغزالي : الاقتصاد في الاعتقاد ، حققه وخرج احاديثه الشيخ محمد مصطفى أبو العلا مكتبة الجندي ، القاهرة ، ١٩٧٢ التمهيد الثاني ص ١٢ ، ص ١٤ ، ص ١٥ — ص ١٨ .

(٣٤) نفس المصدر ، ص ١٩ — ص ٢٠ ، وهذا أيضا ما ذكره في كتابه احياء علوم الدين ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ ، ج ١ .

وفى الحقيقة ، يمكن القول ، بذن المرء يمكنه أن يلمح تناقضاً في موقف الامام الغزالي من علم الكلام ، فهو في بعض مصنفاته يرى كفر الفلاسفة والمتكلمين لما أحدثوه من بدع ، وتأثر المقلدين بهم وتعصبهم لهم ، فهو يقول في كتابه : « فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة » « اذا تركنا المداينة ومراقبة الجانب ، صرحنا بأن الخوض في علم الكلام ، حرام لكثرة الآفة فيه . » (٢٥) . ثم نراه يخوض في علم الكلام مبيناً أنه من فروض الكفايات — كما أشرنا — الا أنه في حقيقة الأمر لا يتردد في الخوض في علم الكلام في حالين ، الأول : ان تقع لشخص شبهة لا تتول الا عن طريق أهل الكلام ، اذ تكون هي الدواء الوحيد لعلة ، والثاني : حالة شخص كامل العقل ، راسخ القدم في الدين يود تحصيل هذا العلم ايدأوى به مريضاً وقعت له شبهة أو أن يفحم به مبتدعاً .

ولعل هذا التردد يرجع الى أن الغزالي كان يبحث عن اليقين وكان هذا هدفاً رئيسياً لديه ، وقد أبان لنا عن ذلك في كتابه « المنقذ من الضلال » ، وهو يعرف العلم اليقيني بأنه ذلك العلم الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يقارنه امكان الغلط والوهيم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي أن يكون مقارنة لليقين ، مقارنة أو تحدياً باظهار بطلانه — مثلاً — من يقلب الحجر ذهباً ، والبعض شعباناً ، لم يورث ذلك شكاً أو انكاراً فأبى اننا عملت أن العشرة أكثر من الثلاثة ، فلو قال لي قائل : لا بل الثلاثة أكثر ، بدليل أنى أقلب هذه العصا شعباناً ، وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم أشك — بسببه — في معرفتي ، ولم يحصل لي منه الا التعجب من كيفية قدرته عليه ، أما الشك فيما علمته فلا ، ثم عملت : أن كل ما لا

(٢٥) الغزالي : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، نشرة الكردي القاهرة ، ١٢٥٣ هـ ، ص ٩٩ .

اعلمه على هذا الوجه أولا أتيقنه هذا النوع من التيقن ، فهو علم لا ثقة به ، لا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه ، فليس يعلم يقينى (٣٦) .

وراح الغزالي يبحث عما اذا كان هناك شيء من ذلك العلم فوجد نفسه مضطرا الى استنتاج أن المعرفة الوحيدة التى تتصف بهذه الصفة هى معرفة الحسيات والضروريات ، ولكنه مضى بالشك الى نهايته المنطقية ، فانتهى الى أنها ليست معرفة من النوع اليقيني (٣٧) .

ثم لجأ الى ان يعقل لعله يجد عنده الأمان الذى ينسده ، غير أنه أيضا شك فى كون المعرفة التى انتهى اليها العقل تعد من النوع اليقيني أيضا ، ولعله يقصد بالعقل هنا ذلك العقل المنطقى القاصر على الجدل والمقدمات والنتائج ، أى ذلك العقل الفلسفى .

وانتهى الى الطريق الصوفى ، كطريق لتحصيل العلم اليقيسى المنشود ، وعبر عن منهجه فى الوصول الى اليقين بقوله : « ولم يثن ذلك (أى اليقين) بنظم دليل وترتيب كلام ، بل بنور قدسه الله تعالى فى الصدر ، ذلك النور هو أكثر المعارف ، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة ، فقد ضيق رحمة الله الواسعة » (٣٨) .

وهكذا كان الغزالي فى بحثه عن اليقين معنيا ببيان عجز العقل الانسابى عن الوصول الى معرفة يحلمون اليها القلب وتسكن اليها النفس .

ولما كان علم الكلام عماده على العقل وأدلتة ، فمن هنا تردد الغزالي فى الأخذ بعلم الكلام لعدم نطقه بالعقل ، ومن هنا يقيم علم

(٣٦) الغزالي : المنقذ من الضلال ، بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ضمن كتاب قضية التصرف ، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٨١ ، ص ٣٢٩ — ص ٣٣٠ .

(٣٧) نفس المصدر : ص ٣٣١

(٣٨) نفس المصدر : ص ٣٣٣

الكلام بأنه علم وفى بمقصوده ، غير واف بمقصودى (أى مقصوده فى الوصول الى اليمين) ، وإنما مقصودة حفظ عقيدة أهل السنة ، وحراستها من تشويش أهل البدعة (٢٩) .

وهكذا يكون علم الكلام غير واف بمقصود الغزالى فى الوصول الى اليقين ذلك لعدم ثقته فى منهجهم ، فهو يرى أنهم يبدأون استدلالاتهم بمقدمات ليست يقينية ، وإنما اضطروهم الى التسليم بها منطوق الآيات القرآنية ، أو اجماع الأمة ، أو مجرد التقليد ، فهو لذلك لا يصل الى استدلاله الى اليقين الذى لا يرقى اليه الشك ، وهو مراد الغزالى من العلم اليقيني (٤٠) .

على أن الغزالى نظر الى علم الكلام نظرة خاصة وقاصره ، من حيث قصر مهمته على نصره مذهب أهل السنة فقط ، الذى يراه أفضل المذاهب لأنه المذهب الجامع — من وجهة نظره — بين النقل والعقل (٤١) وقد تابعة ابن خادون فى هذه النظرة متابعة تامة (٤٢) .

وهكذا يرجع موقف الغزالى — المتردد — من علم الكلام الى شكه فى منهج المتكلمين ، فضلا عن الموضوعات التى خاضوا فيها وعجز العقل عن الوصول فى بحثها الى علم يقينى ، ومن ثم فهو يأخذ بمذهب أهل السنة لاعتماد هذا المذهب على النقل أكثر من اعتماده على العقل ولتوقفهم عن الخوض فى دقيق الكلام وجليله .

ولرأى الامام الغزالى خطره ، فكثير ما يتعلق به المنكرون لعالم الكلام ، مع أن الغزالى يمكن اعتباره واحدا من أئمة المتكلمين فهو صاحب مذهب

(٣٩) نفس المصدر : ص ٣٣٦

(٤٠) نفس المصدر : ص ٣٣٦ — ص ٢٤٠ .

(٤١) الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ص ٨

(٤٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٦٦ : ص ٣٦٧ .

فيه ، ناصره ودافع عنه ، وصنف فيه مصنفات لها خطرهما فى تاريخ علم الكلام ، وسوف نرى فيما بعد ، كيف أنه يضع علم الكلام ضمن دائرة العلوم الشرعية (٤٣)

لعله قد اتضح لنا مما تقدم فائدة علم الكلام ، واستحسان الاشتغال به ، لنصرة الدين ، وقمع المخالف بالحجة لا بالقوة ، ورد شبهات الخصوم ، وان كان البعض قد تحفظ بعض التحفظات سواء من ناحية الموضوع أو المنهج فى علم الكلام .

ولهذا نجد انه بالرغم من الموجة الشديدة التى قابلها علم الكلام من الاستتكار من قبل الفقهاء والمحدثين والصوفية ، فان ذلك لم يمنع ان يكون علم الكلام ضمن العلوم الاسلامية ، بل وان يكون لبعض ائمة الفقه آراء كلامية ، وما ذلك الا لأن علم الكلام لم ينشأ ترفاً ولا عبثاً ، وانما اضطر اليه المتكلمون اضطراراً ، حين سمعوا الباطل فلم يسعهم السكوت ، وحين رأوا الهجوم الفكرى من أصحاب الديانات الأخرى الذين غلبهم الاسلام على أمرهم ، فلم يكن هناك بد من الدفاع .

فلقد روى عن الامام أبى حنيفة (ت ١٥٠ هـ) ذمة لعلم الكلام (٤٤) ومع ذلك فقد نسب اليه مصنفات فى علم الكلام حيث نسب اليه كتاب « الفقه الأكبر » (٤٥) ،

(٤٣) انظر كلامنا فيما بعد عن منزلة علم الكلام من العلوم الشرعية .

(٤٤) الشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية

ص ٢٦٧

(٤٥) رواه ابو مطيع وهو : ابو مطيع الحكم بن عبد الله القرشى (ت ١٩٩ هـ) وهو من أصحاب أبى حنيفة . انظر ابن حجر لسان الميزان ، طبعة الهند ، ١٣٢٩ هـ ، ج ٢ ، ص ٣٣٤ .
وقد نشر كتاب الفقه الأكبر نشرات كثيرة فى الهند ومصر ووضعت له شروح كثيرة ايضا ، ومن أشهر شروحه شرح أبى منصور الماتريدى

(ت ٣٣٢ أو ٣٣٣ هـ)، (انظر نشرة حيدر اباد الدكن ، ١٣٢١ هـ) ويقال ان هذا الشرح هو رواية لابی الليث السمرقندى (ت ٣٧٣ هـ)، وليس للماتريدى ، وقد شرحه أيضا أبو المنتهى (احمد بن محمد المقيساوى)، طبع بالقاهرة ، ١٣٢٥ هـ) وايضا شرح ملا على القارى (طبع بالقاهرة ، ١٣٢٥ هـ)

وقد تطرق الشك فى نسبة هذا الكتاب لابی حنيفة ، على اعتبار انه احتوى على مشكلات كلامية ، لم تثر فى عصره فهو يحتج على الأشعرى والأشعرية ، وهى متأخرة عن أبى حنيفة بقرنين من الزمان ، وهناك آراء ترى أن ما بين ايدينا ليس هو كتاب الفقه الأكبر ، وانما الكتاب الحقيقى كتاب فى الفقه حوى نحو ستين ألف مسألة (انظر أحمد أمين : ضحى الاسلام ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٧ هـ ، ج ٢ ، ص ١٩٨ ، على أن هناك آراء أخرى ترى أن هذا الكتاب لابی حنيفة غير ان هناك زيادات اضيفت اليه نهمس موضوعات لم تكن مثارة فى عصره فىرى الامام أبو زهرة أن ما وصلنا من هذا الكتاب لا يخرج عن ورقات تمثل رسالة صغيرة (انظر : الامام أبو زهرة الامام أبو حنيفة ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ١٦٧ — ص ١٦٨)، ويرى الدكتور النشار رأيا قريبا من هذا حيث يقرر ان هناك موضوعات زبدت على الكتاب لم تكن مثارة فى عصر أبى حنيفة ، غير انه يقرر ان الكتاب يحتوى على مجموعة الآراء التى يؤيدها أبو حنيفة فى أغلب الاحايين (انظر الدكتور انشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ، ص ٣٣٤) .

غير اننا نجد فى نصوص المؤرخين القدامى ما يفيد صحة نسبة هذا الكتاب الى أبى حنيفة تذكر منها : ما يقرره أبو المظفر الاسفرائينى (ت ٤٧١ هـ) فى معرض بيانه لاتفاق آراء أهل السنة والجماعة مع أهل الراى والحديث حيث يقول : (ومن أراد ان يتحقق ان لاختلاف بين الفريقين فى هذه الجملة فليظرفيا صفة أبو حنيفة رحمه الله فى الكلام ، وهو كتاب « العلم » وفيه الحجج الثاهرة على أهل الالحاد ، والبدعة وقد تكلم فى شرح اعتقاد المتكلمين ، وقرر احسن طريقة فى الرد على المخالفين وكتاب (الفقه الأكبر) الذى اخبرنا به الثقة بطريق معتمد ، واسناد صحيح ، عن نصير ابن يحيى عن أبى مطيع عن أبى حنيفة فى الوصية التى كتبها الى أبى عمرو عثمان البتى ورد فيها على المبتدعين) (انظر أبو المظفر الاسفرائينى : التبصير فى الدين ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣ م ص ١٨٤) =

ورسالة الى البتّى^(٤٦) وكتاب « العالم والمتعلم »^(٤٧) وكتاب الرد
على القدريّة^(٤٨) .

كما يقول أيضا البزدوى (ت ٨٢ هـ) « وقد صنف ابو حنيفة رضى
الله عنه ، فى ذلك (اى فى علم النوحيد والصفات) كتاب « الفقه الأكبر » ،
ونكر فيه اثبات الصفات واثبات تقدير الخير والشر من الله ، وان تلك كله
بمشيئته ، واثبت الاستطاعة مع الفعل ، وان أفعال العباد مخلوقه يخلق
الله تعالى اياها كلها ، ورد القول بالاصلاح ، وصنف « العالم والمتعلم »
وكتاب « الرسالة » وقال لا يكفر أحد بذنوب (ردا على قول الخوارج)
ولا يخرج به عن الايمان ، ويترحم عليه (انظر البزدوى : اصول الفقه
دار السعادة ، القاهرة ، ١٣٠٨ هـ ، ج ١ ، ص ٢٠٢) .
وقد اقر طائش كبرى زاده (ت ٩٤٨ هـ) يصح نسبة هذا الكتاب
لابى حنيفة (انظر طائش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة
ج ٢ ، ص ٣٨) .

ويبدو أن أبا حنيفة حدد فى هذا الكتاب الآراء التى أخذ بها أهل
السنة تحديدا دقيقا ، كما رأينا فى قول الاسفراينى وكذلك البغدادى من
حيث انها تطابق آراء أهل السنة فيما بعد فضلا عن أن أهل السنة
يعتبرون أبا حنيفة فى سندهم (انظر الدكتور جلال موسى : نبذة الاثرية
وتطورها ، ص ٢٠) (وانظر ايضا تفصيل مذهب ابى حنيفة الكلامى عند
الدكتور النشار فى نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١ ، ص ٣٣٤
وما بعدها) .

(٤٦) وهى رسالة الى امام أهل البصرة عثمان بن مسلم البتّى فى
الارجاء ، حيث أن أبا حنيفة كان على شئ من الارجاء ردا على الخوارج
وقد أورد القاضى عبد الجبار المعتزلى مناظرت له مع عمرو بن عبيد
المعتزلى فى الارجاء (انظر للمؤلف كتاب عمرو بن عبيد ، دار نهضة
الشرق ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٥ م ، ص ١٥٥) . وقد نُشر هذه
الرسالة زاهد الكوثرى (طبعة القاهرة ، ١٣٦٨ هـ) .

(٤٧) وهو كتاب رواه عن مقاتل بن سليمان المفسر المشهور ، وبه
بعض آرائه الكلامية والسياسية ، نشره الكوثرى (القاهرة ١٣٦٨ هـ)
ويتضح من هذا المؤلف أن أبا حنيفة خاض فى مسائل كلامية كثيرة مثل :
الكلام فى حقيقة الايمان وما يتعلق بها من الاسماء ، والاحكام المقابلة لها ،
وفى الصفات ، والقضاء والقدر ، والحكم على مرتكب الكبيرة .
(٤٨) هذا الكتاب رد فية على اصحاب مذهب الجبر المطلق (الجهمية)

والى أبى حنيفة يرجع تسمية علم الكلام بالفقه الأكبر ، وهو يراه
اصل للفقه الذى يطلق عليه (الفقه الأصغر) ، ويجوز الاشتغال به لأن
فضله التفقه فى الدين فيقول : (الفقه فى الدين أفضل من الفقه فى
العلم ، لأن الفقه فى الدين اصل والفقه فى العلم فرع ، وفضل الاصل
على الفرع معلوم ، قال الله تعالى : « وما خلفت الجن والانس الا
ليعبدون » أى يوحّدون بالتعلم المبني على الدين ، فصار الدين هو
التوحيد ، والعلم هو الديانة يعنى الشرائع وهو يعد بعد التوحيد
ثم الدين عقد على الصواب ، والديانة سيرة على الصواب (٤٩) لهذا
سمى أبو حنيفة علم الكلام بالفقه الأكبر ، فى مقابل الفقه الأصغر .

كما روى عن الامام مالك بن انس (ت ١٧٩ هـ) كراهيته للخوض
فى علم الكلام (٥٠) واعتبر المتكلمين أهل بدعة (٥١) الا أن ذلك لم يجمع
من أن يكون له مذهب كلامى يحارب فيه التشبيه والتجسيم بوجه عام ،

=

فلقد ذكر الكعبى قول أبى حنيفة فى القدر ، فيقول : والمشهور عنه ايضا
بالإضافة الى القول بالقدر ، ان الاستطاعة وان كانت مع الفعل ، فانها
تصلح لأمرين ، ويقصد الطاعة والمعصية أو الخير والشر (انظر : الكعبى :
باب ذكر المعتزلة من مقالات الاسلاميين ، ضمن كتاب (فضل الاعتزال
وطبقات المعتزلة) اكتشاف الخطوطة وحققها فؤاد السيد ، الدار التونسية
للنشر ، تونس ، ١٩٧٤ م ، ص ١٠٤ — ص ١٠٥ ، وايضا القاضى عبدالجبار
فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة بتحقيق فؤاد السيد ، تونس ١٩٧٤ م ،
ص ٣٤٤)

(٤٩) أبو منصور الماتريدى : شرح الفقه الأكبر ، ص ٦
(٥٠) ابن عبد البر : مختصر جامع بيان العلم وفضله ، وما ينبغى
روايته وحملته ص ١٥٣ — ص ١٥٥ وايضا : الزواوى : مناقب الامام
مالك ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٢ هـ ، ص ٣٧ — ص ٣٨

(٥١) الشيخ مصطفى عبد الرازق : تهديد لتاريخ الفلسفة الاسلامية
ص ٢٦٦ وهو ينقل عن السيوطى : صون المنطق والكلام عن فن المنطق
والكلام .

فان عبارته المشهورة : « الاستواء معلوم والكيف مجهول والايمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة » ، برغم انها تفيد ظاهريا محاربة المتكلم فى الصفات ، الا أنها تشير الى التثنية فى مقابل المشبهة والمجسمة ، والى استخدام طريقة التفويض فى معالجة مسألة الصفات ، ويمكن القول بأن هذه العبارة كانت أساسا لرأى الاشعرى — فيما بعد — فيما يتعلق بالصفات (٥٢) .

كما روى عنه الكعبى (٥٣) ، والقاضى عبد الجبار (٥٤) القول بإنكار القول بالقدر .

وينسب الى مالك انه صنف رسالة الى « ابن وهب » فى « القدر والرد على القدرية » ، ذكرها القاضى عياض ، وأن غير واحد من شيوخه قد حدثه بها بأسانيدهم المتصلة الى مالك ويسوق لذلك أسانيد يصف رجالها بالصحة والثقة ، وقد وصفها القاضى عياض بأنها من خيار الكتب الدالة على سعة علم مالك بهذا الفن ولا يشك الاستاذ أمين الخولى فى نسبة هذه الرسالة الى مالك لما عرف عن مالك من كراهية لأهل الاهواء ولعنه القدرية بصفة خاصة وفى الحقيقة لم تصل إلينا هذه الرسالة حتى يمكن الحكم بأنه صاحب مذهب كلامى (٥٥) .

لسنا بهذا نريد ان نثبت ان للامام مذهباً كلامياً يمكن به أن يدرج

(٥٢) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ٢٤٤ .

(٥٣) الكعبى : باب ذكر المعتزلة من مقالات الاسلاميين ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، ص ٧٨ .

(٥٤) القاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ص ٣٣٥

(٥٥) انظر : الدكتور جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ص ٢ ، وانظر أمين الخولى : مالك بن انس ، طبعة القاهرة بدون تاريخ ص ٤٦٤

فى عداد المتكلمين وانما غرضنا القول بأن له آراء ، ووجهات نظر كلامية ، فلقد كان كثير التعويل على النقل محافظا على ظاهر النص .

والامام الشافعى (ت ٢٠٤ هـ) يعد المتكلم الثانى بعد الامام أبى حنيفة ولقد روى الكثير من الآثار التى استدلت بها البعض على كراهيته لعلم الكلام ، ولكننا نستطيع أن نؤكد أن كراهيته لم تكن هوجهة الى علم الكلام فى ذاته — وانما كانت موجهة الى أهل الأهواء والبدع ، المنحرفين عن عقيدة أهل السنة ، وقد استدلت البعض على هذا مما أورده جولد زيهر من كلام الشافعى فى قوله : « حكمى على رجال الكلام ، انهم يجب ان يضربوا بالسياط والنعال ، وان يطاف بهم مشهرين فى الجامع والتبائل وينادى عليهم : هذا جزاء من ينبذ علم القرآن والسنة من ناحية وينكب على علم الكلام ، وهو علم ان اصاب المرء فيه لم يؤجر وان اخطأ فيه كفر » (٥٦) فقد استنتج جولد زيهر من هذا القول كراهية الشافعى لعلم الكلام فى ذاته . وقد سبق ايضا للفخر الرازى أن انتهى الى نفس النتيجة (٥٧) .

ولكن مما يجعلنا نشك فى هذه النتيجة ما يلى :

أولا : لقد درس الشافعى كلام المتكلمين واجاده فهو يقول عن نفسه فيما رواه الفخر الرازى (لقد دخلت فيه — أى فى علم الكلام) حتى بلغت مبلغا عظيما (٥٨) فلا يتصور أن يبلغ فى علم هذا المبلغ ، ووينكره هذا الانكار .

(٥٦) جولد زيهر : العقيدة والشرعية فى الاسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ ، ص ١١٤ .

(٥٧) الرازى : مناب الشافعى ، طبعة مصر ، بدون تاريخ ، ص ٤٠ .

(٥٨) نفس المصدر : ص ١٣٦ .

ثانيا : ان له كلاما كثيرا فى أبواب التوحيد المختلفة (٥٩) ورأيه فى القضاء والقدر ، والايمان (٦٠) .

ثالثا : نسب اليه البغدادى فى اصول الدين كتابين فى الكلام احدهما تصحيح النبوة والرد على البراهمة ، والثانى : فى الرد على اهل الأهواء ، وان صح ذلك فانه يدل دلالة قاطعة على أن له آراء كلامية (٦١) .

رابعا : أن انشأغى عاصر المعتزلة ، ولم يواغقها فى استخدام العقل فآثر الاتباع على الابتداع ، أى أثر النقل على العقل ومن هنا كان نقده لعلم الكلام فى الثوب المعتزلى على اعتبار ان المعتزلة كانت مهيمنة على الساحة الكلامية فى عصره ، فقد ناظر بشر الميرسى الفقيه المشهور ، كما تروى المصادر رده على القدرية (٦٢) .

أما الامام أحمد ابن حنبل (ت ٢٤١ هـ) .

فلقد نسب اليه كراهيته لعلم الكلام ، حتى وان كان الخوض فيه لنصرة السنة والجماعة واغلب الظن ان هذه الكراهية لعلم الكلام ترجع الى ما عاناه الامام من المحنة ، والتي جعلته المتكلم الرسمى باسم السلف وتجرد منذ ذلك الوقت لبيان عقيدة السلفية ، فقد اعلن امام القاضى بن أبى دؤاد انه ليس صاحب كلام .

(٥٩) نفس المصدر : ص ٤٠ — ص ٤١ .

(٦٠) نفس المصدر : ص ٤٤ ، ص ٤٦ ، ص ٤٧ وايضا الإسفرائينى النبصير فى الدين ، ص ٩٤ — ص ٩٥ ، ص ٩٩ .

(٦١) البغدادى : اصول الدين . طبع مدرسة الالهيات ، بدار الفنون التركية استانبول ، ١٣٤٦ هـ ص ٤٠٨ .

(٦٢) الاسفرائينى : النبصير فى الدين ص ٩٩ وانظر الدكتور النشار نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام ، ج ١ ص ٢٤٤ ، ص ٢٤٧ والدكتور جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ، ص ٢٨ — ص ٢٢ .

ويبدو أن نفيه لكونه واحدا من المتكلمين ، كان يعنى انه ليس واحدا من الذين يكرهون علم الكلام لذاته ، وانما يكرهون علم الكلام القائم على الجدل ، والخوض فى موضوعات لم يخض فيها السلف الصالح .

ولقد نسب اليه رسالة فى الرد على الرنادقة والجهمية (٦٣) ولقد خاض ابن حنبل فى مسائل كلامية لها خطرها (٦٤) .

فمع غلبة الفقه والحديث على هؤلاء الاقطاب الأربعة لم تخل مذاهبهم من آراء كلامية ومن الخوض فى علم الكلام .

هذا عن الموقف من علم الكلام ، عرضنا فيه لأراء المخالفين للخوض فى علم الكلام ، ومدى تحفظهم فى الخوض فيه ردا على البدعة ، كما عرضنا آراء الائمة من استحسان الخوض فيه ، ويمكننا الانتهاء الى القول بأن علم الكلام — من العلوم الشرعية ، التى يستحسن الخوض فيه لغائده فى الدفاع عن الدين ، وننتقل الى بيان ، مزاياه من العلوم الشرعية .

(٦٣) قام بنشر وتحقيق هذه الرسالة ، الدكتور على سامى الدشار وعهار الطالبى ، ضمن كتاب عقائد السلف ، منشأة المعارف الاسكندرية ١٩٧٠.

(٦٤) انظر : سيرة الامام أحمد بن حنبل ، لابن الفضل صالح أحمد بن حنبل ، تحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم ، دار الدعوة الاسكندرية الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ ، ص ٤٩ — ص ٦٦ اخبار المحنة ص ٦٦ رايه فى القرآن ، ص ٧٩ قوله فى الايمان ، وابن الجوزى ٢١٥٩ ص ١٦٥ ، ص ١٦٨ ، ص ١٧٢ ، ص ١٧٦ .

والشيخ أبو زهرة : أحمد بن حنبل ١٣٦٧ هـ ص ١٣٩ — ص ١٤٠ وانظر أيضا الدكتور جلال موسى : نشأة الاسعربة وتطورها ، ص ٣٢ — ٣٦

٣ - منزلة علم الكلام من العلوم الشرعية :

يمكن القول بان علم الكلام ليس فقط واحدا من العلوم الشرعية بل هو رئيس العلوم الشرعية قاطبة ، ذلك لان سائر العلوم الشرعية مستندة اليه استناد الفرع على الاصل ، لأن فيه تثبت موضوعاتها ، طالما كان موضوعه متعلقا بالعقائد واثباتها .

فيقول الايجي في بيان مرتبة علم الكلام من العلوم الشرعية بناء على موضوعه . وغايته ، فيقول : « ان موضوعه أعم الأمور وأعلاها وغايته أشرف الغايات وأجداها ودلائله يقينية يحكم بها صريح العقل وقد تأيدت بالنقل وهي الغاية في الوثاقة ، وهذه هي جهات شرف العلم لا تعدوها فهو أشرف العلوم ... وهو العلم الأعلى فليست له مبادئ تبين في علم آخر ، بل مبادئه اما بيينة بنفسها أو مبنية فيه فهي مسائل له ، ومبادئ مسائل آخر منه لا تتوقف عليها ، لئلا يلزم الدور فمنه تستمد العلوم ، وهو لا يستمد من غيره ، فهو رئيس العلوم على الاطلاق » (٦٥) .

ويفضل التهانوي هذا القول فيقول : « والكلام هو الاصل اذ تنتهي اليه العلوم الشرعية كلها وفيه تثبت موضوعاتها وحيثياتها ، فليست له مبادئ تبين في علم آخر شرعيا أو غيره بل مبادئها مبنية بنفسها أو مبنية فيه ، فهي ، أي فتلك المبادئ المبنية فيه مسائل له من هذه الحيثية ومبادئ مسائل آخر منه لا تتوقف عليها لئلا يلزم الدور ، فلو وجدت في الكتب الكلامية مسائل لا يتوقف عليها اثبات العقائد اصلا . ولا دفع الشبه عنها فذلك من خلط مسائل علم آخر به تكثر للفائدة في الكتاب ، فمن الكلام يستمد غيره من العلوم الشرعية

(٦٥) الايجي : المواقف ص ٨ .

وهو لا يستمد من غيره أصلا ، فهو رئيس العلوم الشرعية على الإطلاق بالجملة .

فعلماء الاسلام قد دونوا لاثبات العقائد الدينية المتعلقة بالصانع وصفاته وافعاله وما يتفرع عليها من مباحث النبوة والمعاد علما يتوصل به الى اعلاء كلمة الحق فيها ، ولم يرضوا ان يكونوا محتاجين فيه الى علم آخر أصلا ، فاخذوا موضوعه على وجه يتناول تلك العقائد والمباحث النظرية التي تتوقف عليها تلك العقائد ، سواء أكان توقفها عليها مواد ادلتها ، أو باعتبار صورها . وجعلوا جميع ذلك مقاصد مطلوبة في علمهم هذا ، فجاء علما مستغنيا في نفسه عما عداه ، ليس له مبادئ تبين في علم آخر (٦٦) .

وهكذا تستند العلوم الشرعية الى عم الكلام ، فيستند اليه الفقه — مثلا — استناد الفرع على الأصل ، ذلك لان علم الفقه يرتبط بالعمل والعمل فرع على النظر والاعتقاد .

وعلم التصوف يستند اليه ايضا ، ذلك لأن التصوف يبحث في الأحكام الشرعية — نظرية كانت أو عملية — من ناحية آثارها في قلوب المتعبدین بها ، من حيث يعنى بجانب السلوك والاخلاق على أساس من التدقيق الروحي والوجدان القلبي ، ومن هنا فهو يستند الى علمي الكلام والفقه ، اذ لابد للصوفي على الحقيقة من علم كامل بالكتاب والسنة لكي يصحح اعتقاداته وعباداته ومعاملاته على اختلافها .

ولهذا يقرر الدكتور التفتازاني ان انفصال هذه العلوم (يعنى : علم الكلام ، والفقه ، والتصوف) ، والتميز بينها ، انما هو أمر اعتباري فقط ، ذلك لان هذه العلوم يمكن ان تندرج تحت اسم واحد ، هو الشريعة ، وجاء هذا الانفصال والتميز نتيجة التخصص العلمي

(٦٦) التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون ، مجلد (١) مادة كلام .

الدقيق ، وهو أمر ظهر فى الاسلام فى وقت متأخر ، أما قبل ذلك فكان اسم الفقه يطلق ليس فقط على العمليات من انشرع ، وإنما ايضا على الاعتقادات والاخلاق (٦٧) .

.. وهذه المكانة الهامة لعلم الكلام ، يمكن ان نلمسها بشكل واضح فى تصنيف العلوم عند العرب ، والذي قام عندهم على بيان تصورهم للمعرفة البشرية ، وتوضيح علاقات اجزائها بعضها ببعض موضحين ترتيب العلوم من حيث الخصوص والعموم ، ومبينين حدودها والعلاقات القائمة بينها (٦٨) .

فالمارابى ، هو أول مفكر اسلامى عني بتصنيف العلوم فى كتاب من أهم كتبه يحمل هذا العنوان هو « احصاء العلوم » (٦٩) والذي يحدد فى مقدمته غرضه من هذا الاحصاء وهو : « احصاء العلوم المشهورة فى عصره ، علما علما ، وتعين غرضها بالدقة اللازمة ، وبيان مجمل ما يشتمل عليه كل واحد منها ، واجزاء كل ماله اجزاء ومجمل ما فى كل واحد من اجزاء » (٧٠) وبهذا يستطيع الانسان ان يقايس بين العلوم فيعلم ايها افضل ، وايها اضعف ، وايها اتقن ، وأوثق وأقوى وايها أوهن ، وأوهى وأضعف (٧١) .

(٦٧) الدكتور أبو الوفا الغنيمى التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ٥ — ص ٦ .

(٦٨) انظر تفصيلا المقصود بتصنيف العلوم : الدكتور جلال موسى منهج البحث العلمى عند العرب ، فى مجال العلوم الطبيعية والكونية ، درا الكتاب اللبنانى بيروت ، الطبعة الاولى ١٩٧٣ م ص ٥٥ — ص ٥٦ وايضا الدكتور محمد على أبو ريان تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون ، بحث بمجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد التاسع ، العدد الاول ، ١٩٧٨ ، ص ٩٧ — ص ١٢٢ .

(٦٩) قام بتحقيقه تحقيقا علميا الاستاذ الدكتور عثمان امين دار الفكر العربى : القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ .

(٧٠) نفس المصدر : ص ٥٣ .

(٧١) نفس المصدر : ص ٥٣ — ص ٥٤ .

يخصص الفارابي في كتابه هذا ، الفصل الخامس لتعلم الدين
واجزائه ، علم الفقه وعلم الكلام (٧٢) .

فيقدم لنا تعريفا لعلم الكلام بانه : صناعة وهو ملكة يقتدر بها
الانسان ، على نصره الآراء ، والافعال المحدودة التي صرح بها واضع
الملة ، وتزيف كل ما خالفها بالأقوال .

ويرى ان له جزأين : الأول يدور حول الآراء ، والثاني حول
الأفعال اما ما يدور حول الآراء : فهو ما يتعلق بمسائل : التوحيد ،
و ذات الله ، وصفاته ، وافعاله ، اى ما يمس الأصول الاعتقادية .

أما ما يدور حول الافعال : فهو ما يتعلق بأفعال الانسان مثل :
الجبر والاختيار ، ومشكلة الامامة ، وغيرها من مباحث تتعلق بسلوك
الفرد والجماعة منظور اليها من جهة الفعل الانساني .

والملاحظ في تصنيفه انه يميز بين الفقه والكلام ، فيذهب الى
القول بان صناعة الكلام غير الفقه لأن الفقيه يأخذ الآراء والأفعال
التي يصرح بها واضع الملة مسلمة ويجعلها اصولا ، فيستنبط منها
الاشياء اللازمة عنها ، والتكلم ينصر الاشياء التي يستعملها الفقه
أصولا ، من غير ان يستنبط منها اخرى ، فاذا اتفق ان يكون لانسان
ما قدرة على الأمرين جميعا فهو فقيه ومتكلم ، فتكون نصرته لها بما
هو متكلم واستنباطه عنها بما هو فقيه (٧٣) .

ويمكن اعتبار هذا التمييز بين علم الكلام والفقه والذي يورده ،
الفارابي ، تمييز اعتباريا ، بدليل قوله ان الانسان يمكن ان يجمع

(٧٢) نفس المصدر : ص ١٢٤ — ص ١٣٨ ، ويعتبره الدكتور عثمان
امين بن امته فصل الكتاب ، ص ١٢ من المقدمة .

(٧٣) نفس المصدر : ص ١٣١ — ص ١٢٢ .

بينها ، فضلا عن انه يدخلهما ضمن دائرة واحدة وهي دائرة العلم المدني وهذا الربط في اعتبارنا ربط محكم للعلاقة بينهما .

ومن الملاحظ ايضا انه يعتبر علم الكلام والفقه ، صناعتين زائدتين على الفلسفة ، ومتأخرين بالزمان عنها ، وان كان يضعهما ضمن اقسام الفلسفة العملية ، وهذه نظرة صائبة في النظر الى علم الكلام ، لان علم الكلام وان اتصل بالفلسفة من حيث استخدام النظر العقلي في كل منهما على اختلاف المنهج فيهما ، الا ان علم الكلام يعد علما اسلاميا دينيا خالصا ، وليس فلسفيا ، ذلك لان صلته بالفلسفة صلة عرسية لا جوهرية ، وعلم الفقه علم اسلامي خالص لا صلة له بالفلسفة ايضا ، ولكن يبدو انه لصلة علم الكلام والفقه بالعمل قد ادرجهما ضمن القسم العملي للفلسفة ، أي اوردهما ضمن العلوم التي تتعلق بالعمل والسلوك ذك لأنه يرى ان المقصود بعلم الكلام ليس فقط حصول رأى أو اعتقاد يقيني غسب ، بل حصول صحة رأى لأجل عمل (٧٤) وهذا مما حدى بجارديه الى القول بأن تصنيف الفارابي تصنيف مصطنع ليستوعب العلوم الاسلامية كالفقه والكلام (٧٥) غير أن جاريه له موقف آخر في بحث تال لذلك يرى فيه أن وضع هذين العلمين في دائرة الفلسفة العلمية عند الفارابي انما هو ثمرة حقيقية لتوفيق بين الدين والفلسفة والتي اتسمت بها فلسفة الفارابي التوفيقية (٧٦) .

وينتهي الفارابي في هذا الفصل الى تحليل بارع يبسط فيه موقف المتكلمين ، ويصور وجهة نظرهم في الدفاع عن الدين فيذكر ان

(٧٤) الدكتور عثمان امين : مقدمة تحقيقه لاحضاء العلوم للفارابي ص ١٣ .

(٧٥) جاردية والاب منواتي : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، ج ١ . ص ١٩٢ .

(٧٦) جاردية : التوفيق بين الدين والفلسفة عند الفارابي ، مجلة الفارابي والحضارة الانسانية ، مهرجان الفارابي ، بغداد ، ١٩٧٥ ص ١٢٩

فريقا منهم يرون ان ينصروا المال بقولهم ان عقائدنا مأخوذة عن وحى
الهى ، فلا ينبغي ان نخضع للنقد ، لأن فيها أسرار الهية ، تضعف
العقول البشرية عن ادراكها (٧٧) .

واذا ما انتقلنا الى تصنيف اخوان الصفا ، نجد انهم يضعون
بطريق غير مباشر ، علم الكلام ، ضمن القسم الثالث من علومهم ،
أى ضمن مجموعة العلوم الالهية ، حيث يوردون فى هذا القسم كل
الموضوعات التى تعالج عامة ضمن مباحث علم الكلام ويبدو أنهم بهذا
يعتبرون علم الكلام جزءا من العلوم الفلسفية ولا يضعونه ضمن مجموعة
العلوم الشرعية التى افردوا لها القسم الثانى من علومهم (٧٨) .

ويبدو أن هذا رأى خاص لآخوان الصفا ، يرجع الى نزعته
الفلسفية التى جمعوا فيها مختلف التيارات الفلسفية الشائعة قاصدين
تفسير الدين تفسيراً فلسفياً عقلياً ، معتمداً على النظر الى الدين نظرة
باطنية صوفية ومعتمدين فى فهمهم للدين على العلوم الطبيعية (٧٩) .
وفد جاء تصنيف ابن النديم فى كتابه « الفهرست » مبرزاً لمكانه
علم الكلام بين العلوم ، فلقد جاء كتابه فى عشر مقالات خصص بمقاله
بأكملها لعلم الكلام وهى المقالة الخامسة فى الكلام والمتكلمين وجاءت
هذه المقالة فى خمسة فنون جاءت الاربعة الأولى منها تشرح نشأة
علم الكلام ، وتورد أسماء المتكلمين ومصنفاتهم ، فجاءت على النحو
التالى :

(٧٧) الدكتور عثمان امين : مقدمة تحقيقه لاحصاء العلوم للفارابى ،
ص ١٣ .

(٧٨) جارية وآب قنواى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام
والمسيحية ج ١ ، ص ١٩٥ .

(٧٩) حنا الفاخورى ، و خليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، دار
المعارف ، بيروت ، ١٩٥٧ ، ج ١ ، ص ٢٣٠ — ص ٢٣١ .

الفن الأول فى ابتداء أمر الكلام والمتكلمين من المعتزلة والمرجئة
واسماء كتبهم (٨٠) •

الفن الثانى : فى اخبار العلماء ، وأسماء ما صنفوه من الكتب
ويحتوى هذا الفن على أخبار متكلمى الشيعة الامامية والزيدية (٨١) •

الفن الثالث : يحتوى على اخبار متكلمى المجبرة والحشوية واسماء
كتبهم (٨٢) •

الفن الرابع : اخبار المتكلمين من الخوارج (٨٣) •

أما الفن الخامس فقد جمع فيه بين المتكلمين والصوفية معا ،
فجاء فى أسماء الرحالة ، السياح والزهاد ، والعباد والمتصوفة
المتكلمين على الخطرات والوساوس (٨٤) •

والملاحظ على تصنيف ابن النديم أنه أبرز علم الكلام بشكل واضح
فقد جعله يشغل مقاله بأكملها من ضمن عشر مقالات • كما يلاحظ أيضا
انه جمع الصوفية مع المتكلمين مما يدل على مدى الارتباط بين علمى
الكلام والتصوف — كما ذكرنا — وبخاصة فى القرن الرابع الذى عاش
فيه ابن النديم (٨٥) •

(٨٠) ابن النديم : الفهرست ، ص ١٧٢ — ص ١٧٥ •

(٨١) نفس المصدر : ص ١٧٥ — ١٧٩ •

(٨٢) نفس المصدر : ص ١٧٩ — ص ١٨١ •

(٨٣) نفس المصدر : ص ١٨٢ — ص ١٨٣ •

(٨٤) نفس المصدر : ص ١٨٣ — ص ١٩٨ •

(٨٥) قارن جاردية : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية

ج ١ ، ص ٢٠٢ •

أما الخوارزمي فقد أورد في تصنيفه الذي جاء في كتابه (مفاتيح العلوم) سائر علوم عصره ، فأوقفنا على الحياة العلمية التي كانت عليها بغداد في القرن الرابع الهجري ، وإن كان قد اقتصر في تصنيفه على وصف واحصاء العلوم ، ولم يهتم بذكر مراتبها .
واشتمل كتابه على مقالتين جاءت الأولى في ستة أبواب ذكر فيها العلوم الشرعية ، وما يتصل بها من العلوم العربية مثل الفقه ، والكلام والنحو ، والكتابة والشعر ، والعروض ، والأخبار وجاءت الثانية في تسعة أبواب أورد فيها علوم اليونان وغيرهم من الأمم وهي : الفلسفة والمنطق ، والطب ، وعلم العدد والهندسة ، وعلم النجوم ، والموسيقى ، والحيل ، والكيمياء (٨٦) .

احتل علم الكلام الباب الثاني من المقالة الأولى ، وجاءت في سبعة فصول جاءت على النحو التالي :

الفصل الأول في مواضع متكلمي الاسلام فيما بينهم (أي في المصطلحات التي يستخدمها المتكلمون) (٨٧) .

الفصل الثاني : في ذكر أرباب الآراء والمذاهب من أهل الاسلام (أي في الفرق والمذاهب) (٨٨) .

الفصل الثالث : في ذكر اصناف النصارى ، ومواضعاتهم (٨٩) .

الفصل الرابع : في ذكر اصناف اليهود ، ومواضعاتهم (٩٠) .

(٨٦) الخوارزمي : مفاتيح العلوم ، ادارة الطباعة المنيرية ، القاهرة

١٣٤٢ هـ ، ص ٥ .

(٨٧) نفس المصدر : ص ١٧ — ص ١٨ .

(٨٨) نفس المصدر : ص ١٨ — ص ٢٣ .

(٨٩) نفس المصدر : ص ٢٣ .

(٩٠) نفس المصدر : ص ٢٤ .

- الفصل الخامس : فى ذكر ارباب المال والنحل (٩١) .
- الفصل السادس : فى ذكر عبدة الاوثان من العرب واصنافهم (٩٢) .
- وهكذا جاءت الفصول الأربعة الأخيرة فى الفرق الغير اسلامية .
- الفصل السابع : فى وصف الأبواب التى يتكلم فيها المتكلمون من أصول الدين (٩٣) وفيه عرضا موجزا للمسائل التى يعالجها المتكلمون .

وهكذا احتل علم الكلام منزلة هامة فى تصنيف الخوازمى فأفرد له بابا بأكمله وإن كان قد أورده بعد الفقه ، لأقبله ويبدو أن هذا راجع — كما ذكرنا — الى ان الخوازمى كابن المنديم اعتمد تصنيفهما المعلوم على مجرد الاحصاء والوصف ، ولم يهتم كلاهما ببحث مراتب العلوم .

ونود ان نشير هنا الى مكانة علم الكلام عند الغزالى الذى أورده فى كتابه احياء علوم الدين حيث قسم العلوم الى : علوم شرعية : وعلوم غير شرعية ، ووضع علم الكلام ضمن دائرة العلوم الشرعية ،

وهو كما سبق أن اوضحنا أن علم الكلام فرض من فروض الكفايات فيقول موضحا موقف الشرع من علم الكلام : أن حاصل ما يشتمل عليه علم الكلام من الأدلة التى ينتفع بها فالقرآن والاعبار مشتملة عليه ، وما خرج عنهما فهو اما مجادلة ذمومة وهى من البدع — كما سيأتى بيانه — وأما مشاغية بالتعلق بمناقضات الفرق لها ، وتطويل بنقل المقالات التى اكثرها ترهات وهذيانات تدرجها !طباع

(٩١) نفس المصدر : ص ٢٥ — ص ٢٦ .

(٩٢) نفس المصدر : ص ٢٦ — ص ٢٧ .

(٩٣) نفس المصدر : ص ٢٧ — ص ٢٨ .

وتمجها الاسماع ، وبعضها خوض فيما لا يتعلق بالدين ، ولم يكن شيء منه مألوفاً في العصر الأول ، وكان الخوض فيه بالكلية من البدع . ولكن تغير الآن حكمه ، اذ حدثت البدع الصارفة عن مقتضى القرآن والسنة ، ونبتت جماعة لفقوا لها شبيها وزينوا فيها كلاماً مؤلفاً ، فصار ذلك المحذور بحكم الضرورة ، مأذوناً فيه ، بل صار من فروض الكفايات » .

فهو يرى هنا ان علم الكلام ، علم ينشط بظهور الشبهات ضد الاسلام ، فهو يتفق مع الامام أحمد بن حنبل في النهي عن علم الكلام ، عندما لا يكون هناك حاجة اليه ، أى نهى عنه بالنسبة للعوام ، ونهى عنه بالنسبة للخواص ، وكذلك الجوينى ، الذى قال — بعد ان قضى أكثر من ثلاثين عاماً يدفع الشبهات التى كانت سائدة حول العقيدة — « والآن ارجع الى دين العجائز » يقصد بذلك انه استخدم علم الكلام بقدر ما دفع به الشبهات ، أما وقد استقرت العقائد فى الاذهان نقيه خالصة ، فليس هناك ما يدعو الى علم الكلام (٩٤) .

وغى الرسالة اللدنية يعطى لعلم الكلام منزلة هامة فهو يعتبره من العلوم الشرعية ، التى يقسمها الى جزأين عظيمين ، الأول علم الأصول والثانى علم الفروع أو العلوم العملية .

ويضع على قمة العلم النظرى أو علم الأصول علم التوحيد والذى يسمى بعلم الكلام ، ويرى ان موضوع هذا العلم ذات الله وصفاته ، والأنبياء ، والصحابة والحياة والموت والآخرىات ويحدد أصول ذلك العلم بانها : القرآن أولاً ثم السنة ، ثم الدلائل العقلية والبراهين

(٩٤) الدكتور فوقيه حسين محمود : مدخل الى الفكر الاسلامى ص ٥٨ — ص ٥٩ .

القياسية بعد ذلك ، على أن هذه الأصول الأخيرة تستخدم المنطق واجزاؤه المختلفة استخدامها للآلة (٩٥) .

وهكذا يعطى الغزالي لعلم الكلام أهمية خاصة فى هذه الرسالة وعلى أية حال ، فمهما اختلف موقفه منه من حيث الأهمية كما ابنا سابقا ألا أن وقفه ثابت من حيث اعتباره علم من العلوم الشرعية .

أما موقف ابن خلدون من علم الكلام فيمكن ان نلمسه من خلال تصنيفه للعلوم والذي أورده فى مقدمته •

جاء تصنيف العلوم فى مقدمة ابن خلدون مبينا بوضوح العلوم التى كانت على عصره ، أى فى القرن الثامن الهجرى وهو عصر الركود والانحلال والتأخر بالنسبة للعلم والحضارة الاسلامية بوجه عام ، ولهذا غلبت على هذا العصر روح الجمع وتدوين المصنفات الضخمة ، خوفا من ضياع التراث بعد هجمات التتار وغيرهم على بلاد الاسلام ، من هنا كان حرص ابن خلدون على أن يضمن مقدمته كل ما انتهى اليه وتوفر اليه من علوم العصر ضنا بهذا التراث أن يندثر (٩٦) •

وقد صنف ابن خلدون العلوم التى كانت فى عصره الى صنفين :
الأول : صنف طبيعى للانسان : يقف عليه الانسان بطبيعة فكره وهى العلوم الحكيمة الفلسفية •

الثانى : العلوم النقلية : وهى تلك العلوم التى يأخذها الانسان عن وضعها وهى كلها مستندة الى الخبر ، عن الواضع الشرعى فهى

(٩٥) الغزالي : الجواهر الفوالى فى رسائل الغزالي ، الشهادة ١٣٥٣ هـ ، ١٩٣٤ ، الرسالة اللدنية ، ضمن الرسائل العشر .

(٩٦) الدكتور أبو ريان : تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون ، مقالة بجلة عالم الفكر ، ص ١٢٢ .

العلوم الشرعية ، ومجال العقل منحصر في هذه العلوم في الحاق
الجزئيات الحادثة بالأصول العامة التي وضعها الشارع ، أما أصل
هذه العلوم النقلية فهي الشرعيات من الكتاب والسنة ، مأخوذ بالنص
أو الاجماع ، أو اللاحق (٩٧) .

والصنف الأول : وهو القسم المختص باسم علوم الفلسفة والحكمة
ويشمل علم المنطق ، والعلم الطبيعي ، والعلم الالهي ، وعلم التعاليم
وهذا الصنف خاص بكل شعب وكل دين ، فهي علوم طبيعية للإنسان
من حيث أنه ذو فكر (٩٨) .

أما الصنف الثاني : فهي علوم خاصة بالملة الإسلامية ، وإن كانت
للملك الأخرى علوما خاصة بها ، غير أن الإسلام نسخ ما كان ثبلة من
ملل ، فنسخ علومها أيضا ، وتشمل هذه العلوم : علوم اللسان وعلوم
القرآن (القراءات والتفسير) ، وعلوم الحديث ، وعلم أصول الفقه ،
ثم علم التوحيد (أى دراسة العقائد الإيمانية) ، ثم علم الكلام ،
وهو علم الحجاج عن العقائد الإيمانية والرد على المنحرفين عن عقائد
أهل السنة والسلف ، علم التصوف وعلم تعبير الرؤيا (٩٩) .

وهكذا يورد ابن خلدون علم الكلام ، ضمن العلوم النقلية
الشرعية ، ويخصص له فصلا كاملا يعرف فيه علم الكلام ، موضحا
موضوعه ، وعوامل نشأته وتطوره ، واختلاطه بمباحث الفلسفة عند
المتأخرين ، وضرورة تمييزه عن الفلسفة (١٠٠) .

(٩٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٥ .

(٩٨) نفس المصدر : ص ٤٧٨ .

(٩٩) نفس المصدر : ص ٤٣٦ .

(١٠٠) نفس المصدر : ص ٤٥٨ — ٤٦١ .

ومع ان ابن خلدون اعتبر علم الكلام ، علما شرعيا ، وبين أهميته في الدفاع عن الاسلام ضد مخالفيه ورد شبهتهم بالدليل العقلي : الا انه من الملاحظ انه قصر مهمة علم الكلام على الرد على شبهات المخالفين لعقيدة أهل السنة والسلف ، أى يقصر مباحث علم الكلام على مستوى الموقف الأشعري ، والذي يعتنقه ابن خلدون نفسه ، وهذه النقطة تدين تصنيفه العلمى للعلوم النقلية ، فلم يتجرد لوضع تصنيف موضوعى للعلوم المعروثة فى عصره ، بل وقف موقفا خاصا به ، وأسماه بعلم الكلام ، مع أن علم الكلام قد وصل فى عصره الى قمة تطوره فانتسعت مباحثه ، وكثرت الآراء ، والمذاهب ^(١٠١) ويبدو أن موقفه هذا من علم الكلام جاء نتيجة أمرين :

الأول : رفضه لاختلاط علم الكلام بالفلسفة ، ويكاد يكون هذا الخط امرا عاما عند المتأخرين ، فأراد ان يحدد علم الكلام بعقائد السلف فقط ، لاعتقاده بان العقل معزول عن النظر فى الشرع ، فيجب التمييز بين العقائد والفلسفة ^(١٠٢) .

الثانى : أنه يرى ان علم الكلام فى عصره علم لا داعى له فينبغى أن تؤخذ العقائد من السلف وكفى . فيقول « وعلى الجملة فينبغى ان يعلم ان هذا العلم الذى هو علم الكلام ، غير ضرورى لهذا العهد على طالب العلم اذا الملحة والمبتدعة قد انقرضوا والائمة من أهل السنة كفونا شأنهم فيما كتبوا ودونوا والأدلة العقلية انما احتاجوا اليها حين دافعوا ونصروا وأما الآن فلم يبق منها ، الا كلام تنزه البارى عن كثير ايهاماته واطلاقه » ^(١٠٣) .

(١٠١) الدكتور ابو ريان : تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون ،

ص ١١٦ .

(١٠٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٦٦ .

(١٠٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٦٧ .

وهذا موقف خاص لابن خلدون من علم الكلام ، لذا يرى أنه
يجب ان يقتصر فقط على عقائد السلف *

ثم نأتى أخيرا الى موقف طائش كبرى زاده فى كتابه « مفتاح
السعادة ومصباح السيادة فى موضوعات العلوم » فهو يدرج علم
الكلام ضمن العلوم الشرعية ويجعله الشعبة الخامسة منها ، قبل الشعبة
التي يجعله الشعبة السادسة (١٠٤) ، وهو يتفق مع ما سبق أن قررره
الايجى فى «المواقف» من أن علم الكلام هو رئيس العلوم الشرعية وقد
احتل علم الكلام فى تصنيفه حيزا كبيرا (١٠٥) *

لعل ما تقدم يؤكد لنا على أصالة علم الكلام الاسلامية.. وعلى
أنه يمثل علما هاما من العلوم الشرعية الدينية ، وهو اذا كان كذلك ففى
رأينا انه علم واجب فى كل عصر ، ذلك لأن أمر الدفاع عن الدين أمر
واجب ، فضلا عن أنه لا يخلو منه عصر من العصور *

(١٠٤) طائش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة ،
ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(١٠٥) نفس المصدر : ص ١٥٠ — ٢٨٢ .

الفصل الثاني

المصادر الإسلامية لمباحث علم الكلام

- تمهيد
- موضوعات علم الكلام
- المصادر الإسلامية لمباحث علم الكلام
 - أثر القرآن الكريم
 - أثر السنة
 - مشكلات صدر الاسلام

تمهيد :

يتناول هذا الفصل البحث عن المصادر الإسلامية لمباحث علم الكلام الرئيسية ، لاثبات أن ما خاض فيه المتكلمون من موضوعات متعددة ، إنما كان ذلك بفضل توجيه المصادر الإسلامية من القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، هذا فضلا عن أن علم الكلام جاء تلبية لحاجات المجتمع الإسلامي في صدر الإسلام ، محاولا أن يجد حلولاً دينية لكل ما وقع في هذه الفترة من أحداث ومشكلات ، أفرزتها ظروف المجتمع آنذاك .

وبيان المصدر الإسلامي لمباحث علم الكلام الرئيسية التي شكلت موضوع هذا العلم عبر تاريخه ، تمهيدا للبحث عن الجذور الإسلامية لكل مبحث من هذه المباحث الكلامية .

ولقد تحددت المصادر الإسلامية في المصادر الثلاثة التالية :

الاول — القرآن الكريم :

الثاني — السنة الصحيحة .

الثالث — مشكلات الصدر الاول للإسلام :

وفيما يلي تفصيل القول في تحديد مباحث علم الكلام ، وتحديد أصولها الإسلامية .

موضوعات علم الكلام :

يمكننا أن نحدد — بشكل عام — موضوعات علم الكلام الرئيسية وذلك من خلال تحليلنا لكلام القدماء في هذا الصدد :

فيقول أبو حيان التوحيدى أن مدار النظر فى علم الكلام يدور على محض العقل فى : « التحسين والتقبيح ، والاحالة والتصحيح والايجاب والتجوز ، والاقتدار ، والتعديل والتجوير ، والتوحيد والتفكير والاعتبار فيه ، ينقسم بين دقيق ينفرد العقل به ، وبين جليل يفزع الى كتاب الله تعالى فيه : ثم التفاوت فى ذلك بين المتحلين به على مقاديرهم فى البحث والتنفيير ، والفكر والتجوير والجدل والمناظرة والبيان والمفاضلة والظفر بينهم بالحق سجال ولهم عليه مكر ومجال^(١) .

لقد جمع أبو حيان التوحيدى علم الكلام والفلسفة والسوف وهو يعد — بوجه عام — واحد من جملة الذين خاضوا فى علم الكلام الذى درسه على يد عالمين جليلين هما : أبو بكر السيرافى ، وعلى ابن عيسى الرمانى صاحب التفسير ، والنوحيدى حين يستعرض لنا موضوعات علم الكلام ، فهو ينسب الى علم الكلام فى عصره ومدى ازدهاره فلقد كان مدار البحث فى علم الكلام يدور حول البحث فى المذات والصفات ، أى التوحيد ، وموضوع العدل أيضا ، وكان العقل آداة البحث^(٢) .

(١) أبو حيان التوحيدى : ثمرات العلوم ، ص ١٩٢ .

(٢) لقد روى أبو حيان التوحيدى الكثير من المناقشات فى هذا الصدد (انظر : أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ص ١٨٩ ، ص ١٩٦ ؛ كما أثار فى « هوائله » الكثير من الاشكالات الفلسفية والكلامية حول : صفات الله ، والتوحيد ، والتشبيه كما خاص أيضا فى الجبر والاختيار ، والموت ، والمعاد والوجود والعدم ، والعقل والشرعة ..

(انظر : الهوامل والشوامل ، بتحقيق أحمد أمين ، والسيد أحمد صقر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٥١ ، ص ٥٥ — ص ٥٦ ، ص ١٢٣ ، ص ٢٧٨) ، وانظر أيضا (المقاييسات ، بتحقيق حسن السندوبى ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، ١٩٢٩ م ، ص ١٨٦ — ص ١٨٧ ، ص ١٥١ — ص ٢٧) وقد استنكر النوحيدى بوجه عام الجدل الذى دار حول الذات والصفات ، معترفا بقصور العقل البشرى عن الاحاطة بالذات الالهية ،

=

كما يرى الايجي صاحب كتاب المواقف أن موضوع علم الكلام هو المعلوم من حيث يتعلق به اثبات للعقائد الدينية تعلقا قريبا أو بعيدا .

« وقيل هو ذات الله ، تعالى : اذ يبحث فيه عن صفاته وأفعاله في الدنيا كحدوث العالم ، وفي الآخرة كالحشر ، واحكامه فيهما كبعث الرسل ، ونصب الامام ، والثواب والعقاب ، وفيه نظر من وجهين :

الاول : انه قد يبحث فيه عن غيرها كالجواهر والاعراض ، لا من حيث هي مستندة اليه تعالى — لا يقال ذلك على سبيل المبدئية — لأنها نقول ليس ذلك في الامور اليقينية بذاتها ، فلا يبين بيانه في علم ، مان بين في هذا العلم فهو من مسائله ، أو في علم آخر ، كأن ثمة علم أعلى منه شرعى ، وانه باطل اتفاقا .

الثاني : أن موضوع العلم لا يبين فيه وجوده ، فيلزم أما كون

=

منزها اباهما من كل تشبيه ونجسيم ، وهو في هذا لا يقر بقول المعزلة بنفى الصفات ، كما لا يقول بابيات الصفات ، لأنه يرى أن الابيات للصفات تؤدي الى نفى الصفات !! كما أن نفى الصفات يؤدي الى انباتها وينتهى الى القول باننا في كلتا الحالتين نقول عن الله ما لا تعلم ؟ ! ، لذلك نراه يقرر بعجزنا التام عن ادراك الذات الالهية أو وصفها لهذا نراه يناجى الذات الالهية بنغمة لا تخلو من روح صوفية تنأى عن الجدل في الصفات بقوله : « الهى كل ما أقوله فأنت فوقه وكل ما اظهره فأنت أعلى منه ، فالتقول لا يأتي على حقا في نعمتك ، والضمير لا يحيط بكنهك ، وكيف نقدر على شيء من ذلك وقد ملكتنا في الاول حين خلقتنا ، وقدرت علينا حين صرفتنا ؟ فالتقول وان كان فيك فهو منك ، والخاطر وان كان من أجلك فهو لك ، ومن الجهل أن أصفك بغير ما وصفت به نفسك ، ومن سوء الادب أن أعرفك بغير ما عرفتني به حقيقة » انظر : الاشارات الالهية ، تحقيق ونشر الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ١٩٥٠ ، الجزء الاول ، ص ٢١٨ ، وانظر ص ٢٧٩ — ص ٢٨٠ .

اثبات الناصر بينا بذاته ، أو كونه مبينا فى علم أعلى ، والقسمان باطلان .

وقيل : هو الموجود بما هو موجود ، ويمتاز عن الالهى باعتبار ، وهو ان البحث ههنا على قانون الاسلام ، وفيه أيضا نظر من وجهين : الاول : انه قد يبحث فيه عن المعلوم والحال ، وعن أمور لا باعتبار أنها موجودة فى الخارج كالنظر والدليل ، واما الوجود فى الذهن فهم لا يقولون به .

الثانى : قانون الاسلام ما هو الحق من هذه المسائل ، وبهذا القدر لا يتميز العلم ، كيف ، وكل يدعى ذلك مع أن المخطئ من أرباب علم الكلام ، وإن كفر أو بدع ، (٣) .

وهكذا يوضح لنا الايجى — أيضا — أن موضوعات علم الكلام تدور حول الذات الالهية ، وما يتعلق بها من صفات ذات ، وصفات أفعال فى الدنيا ، كخلق العالم ، وما يتفرع عليه من البحث فى الجواهر والاعراض لبيان حدوث العالم وخلقته ، وأفعاله فى الآخرة ، كالبعث والاستدلال عليه ، والثواب والعقاب ، وهذه الموضوعات تمثل البحث فى أمهات المسائل الميتافيزيقية الفلسفية ، غير أن البحث فيها فى علم الكلام — كما يذكر الايجى — يكون على مقتضى قانون الاسلام ، أى على مقتضى ما جاء به القرآن الكريم والسنة الصحيحة ، لا على مقتضى العقل المحض ، فيكون دور العقل دور المستدل عليها ، لا المنفىء لها .

ويذهب سعد الدين التفتازانى الى قول قريب من هذا فى تحديد موضوعات علم الكلام ، فيرى أن مسائل القضايا الشرعية الاعتقادية وغايتها تجلية الايمان بالايقان ، ومنفعته الفوز بنظام المعاش ، ونجاة

(٣) الايجى : الموافقات ، ص ٨ .

المعاد ، فهو أشرف العلوم ، والمتقدمون متفقون على أن موضوعه الوجود من حيث هو ، ويتميز عن الالهى بكون البحث فيه على قانون الاسلام أى ما علم قطعا من الدين : كصدور الكثيره عن الواحد ، ونزول الملك من السماء ، وكون العالم محفوظا بالعدل ، والفناء الى غير ذلك مما تجزم به الملة دون الفلسفة وقيل موضوعه : ذات الله وحده ، أو مع ذات الممكنات من حيث استنادها اليه ، لما انه يبحث عن ذلك ولهذا يعرف بالعلم الباحث عن أحوال الصانع من صفاته الثبوتية والسلبية وأفعاله المتعلقة بأمر الدنيا والآخرة أو عن أحوال الواجب وأحوال الممكنات فى المبدأ والمعاد على قانون الاسلام (٢) .

ويؤكد الجرجاني فى التعريفات على نفس هذه الموضوعات وأنها تبحث فى علم الكلام على مقتضى قانون الاسلام ، أى بما ورد فى الكتاب والسنة الصحيحة . فيقول « الكلام : علم يبحث فيه عن ذات الله تعالى وصفاته ، وأحوال الممكنات ، من المبدأ والمعاد ، على قانون الاسلام ، والقيّد الأخير (أى على قانون الاسلام) لخراج العلم الالهى للفلسفة ، فهو يرى اخراج البحث الفلسفى الميتافيزيقى عن دائرة البحث فى علم الكلام ، على اعتبار أن هذه الموضوعات وان كانت من أمهات المسائل الميتافيزيقية ، الا أنها تبحث فى علم الكلام ، وفق الاصول الاسلامية ، وليس وفق العقل المحض ، ومن هنا يدخل فى علم الكلام البحث فى السمعيات من المعاد ، والثواب والعقاب ، وما يتعلق به من البحث فى الجنة والنار ، والصراط ، والميزان ، والبحث فى هذه الموضوعات يكون وفق القواعد الشرعية الاعتقادية المكتسبة عن الادلة (٥) .

(٤) سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسفية ، طبعة الاستانة ١٣٢٦ هـ ، على متن العقائد لنجم الدين النسفى ، وبهامش حاشية الكستلى ، ويليه حاشية الخبلى ، ص ١٥ .
(٥) الجرجانى : التعريفات . المطبعة الخيرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٠٦ هـ ، ص ٨٠ .

كما يؤكد على ذلك أيضا طاش كبرى زاده ، فيذكر أن موضوع علم الكلام « ذات الله سبحانه وتعالى ، وصفاته ، وذلك عند المتقدمين وقيل موضوعه : الوجود من حيث هو موجود ، وانما يمتاز عن الالهى الباحث عن أحوال الوجود المطلق ، باعتبار الغاية ، لأن الباحث فى الكلام على قواعد الشرع ، وفى الالهى على مقتضى العقول . »

وعند المتأخرين ، موضوع علم الكلام ، المعلوم من حيث يتعلق به اثبات العقائد تعلقا قريبا أو بعيدا ، وأرادوا بالدينية المنسوبة الى نبينا محمد صلوات الله عليه وسلامه ، وذلك بأن يسلم المدعى منه ثم يقام عليه البرهان العقلى ، وهذا التسليم : هو معنى التدين اللائق بحال المكلفين ، حتى لو لم يؤخذ منه لا يعد كلاما ولا علما دينيا وان وافقه فى الحقيقة لفوات أمر التدين بل يعد من الأمور الحكمية وبالجملة يشترط فى الكلام أن يكون المقصد منه تأييد الشرع بالعقل وأن تكون العقيدة مما وردت فى الكتاب والسنة ولو فات أمر هذين الشرطين لا يسمى كلاما أصلا .

ولما لم يلزم من قصد موافقة الشرع الموافقة فى نفس الأمر عند بعضهم كلام أهل الاعتزال من الكلام ، وان لم يوافق الكتاب والسنة فظهر من هذا التفصيل أن الكلام من العلوم الشرعية ، ولكن اذا كان على طريقة الكتاب والسنة ، وأن هناك كلاما مموها يشبه الكلام وليس بذاك ، ككلام أهل الاعتزال وأمثاله فذلك علم شرعى باعتبار مسائله وعلم غير شرعى باعتبار دلائله » (٦) .

وهكذا يعتبر طاش كبرى زاده أن الموضوع الرئيسى لعلم الكلام هو اثبات فى المسائل العقائدية ، لبيان صدقها بدليل العقل انطلاقا من التسليم بصحتها ، لأن أعمال العقل فيها ليس لأنها محل شك من

(٦) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة . ج ٢ ،

ص ١٥٠ - ص ١٥١ .

المتكلم ، بن المتكلم مسلم بها ومعتقدا بصحتها اعتقادا جازما ، وانما يود تأييدها بالدليل العقلي لدفع الشبه عنها وتوكيدها ، فيكون القصد من علم الكلام تأييد الشرع بالعقل ، فالعقل مثبت لا منقضى ، لهذا فهو يعد علم الكلام علما شرعيا باعتبار مسائلة ، وطرق أدلته ، ولعل اقتصاد وطاش كيرى زاده فى استخدام العقل ، جعله يحكه على علم الكلام المعتزلى ، بأنه يدخل فى علم الكلام باعتبار مسائلة ، أى اعتبار موضوعه ، ولكن لا يدخل فى علم الكلام بمعناده الشرعى باعتبار أدلته لاعتماده على العقل وبراهينه أكثر من اعتماده على النقل ، وفى اعتقادنا أن هذا تحاملا على المعتزلة ، فجعل اهتمامهم كان منصبا على الادلة الشرعية .

ويورد لنا انتهانوى فى « كشفه » ثبوتا موسعا لموضوعات علم الكلام فيقول : وموضوعه : هو المعلوم من حيث أنه يتعلق به اثبات العقائد الدينية تعلقا قريبا أو بعيدا ، وذلك لأن مسائل هذا العلم : اما عقائد دينية كاثبات القدم ، والوحدة للصابغ ، واما قضايا تتوقف عليها تلك العقائد : كتركيب الاجسام من الجواهر الفردة ، وجواز الخلاء ، وانتقاء الحال ، وعدم تمايز المعدومات المحتاجة اليها فى المعاد ، وكون صفاته تعالى متعددة موجودة فى ذاته .

والشامل لموضوعات هذه المسائل هو المعلوم المتناول للموجود المعدوم ، والحال فان حكم على المعلوم بما هو من العقائد تعلق به اثباتها تعلقا قريبا ، وان حكم عليه بما هو وسيلة اليها تعلق به اثباتها تعلقا بعيدا مرات متفاوتة .

وقد يقال المعلوم من الحيشية المذكورة ، يتناول محمولات مسائلة أيضا . فأولى أن يقال : من حيث أنه يثبت له ما هو من العقائد أو وسيلة اليها — وقال القاضى الأرموى : موضوعه ذات الله تعالى : اذ يبحث فيه عن عوارض الذاتية التى هى صفات الثبوتية والسلبية وعن

أفعاله : اما فى الدنيا كحدوث العالم ، واما فى الآخرة كالحشر وعن أحكامه فيها : كبعث الرسل ، ونصب الامم فى الدنيا من حيث انهما واجبان عليه تعالى ، أولا ، والثواب والعقاب فى الآخرة من حيث أنهما يجبان عليه ، أم لا •

وفيه بحث : وهو أن موضوع العلم ليبين وجوده فيه ، أى فى ذلك العلم ، فيلزم اما كون اثبات الصانع مبينا بذاته ، وهو باطل ، أو ، كونه مبينا فى علم آخر ، سواء أكان شرعيا أولا ، على ما قال الأرموى وهو أيضا باطل ، لأن اثباته تعالى المقصود الاعلى فى هذا العلم •

وأيضا : كيف يجوز كون أعلى العلوم الشرعية أدنى من علم غير شرعى ؟ بل احتياجه الى ما ليس عاما شرعيا مع كونه أعلى منه مما يستتكر جدا •

وقالت طائفة ومنهم حجة الاسلام « العزالى » موضوعة : الموجود بها هو موجود ، أى من حيث هو غير مقيد بشئ ويمتاز الاسلام عن الالهى باعتبار أن البحث فيه على قانون الاسلام ، لا على قانون العقل وانق الاسلام أولا ، كما فى الالهى •

وفيه بحث أيضا : اذ قانون الاسلام ما هو الحق من هذه المسائل الكلامية ، اذ المسائل الباطلة خارجة عن قانون الاسلام قطعا مع أن المخطئ من أرباب الكلام ، ومسائلة من مسائل علم الكلام (٧) •

من خلال استعراض أقوال القدماء فى موضوع علم الكلام يمكن القول بأن هذه الموضوعات تمثل فلسفة متكاملة للإسلام فى الحقيقة فهى تشمل البحث فى الانهيات ، والعالم ، والانسان بحثا قائما على أصول اسلامية من الكتاب والسنة ، فتبدأ هذه الفلسفة بأول موضوع

(٧) التهانوى : كشف اصطلاحات الفنون • مادة كلام •

وأهمه وهو البحث في الذات الالهية بعد الاستدلال على وجوده تعالى والبحث في أوصافها من : الوجود ، والعدم ، والبقاء ، والمخالفة للحوادث والقيام بالنفس ، والوحدانية •

ثم البحث في صفات الذات من : العلم والقدرة ، والحياة والسمع والبصر ، والكلام ، والارادة ، وقد أضاف بعض المتكلمين (الأسماء) أى أسماء الله الحسنى الى الصفات • ويدخل فى هذا الجانب البحث فى مشكلة التنزيه ، ورؤية الله تعالى بالأبصار فى دار القرار ، وخلق القرآن •

ثم البحث فى أفعاله تعالى ، الذى يعد مدخلا للبحث فى الافعال الانسانية ، ومدى علاقتها بأفعاله تعالى ، وأيضا البحث فى الحسن والقبح العقليين لتعلقهما بمبحث أفعال الله تعالى ، واتصافها بالحكمة والعدل ، ويدخل فى هذا الجانب البحث فى : التكليف ، وغايته وشروطه ، والوعد والوعيد ، وفعل الاصلح ، واللفظ ، والعوض ، وواضح أن هذا الجانب الالهى يتصل بالبحث فيه بالجانب الانسانى من حيث تكليف الانسان ، واستطاعته على ذلك التكليف والثواب والعقاب المرتبط بالتكليف والبحث فى الحسن والقبح العقليان وهل قيمة الافعال فى ذاتها مستقلة عن ارادة الله تعالى ، أم مردها الى الشرع وأوامره ، وهذا مبحث فى صميم الاخلاق الاسلامية فضلا عن أن له صلة وثيقة بمدى الصلة بين الشرع والعقل وله صلة وثيقة بالنبوة وتفسيرها ومدى الحاجة اليها ، التى هى أول موضوع فى مبحث السمعيات وعليها يترتب البحث فى الحشر ، والبعث ، والجزاء والمعجزات وأحوال القيامة ••• الى آخر مباحث السمعيات •

وهكذا اتصل البحث فى الالهيات بالبحث فى الانسان على أن كلا المبحثين يتصلان بالبحث فى العالم ، حيث خلقه ، والاستدلال على أن الله تعالى الخالق البارئ المصور ، وكيفية الخلق ، وصلة الله تعالى

بالعالم تلك الصلة التي يحكمها العدل برباط وثيق : ويتطلب البحث في العالم وخلقة البحث في الجوهر والعرض والخوض في جوانب طبيعية فلسفية ، كالببحث في الوجود والمعدوم ، والقدم والحدث والوجوب والامكان ، والوحدة والكثرة ، والسلة ، العلول ، والزمان والمكان ... الى آخر هذه المباحث الطبيعية والتي استعان بها المتكلمون لعايات دينية .

وهذه هي الموضوعات الكبرى التي خاض فيها المتكلمون والتي كونت فلسفة اسلامية حقيقية اعتمدوا فيها على المصادر الاسلامية من القرآن والسنة الصحيحة ، فتناولت البحث في الالهيات ، والعالم والانسان ، ويهنا الآن أن نتبين هل لبحت المتكلمين في هذه الجوانب الفلسفية الكبرى أصولا من المصادر الاسلامية .

على أننا نود أن نشير الى أن المتكلمين قد قدموا لبحثهم في هذه الموضوعات الكبرى بمقدمات يمكن القول بأنها تمثل نظرية للمعرفة عند المتكلمين من حيث هي تشمل البحث في المعرفة ومبادئها وحججها وأحكام النظر ، وهذه المقدمة تعد مقدمة هامة ، من حيث هي تبين لنا مدى امكانية الانسان في تحصيل المعرفة ، تلك النظرية التي تطورت عند المتكلمين بالكلام عن مضادات العلم من الظن والشك والتقليد والوهم والالهام ، ومصادر العلم من المحسوسات والمجريات والمشاهدات والاوليات والبدييات والمتواترات الى أن أصبحت نظرية متكاملة في العلم ابتداء من القرن السادس الهجري وحتى القرن التاسع، ثم اتحدت بمبحث الوجود بعد ذلك (٨) .

(٨) الدكتور حسن حنفي ، دراسات اسلامية ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة العربية الاولى ، ١٩٨٢ ، ص ١٤ ص ١٦ .

المصادر الاسلامية لمباحث علم الكلام

أولاً - القرآن الكريم :

لقد كان القرآن الكريم بحق أعجب حادث فى تاريخ البشرية ، نزل ليخاطب البشر جميعا ، به انتقل العرب الى نور العلم والمعرفة فكان الاساس لحضارتهم التى ازدهرت قرونا ، فأشاعت فى العالم كله نور الهدى والمعرفة ، ودفعت بالانسانية الى حب الحياة ، والسعى الى تعمير الأرض وتسخير الطبيعة ، لتؤدى غايتها فى نفع الانسان الذى كرمه الله تعالى ، وجعله أشرف مخلوقاته ، وخليفته على أرضه .

ولم يكن القرآن الكريم ، عند الصحابة والتابعين - كتاب دين جاء ليضع أسس العبادات ، أو جاء لبث المواعظ الاخلاقية بدعوته الى مكارم الأخلاق ، أو تاريخا لقرون ماضية أهملها التاريخ ، أو لم يصل الى معرفته بها ، ليكون فى ذكر تاريخها عظة وعبرة ، لم يكن القرآن الكريم عندهم كل هذا فحسب ، بل كان فوق ذلك ، كتاب ميتافيزيقى يصور الالوهية فى صورتها النهائية ، وكتاب فيزيقى يحدد حقائق الطبيعة وقوانينها ، وكتاب أخلاقى يضع قواعد السلوك الانسانى وكتاب فى السياسة يحدد أسس الحكم والعلاقات الدولية . . . كان فوق كله كتاب المعرفة الشاملة الذى لم يترك جانبا من جوانب الفكر والعمل ، أو الدين والشريعة ، الا وقد تناوله ، فهو بحق وضع الخطوط الرئيسية للوجود كله منذ نشأته وحتى فنائه (٩) .

اجتهد المسلمون - منذ البداية - أن يتلمسوا فى القرآن الكريم أصول تفكيرهم ، وان يطمئنوا الى أحكامه الكلية ، وان يجتهدوا ما شاء

(٩) الدكتور على سامى النشار : نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام

ج ١ ، ص ٣١ ص ٣٢ .

لهم الاجتهاد فى محيطه الواسع ، فوجدوا فيه ما يتعلق بالالوهية والعالم والانسان ، بمعنى آخر وجدوا فيه أصول فلسفتهم الدينية التى تدفعهم الى الفكر والعمل معا ، لا مجرد الفلسفة التأملية النظرية فأتد دعاهم القرآن الى التقيد به والعمل باحكامه ، والسلوك على أساسه لا الى مجرد تأمل اللفظ والوقوف عند التأمل النظرى بل للعمل والسلوك .

من هنا اجتهد المسلمون — منذ البداية — لفهم معانى القرآن ومرامى أقواله ، والعمل به ، ولقد أورد ابن تيمية من الآثار والأخبار عن النبى ﷺ والمصاحبة ما يفيد عناية الصحابة بتفهم القرآن واستخراج العلم منه والعمل (١٠) . ولذا اتجه المسلمون الى تفسير القرآن نظهر علم التفسير فى وقت مبكر ، لفهم القرآن ، وبيان معانيه ، واستخرج احكامه وتعاليمه ، ذلك العلم الذى تطور فيما بعد باستعانتة بعلوم أخرى كعلوم اللغة ، والنحو والصرف ، لضبط الناطقة ومعانيه ، وبعلم كعلم الفقه وأصوله للكشف عن أحكام القرآن وتشريعاته وأدلة هذه الاحكام ، وأيضا بمعرفة أسباب النزول ، كما استفاد فى طوره المتقدم بعلم الكلام ، الذى نشأ بفضل النظر فى القرآن — كما سنبين — للاستدلال على العقائد وتأييدها بالأدلة والبراهين والحجج ، وليبين ما يجب فى حق الله تعالى وما لا يجب وما يستحيل ، كذلك استفاد بعلوم البلاغة للكشف عن وجوه الاعجاز البلاغية فيه الى آخر هذه العلوم التى نشأت حول القرآن وتفسيره .

واختلفت مناهج المفسرين فمنهم من وقف عند النص الظاهر مانعا من استخدام الرأى والعقل فى التفسير (١١) ومنهم من أباحه (١٢)

(١٠) ابن بيهية : مقدمة فى أصول التفسير ، منشورات دار الحياة بيروت ، بدون تاريخ ص ٩ .

(١١) نفس المصدر : ص ٣٩ — ص ٤٦ وقد أورد ابن تيمية الكثير من الاحاديث والاخبار والآثار التى تنهى منع استخدام الرأى فى تفسير القرآن الكريم والذى يعتبره حراما .

(١٢) وهناك من أباح استخدام الرأى فى تفسير القرآن الكريم لدعوة

(١) أثر الآيات المتشابهات فى نشأة علم الكلام :

ولقد شغل المفسرون بعامة سواء منهم من أباح التفسير بالرأى أو من منعه بالآيات المتشابهات فى القرآن الكريم . تلك الآيات التى أثارت تفسيرات وتأويلات مختلفة ، مما دعا العقل الى النظر فيها وذلك لأن القرآن قد ترك التحديد فيها أحيانا ، مما دفع العقل الى التفكير لفهم المقصود منها ، فترك الباب مفتوحا بازاء هذه الآيات فلم يلزم المسلم بمراده بمعنى معين ، على نحو ما نجد فى الآيات المحكمة التى حدد مرادها تحديدا قاطعا (١٢) ،

فقد أثارت على سبيل المثال — الآيات المتعلقة بالجبر والاختيار نقاشا عقليا بين منكر للحرية ومثبت لها ، لأن هذه الآيات تركت الباب مفتوحا للقول بالجبر أو القول بالحرية ، ولم تغطع برأى بعينه ومن هنا

==

القرآن الكريم الى التدبر والتأمل لآياته (انظر الدكتور عبد الله شحاته : منهج الامام محمد عبده فى تفسير القرآن الكريم ، مطبعة جامعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٨١م ، ص ٨٣ وما بعدها) .

(١٢) من دلائل اعجاز القرآن الكريم انقسام آياته الى آيات محكمة ومتشابهة ، والمحكم هو الذى احكمه الله ، أى فصله عن الاشتباه بغيره وفصل به ما ليس منه يقول ابن تيمية : فان الاحكام هو الفصل والتمييز والفرق والتحديد الذى به يتحقق الشئ ويحصل اتقانه ، ولهذا دخل فيه معنى المفع (ابن تيمية : الاكليل فى التشابه والتأويل ، مكتبة انصار السنة المحمدية ، مصر ، الطبعة الثانية : ١٢٦٦ هـ — ١٩٤٧م ، ص ٧) المحكم ايضا جعله متقنا واضح الدلالة ، متمسكا عن الفساد (انظر ابن منظور : لسان العرب مادة حكم) وهكذا تكون الآيات المحكمة آيات واضحة لا غبوض فيها ولا فساد (انظر محمد اسماعيل ابراهيم : معجم الالفاظ والاصطلاح القرآنية ، دار الفكر العربى ، القاهرة : ١٩٦٨م مادة حكم) والمتشابه لغة هو المشكل ، والمنماثل والمثلث : (انظر قوله تعالى : منه آيات محكمات وأخر متشابهات) وقيل معناه يشبه بعضها بعضا (انظر لسان العرب مادة : شبه ..

بدأ العقل يتساءل : كيف يمكن أن يكون الإنسان مختاراً ومجبوراً في آن واحد ؟ ثم هل للإنسان ارادة يدبر بها ؟ ، وما صلة هذه الارادة بارادة الله تعالى ؟ وما معنى اختيار الإنسان اذا كان له اختيار ؟ ، وما معنى كون الإنسان مجبوراً اذا كان لا يفعل الا بفعل الله تعالى ؟ وكيف يتم التكليف مع كونه مجبوراً ، وكذلك ما تفسير الثواب والعقاب مع القول بالجبر ؟ ، كل هذه تساؤلات عرضت للعقل الإنسانى عندما أمعن فى فهم نصوص القرآن الكريم ، مما دعاه الى الاجتهاد فيها وقد ظل الإنسان فى ادبارها يفكر وينظر .

كما أثارَت أيضاً الآيات المتعلقة بالصفات نقاشاً عقلياً حولها ذلك أن بعضها قد أشار الى تشبيه أو تجسيم — اذا أخذت على ظاهرها من قبيل تلك الآيات التى ورد فيها ذكر الوجه واليد والجنب والاستواء والى جانبها الآيات التى أشارت الى التنزيه ، مثل قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » وهى آية محكمة واجبة الاعتقاد ، ومن هنا أثارَت هذه الآيات نقاشاً عقلياً حول الصفات وعلاقتها بالذات .

وهكذا كانت نصوص القرآن الكريم من العوامل التى دعت الى ظهور علم الكلام ، فيما يقول الدكتور التفتازانى ، ذلك لأن هذه النصوص اما أن تكون اثارَت فى عقول بعض المسلمين حب البحث فى العقائد الاسلامية ، وتقصى العقائد المخالفة لها ، أو لأن بعض هذه النصوص من قبيل التشابه الذى لا يدرك كنه معناه ، كبعض الآيات فى الصفات وقد أدى تأويل بعض أهل الأهواء لمثل هذه التشابهات الى مشكلات عقائدية عويصة كانت فيما بعد موضوعاً عاماً لذلك العلم (١٤) .

يمكننا أن ننتهى الى القول بأن للقرآن الكريم أثراً بالغاً فى نشأة علم الكلام .

(١٤) الدكتور أبى الوفا التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ١٤

ولقد بنى بعض المستشرقين على أثر القرآن الكريم فى نشأة علم الكلام آثارا بالغة الخطورة ، فذهب جولد زيهر الى القول : بأن علم الكلام جاء محاطة من المتكلمين لايجاد نسق مذهبى متجانس يسد الثغرات ويستبعد المتناقضات بين آيات الكتاب ، وضرب على ذلك مثالا بمشكلة الحرية فيذهب الى القول بأنه يمكن أن تستدل من الآيات القرآنية على الرأى وضده فى هذه المسألة (١٥) وانتهى أيضا دى بور الى نفس الرأى (١٦) .

وهذه دعوى قديمة ، وقد عنى القاضى عبد الجبار (١٧) بالرد عليها وهو فى معرض رده على الملاحدة ، وهى دعوى قائمة على عدم فهم لطبيعة القرآن الكريم ، وهى أن وروده محكما ومتشابهها جاء لحكمة منه تعالى وهو أن يظل العقل الانسانى باحثا فى القرآن الكريم ، فهو حمال أوجه وقد استوعب الحقيقة كاملة ، فلو اقتضت آياته على ناحية واحدة ، لئلا له ما نال المذاهب الفلسفية من قصور ، وفى هذا يقول فخر الدين الرازى : لو كان القرآن محكما بالكلىة ، لما كان مطابقا الا لمذهب واحد ، وكان تصريحه مبطلا لكل ما سوى ذلك المذهب وذلك ما ينفرد أصحاب المذاهب الأخرى عن قبوله وعن النظر فيه (١٨) .

وكذلك لو كان القرآن الكريم محكما كله — وهذا جائز من الله تعالى — لتعلق الناس به لسهولة مأخذه . ولارتكوا الى طريق التقليد

(١٥) جولد زيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام . ترجمة محمد يوسف موسى وآخرون ، القاهرة ١٩٦٦ ص ٦٧ — ص ٦٩ .
(١٦) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام . الترجمة العربية ، ص ٦٦ — ص ٧١ .

(١٧) القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، مكتبة وهبة ، القاهرة ١٩٦٥ م ، الطبعة الاولى ، ص ٥٩٨ — ص ٥٩٩ .
(١٨) الرازى : التفسير الكبير ، ج ٢ ص ١٠٧ — ص ١٠٦ .

والتأمل غيه ، ومن خلال التدبر العفلى للقرآن ارتقى العقل الاسلامى
وكون العلم ، الذى كان أساسا لحضارة مزهرة ، على أن هذه الآيات
المتشابهات جاءت فى فروع الاعتقاد دون اصوله (١٩) .

وفى الحقيقة ليس ثمة تعارض بين متشابه القرآن ومحكمة
ومن هنا حاول المتكلمون تدبر الآيات القرآنية ، وحمل المتشابه على
المحكم منها بالتأويل على قدر ما تسمح قواعد التأويل التى وضعها .

وانى هذا النظر فى الآيات المتشابهات يعزى المؤرخون نساء
علم الكلام ، فهذا هو ابن خلدون يذهب الى أن ما أثارت الآيات
المتشابهات دعا الى التناظر والاستدلال بالعقل زيادة على النقل فنشأ
علم الكلام (٢٠) .

(ب) احتواء القرآن الكريم على ذكر العقائد المخالفة والرد عليها :

إذا كان غرض علم الكلام وغايته هو الدفاع عن الدين ضد
مخالفة ، مما دعا المتكلمين الى دراسة الأديان المخالفة تمهيدا للرد
عليها ، فان المتكلمين قد وجدوا فى القرآن الكريم نموذجا يمكن أن
يحتذى فى هذا الصدد . فلقد احتوى القرآن الكريم على ذكر العقائد

(١٩) فى تفصيل القول بحكمة ورود القرآن محكما ومتشابهها انظر على
سبيل المثال : القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ص ٥١٨ — ٦٠٠
ومتشابه القرآن بحقيق الدكتور عدنان زرزور ، دار التراث ، القاهرة ،
١٩٦٩ ، وتنزيه القرآن عن المطاعن القاهرة ، ١٣٢٩ هـ ، وابن حزم : الاحكام
فى اصول الاحكام تصحيح أحمد محمد شاكر ، مطبعة السعادة ، مصر الطبعة
الاولى ١٣٤٥ — ١٣٤٨ هـ ، ج ٤ ، ص ١٢١ ، ١٢٥ .

والزمخشري : الكشف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون الاقوال
فى وجود التأويل ، المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ،
١٣٤٣ هـ وابن قتيبة ، الاكليل فى المتشابه والتأويل ص ٧ — ٤٧ .

(٢٠) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٣ .

المخالفة للإسلام ، وعلى الحجج انداحضة لها ، فكان ذلك من العوامل التي أثارت عقول المسلمين الى البحث في العقائد وكيفية الدفاع عنها ضد العقائد المخالفة (٢١) .

فمن الآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر العقائد والمذاهب المخالفة للإسلام قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ، ان الله يفصل بينهم يوم القيامة ان الله على كل شيء شهيدا » (٢٢) .

وقوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا ، فلهم أجرهم عند ربهم » (٢٣) . مثل هذه الآيات لا بد وأن تثير عند قرائها تساؤلات ، حول تلك العقائد والمذاهب والأديان المخالفة ، وحول الفرق بين كل منها وبين العقيدة الإسلامية (٢٤) .

كما ذكر القرآن الكريم الرد على هذه الديانات والعقائد المخالفة للإسلام ، على نحو رده على الدهرية الذين قالوا : « وما يهلكنا الا الدهر » وكانت عقيدتهم تقوم على نزعة شكية سادت بين معتقبيه وحالت بينهم وبين الايمان بالخالق والخالق فانكروا الصانع المدبر للعالم زاعمين ان العالم لم يزل موجودا كذلك بنفسه لا يصانع فلم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من حيوان كذلك كان ، وكذلك يكون أبدا فلا شيء خارج النطفة فهي مستكفية بنفسها عن خالق بوجودها (٢٥) .

(٢١) الدكتور أبو الوفا التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٧

(٢٢) سورة الحج آية ١٧٨ .

(٢٣) سورة البقرة آية ٦٢ .

(٢٤) الدكتور أبو الوفا التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٨

(٢٥) الشريف المرتضى : إمامي المرتضى ، القاهرة ، الطبعة الاولى

١٣٢٥ هـ ، ج ١ ص ٨٨ .

والغالب أن الايمان بالدهر من ديانات الفرس القديمة والتي المغيت فيها النظرة الاثنيينية فى نشأة العالم ، فجعلوا الدهر هو المبدأ الأسمى ، فهو عندهم عين القدر أو الفلك الاعظم (٢٦) .

ولقد ساد هذا الاعتقاد بين العرب قبل الاسلام حيث صورته القرآن الكريم كما بينا ، ولقد استمرت هذه الفزعة المادية والنشكية بعد الاسلام ، وتصدى لها متكلمو الاسلام ، وما زالت لها بقايا فى عالمنا المعاصر متمثلة فى المذاهب المادية فى تفسير الوجود .

كما ورد فى القرآن الكريم الرد على عبدة الكواكب كالصابئة فى نحو قوله تعالى : « فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال انى لا أحب الآفلين » (٢٧) ، كما رد على منكرى النبوات ، ومنكرى البعث ، كما رد على أصحاب الديانات السماوية من اليهودية والمسيحية .

من هنا قدم القرآن الكريم أمثلة لكيفية الرد على الديانات المخالفة سماوية كانت أم غير سماوية ، مما حث علماء الكلام على التصدى لهذه الديانات وبيان تهاافت دعواها (٢٨) وبهذا يكون القرآن الكريم فى هذا الجانب من أقوى الاسباب فى نشأة علم الكلام .

(ج) منزلة العقل فى القرآن الكريم :

لقد احتل العقل منزلة هامة فى القرآن الكريم ، ونود أن نشير الى أن القرآن الكريم اذا كان قد نهى عن الجدل فى أمر العقيدة

(٢٦) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، الترجمة العربية : ص ١٢

(٢٧) سورة الانعام آية ٧٦ .

(٢٨) سوف تناول تفصيلا رد القرآن على أصحاب الديانات السماوية والملل والاهواء والتحلى فى الفصل الثالث .

فهو لم يكن — قط — ضد التفكير والتأمل والنظر ، الذى هو السبيل الى معرفة الله تعالى ، بالتأمل والاستدلال فى العالم المخلوق ، فهو المزم الواجبات على المسلم ومن هنا دعا القرآن دعوة صريحة الى النظر فى العالم ، اما تعدى هذا المجال الى البحث فى الذات وما يتعلق بها فهذا ما منع القرآن من الخوص فيه ذلك لأنه حدد دائرة الالوهية تحديدا قاطعا وعلى العقل فقط أن يفهم ذلك التحديد لا ان يجادل فيه فاندفع العقل فى دراسة الوجود فأبدع العلم وأقام الحياة •

ان الأدلة كثيرة على تعظيم العقل والتفكير ، يمكن أن نلمسها فى مواضع كثيرة من القرآن الكريم •

ويكفى فى المجال أن نشير الى ما يلى :

لقد عظم القرآن العلم والتعلم ، فكانت أول سورة نزلت تشير الى ذلك « أقرأ باسم ربك الذى خلق • • » والقراءة المشار اليها قراءة فى كتاب الكون تعليما وتعلما • ومن القراءة اشتق القرآن ، ولهذا فان القرآن يعظم العلم والحكمة التى هى الفهم العميق الذى ينبثق عن ذلك الكتاب المنزل •

والانسان لن يحصل العلم ؛ ولن يتعلمه الا بالتفكير والنظر والتدبر ومن أمثلة هذه الآيات التى تدعو الى النظر والتدبر قوله تعالى « ان شر الدواب عن الله الصم البكم الذين لا يعقلون » (٢٩) ، فلقد جعل الله تعالى الذين لا يستخدمون عقولهم فى مرتبة البهائم أو أكثر منهم شرا كما ذم القرآن الكريم التقليد كطريق للعلم وحث الانسان على العمل بالدليل وزجره ونهاه عن التقليد وأنذره بالهلاك اذا هو قاد بل أوجب عليه الاجتهاد •

(٢٩) سورة الواقعة آية ٦٢ •

كما نبه القرآن الكريم الى استخدام القياس وهو عمية عقلية
فى نحو قوله تعالى « ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون » (٣٠)
فجعل الله تعالى التاركين لقياس النشأة الأخرى على النشأة الأولى فى
الاستدلال على البعث والجزاء والعقاب خارجين عن الحق •

كما حث القرآن على استخدام العقل والنظر فى العالم بقوله
تعالى : « أو لم ينظروا فى ملكوت السموات والأرض وما خلق الله
من شئ » فواجب على الانسان النظر فى العالم للاستدلال على
خلقه وعظمته بعظم مخلوقاته وكثرتها وتعددتها وكما فى قوله تعالى :
« ان فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، والفلك
الذى تجرى فى البحر ، بما ينفع الناس ، وما نزل الله من السماء من
ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ، وبث فيها من كل دابة وتصريف
الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض ، آيات لقوم
يعقلون » (٣١) •

ويرى الزمخشري عند تفسيره لقوله تعالى : « آيات لقوم يعقلون »
ان الله يشير هنا الى أولئك الذين ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون
لأنها (أى الآيات) دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة ، ويسوق
الزمخشري هنا قول الرسول (ص) : « ويل لمن قرأ هذه الآية فمج
فيها » أى لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها (٣٢) •

وبالقرآن الكريم دعوة صريحة للانسان الى استخدام عقله
لاكتشاف قوانين الخلق كما فى قوله تعالى : « لا الشمس ينبغي لها
أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار ، وكل فى فلك يسبحون » (٣٣)

(٣٠) سورة الاعراف آية ١٨٥ •

(٣١) سورة البقرة آية ١٦٤ •

(٣٢) الزمخشري : الكشف : ج ١ ص ٩٢ •

(٣٣) سورة بس آية ٢٩ •

وقوله تعالى : « أفلا ينظرون الى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج والأرض مددناها والقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب » (٣٤) .

كل هذه الآيات وغيرها مما لا نستطيع أن نحصره في مقامنا هذا. تنهض دليلا على وجوب النظر العقلى ، والا فلماذا يوجه الله اللوم الى أولئك الذين لا يعملون عقولهم فى بدائع صنعه للوصول الى الايمان به ؟

ومن هنا لا تصدق دعاوى بعض الباحثين الغربيين كتنمان Tenman الذى كان يرى ان القرآن كان من جملة عوائق التفكير الحر عند المسلمين (٣٥) . وهذا ليس بحق ، فان القرآن لم يمنع العقل من النظر الحر فى جانب العالم ، ولكنه منعه من النظر فيما يتعلق بجانب الميتافيزيقا .

هذا فضلا عن ان طبيعة القرآن الكريم ومنهجه تحث على التفكير والنظر فلقد جاء أسلوبه نثرا ، خلص من قيود الشعر والسجع فهو لذلك يوحى الى حد كبير بتفكير منهجى فى المسائل التى يتناولها صراحة أو إشارة أو رمزا أكثر مما يوجهه الشعر المقفى ، مما يساعد على التسلسل المنطقى (٣٦) .

التزم القرآن الكريم فى علاجه لبعض المسائل كالتوحيد والتزيه وفى صفاته تعالى ... بالتحديد الذى هو خاصه كل علم وفلسفة (٣٧) ،

(٣٤) سورة « ق » آيات ٦ ، ٧ ، ٨ .

(٣٥) الشيخ مصطفى عبد الرازق : تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ص ٤ — ٥ .

(٣٦) الدكتور محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة ، ص ٥٢ — ٥٣ .

(٣٧) نفس المصدر : ص ٥٣ — ٥٤ .

(٣٧) نفس المصدر : ص ٥٣ — ٥٤ .

— ٨١ —

(٦ — أصالة علم الكلام)

وفى بعض المسائل الأخرى ترك التحديد أحيانا ، ليدفع العقل الى
الفكر والتدبر ، لفهم ما يريد القرآن (٣٨) •

كما ان القرآن الكريم قدم أدلة دامغة على بعض القضايا الايمانية
كوجود الله ، وخلق العالم ، ووحدانيته ، والبعث ، قدم هذه
الأدلة الدامغة بوجوه مختلفة فى أنواعها وطرقها الى درجة يصح أن نقول
معها بأن القرآن قد احتوى الى حد ما على أصول نظرية فى المعرفة ،
داعيا من يتجه اليهم بهذه الأدلة الى اعمال الفكر فيما يراه ويحسه
بأى نوع من أنواع الحس للوصول الى المجهول (٣٩) •

وحقا ما انتهى اليه الدكتور يوسف موسى من أن القرآن بطبيعته
يدعو الى التفكير بسبب ما اشتمل عليه من أمور الغيب ودعوته الى
الايمان بها ، وباعداده — بهذا — لما وراء الفلسفة التى ليس العقل
وحده أن يصل اليها ••••• ولقد حاول علماء الكلام بذل كل جهدهم
للانتقال من القرآن فى تكوين العقائد الدينية ، وفى التدليل عليها
وحفظها من تشويش أهل البدع والملاحدة ، لقد جاء القرآن أولا لتعريفنا
بالله معرفة حقة ، ثم لاعدادنا بهذه المعرفة متى تمت لنا ، لأن نؤمن
بكل ما أخبرنا به من الأمور الغيبية التى لم يستطع العقل ادراكها ،
ذات الله وصفاته ، الدار الأخرى ، وما يكون فيها مثلا وفى وصل
القرآن الى هذا بمن ينعم فيه النظر والتفكير ، يكون قد وصل به
للايمان الصحيح الكامل ، ثم هذا الايمان يستتبع فى هذه العقائد
التى هى موضوع الايمان •

وهكذا كانت طريقة القرآن ومنهجه تبعث على التفكير والنظر
فان طرقه المتعددة فى التعبير عن المراد من استخدام التعبير الحقيقى

(٣٨) نفس المصدر : ص ٥٤ •

(٣٩) نفس المصدر : ص ٥٥ — ص ٦٠ •

فى مواضع ، والتعبير المجازى فى مواضع ثانية ، والتشبيه والنمئل فى مواضع ثالثة وكثيرا ما كان يوجه نظرنا الى المواقع المشاهد أحيانا وأحيانا أخرى يدعو الى تجاوز هذا الواقع الى البحث فيما وراءه ٠٠٠٠ الى آخر هذه الطرق فى البيان والاستدلال ، وهذا ما يجعلنا نقول ان القرآن الكريم احتوى بالضرورة على كل طرق الادراك الكامل السليم وبرغم التناقض الواضح فى هذه الطرق المتباينة الا ان ذاك التناقض الذى يظهر لمن ينظر فيه نظرا سطحيا يرتفع اذا وضعنا فى اعتبارنا طبيعة الموضوع الذى يناوله ، وتناسب طرق تناوله والاستدلال عليه ، وغايته فى الوصول الى اليقين المطلق فى الموضوع الذى يتناوله ذلك لأن القرآن الكريم يسعى الى الوصول الى الحقيقة واليقين ، من حيث ان فكرة الحق وتميزه عن الباطل تعد فكرة مركزية فى القرآن الكريم ، من هنا فرق بين طرق المعرفة غير اليقينية من : الظن والحكم بالهوى ، والتقليد والمحاكاة ، وبين طرق البرهان والاستدلال والتى يركز عليها أشد التركيز ولن يتم البرهان والاستدلال باستخدام العقل فى وضع قواعد الاستدلال والبرهان (٤٠) .

بقيت نقطة أخيرة فى بيان قيمة العقل ومنزلته فى القرآن الكريم تتعلق بالأسس المنهجية التى أشار اليها القرآن الكريم ، تلك الأسس التى تتعلق بالبحث سواء أكان بحثا عقليا نظريا (فلسفيا) أو بحثا علميا (مرتبطا بالواقع المشاهد) فلقد نبه القرآن الكريم الى ضرورة طرح التقاليد الفاسدة ، وتحرير الفكر من الآراء والمذاهب السابقة

(٤٠) الدكتور سامى نصر : نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين (الفرق الكلامية) مكتبة الحرية الحديثة ، جامعة عين شمس ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٨١م الجزء الاول ، ص ٢٩ — ص ٤٠ وايضا الدكتور أبو ريدة : الايمان فى عصر العلم ، مقالة بمجلة عالم الفكر التوثيقية ، المجلد الاول ، العدد الاول ، الكويت ، ١٩٧٠م ، ص ٣٩ — ص ٤٠ ، ص ١٥٩ .

الموروثة (سورة البقرة آية ١٧) ورفض سلطان الغير مهما كانت قيمته (انظر سورة التوبة آية ٣١) ونبذ التقليد والتحرر من سلطانه والانتجاع الى وسائل المعرفة المتاحة له من الحس والعقل ، ودعا المسلم بعد ذلك الى أن يخطو الخطوة الثانية وهي تحصيل المعرفة بالنظر والاستدلال .

ولقد وجه القرآن المسلمين الى استخدام الاستدلال القياسى والاستقرائى وحقيقة ما قاله أستاذنا الدكتور التفتازانى : ان القرآن الكريم ليس كتابا فى المنطق ولكنه يحتوى على الأصول العامة للدلائل العقلية ، أما تفصيلاتها ، فليس من وظيفة القرآن ان يتعرض لها ويكفى القرآن انه ينبه الى مثل تلك الدلائل الاجمالية ليمضى العقل البشرى بعد ذلك الى وضع تفاصيلها ، وكشف قوايينها وطرق استخدامها (٤١) .

وحقا لقد نبه القرآن الى هذه الأصول العامة للدلائل العقلية الأمر الذى جعل كبار المشتغلين بالفلسفة والمعقولات من المسلمين يذكرون ان القرآن قد انطوى على مختلف أنواع الحجج والبراهين بحيث لا يمكن أن تزداد عليه فى هذا شئ (٤٢) .

يقول الدكتور التفتازانى : والحقيقة اننا لو نظرنا الى القرآن نظرة متأنية لوجدنا انه نبه العقول الى استخدام أنواع الاستدلال ، العقلى المختلفة مباشرة كان أو غير مباشر ، فهو كما يدعو الى استنباط نتيجة من مقدمة أو مقدمات ثبت صحتها فى معرض الاستدلال على العقائد النظرية (انظر الآيات من آخر سورة يس آية ٧٧ — ٨٣) نراه يدعونا أيضا الى استخدام المشاهدة الحسية ، واستقراء الجزئيات من عالم الطبيعة ليصل بنا الى معرفة القوانين العامة التى تفسر هذه الطبيعة بمقتضاها (٤٣) .

(٤١) الدكتور ابو الوفا التفتازانى : الانسان والكون فى الاسلام ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص ٣٤ .

(٤٢) نفس المصدر : ص ٣٥ .

(٤٣) انظر تفصيلا : نفس المصدر : ص ٣٥ — ص ٤١ .

وهكذا يوجه القرآن العقل البشرى الى خطوات منهج متكامل فى المعرفة سواء أكانت المعرفة العقلية أم المعرفة العلمية المتعلقة بالواقع المحسوس . وفى كل هذا تركية لاستخدام العقل فى الحصول على المعرفة الصحيحة المتعلقة بالله والعالم والانسان ، جاء هذا المنهج تقديرا لقيمة العقل فى أن يؤدى غايته فى الوصول الى المعرفة التى يؤسس عليها الايمان الصحيح ، فليس لنا أن نتجاهل ما فى القرآن الكريم من ضروب الاستدلال القائم على البحث عن العلل على قواعد الفكر الملزمة ، ومن التنبيه المستمر على النظر العقلى فى الكون والتأمل فيه وعلى التدبر فى بناء العوالم ، وتوقف بعضها على بعض ، ومن اشارات كونية ونفسية من شأنها أن توصل بالضرورة العقلية الى الغاية منه وهى انشاء وجهة نظر عن الذات الالهية وعن الانسان وعن الكون وعن الحياة^(٤٤) .

مما تقدم يمكن ان ننتهى الى أن القرآن : بطبيعته وأسلوبه وطريقة تناوله للمسائل أو المشاكل المختلفة ، يدعو للتفلسف ، وأنه قابل لما هو حق من الأراء التى ذهب اليها المفكرون فى هذه النواحي وأنه لهذا كان كل أصحاب مذهب كلامى أو فلسفى فى الاسلام ، يهتمون بان يجدوا لمذاهبهم أسانيد من القرآن^(٤٥) .

(د) موضوعات علم الكلام واشارة القرآن اليها :

لقد اشتمل القرآن على المادة الأساسية التى كوفت موضوعات علم الكلام ، فقد أشار الى موضوع الالهيات وما يقترع عليه من مباحث ويمكن أن نشير الى ذلك فيما يلى :

(٤٤) الدكتور أبو ريدة : مقدمة ترجمته لكتاب دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ..

(٤٥) الدكتور يوسف موسى : القرآن والفلسفة ، ص ٦٤ .

(١) الاستدلال على وجود الله تعالى :

لقد عرض القرآن للأدلة على وجود الله ، تلك الأدلة التي تكاد تكون بعينها الأدلة التي استند اليها المتكلمون في هذا الصدد مما يشير الى اعتمادهم على القرآن الكريم في هذا الجانب .

فقد تميز القرآن الكريم بأنه جعل نقطة البداية لمعرفة الله تعالى ما يشاهده الانسان في الكون وفي نفسه ، وتدل آيات كثيرة في القرآن الكريم على ان المقصود مما يشاهده الانسان في نفسه هو نشأته وتقلبه في مراحل الخلقة وبنيته وأعضاؤه وجوارحه الى جانب ما يدركه الانسان في حياته الباطنية : حياة الفكر ، وحياة النفس ، بالمعنى الواسع لهاتين الكلمتين .

فالقرآن لا يجعل أساس النظر المؤدى الى معرفة الله مفهومات ولا معاني ذهنية ، ولا قضايا نظرية جدلية ، وهو حتى عندما يريد أن يجادل لا يجعل موضوع الجدل خارجا عن نطاق المشاهد الذي يدركه الانسان مباشرة^(٤٦) .

ويقول الدكتور أبو ريذة أنه لابد من التنبيه ، بأن القرآن انفرد من بين الكتب المنزلة ، على صورتها التي وصلت اليها ، بهذه الطريقة في المعرفة بالله ، وجعل مسألة اثبات وجود الله مسألة بحث علمي في ضوء العقل والحس^(٤٧) .

فقد نيه القرآن الكريم في كثير من آياته التي تناولت العالم وخلقته ، الى قدرته تعالى ، وبديع صنعه ، وعجائبه واسرارته من هذه

(٤٦) الدكتور أبو ريذة : الايمان في عصر العلم ، ص ١٦٠ .

(٤٧) نفس المصدر : ص ١٦٢ .

الآيات استخاض علماء الكلام والمشتغلين بالعلوم الطبيعية والكونية بوجه عام دليلا على وجود الله وهو الدليل المسمى بدليل التدبير أو دليل الاتقان أو دليل الأحكام وهو يتلخص في الاستدلال من النظر في نظام العالم على وجود صانع قادر حكيم طبقا لمبدأ عقلي هو مبدأ العلوية الذي يقضى بان كل حادث وكل شيء يقع على نحو ما لابد له من علة كافية (٤٨) .

ولقد كان هذا الدليل من أقوى الأدلة التي استند عليها المتكلمون والفلاسفة في اثبات وجود الله تعالى (٤٩) ، بل وجميع من تصدى لهذه المشكلة قديما وحديثا .

(٤٨) نفس المصدر : ص ١٦٢ .

(٤٩) فقد عول المتكلمون جميعا — معتزلة وأشاعرة — على هذا الدليل تعويلا كبيرا (انظر : القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ص ١١٧ — ص ١١٩ ، والمختصر في أصول الدين ، ص ١٨٧ والمحيط بالتكليف ، ص ٧٥ وما بعدها ، والنيسابوري : ديوان الأصول في التوحيد ، ص ٢٩٦ وما بعدها ، وانظر : الأشعري : اللمع في الرد على أهل الزيع والبدع ، نشرة الدكتور غرابية ، القاهرة ١٣٧٤ هـ ، ص ١٨ ، والباغلاني : التهديد في الرد على الملحدة والمنعطة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، ص ٥٥) وأيضا الانصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ص ١٦ ، والجويني : لمع الأدلة في قواعد ، عقائد أهل السنة والجماعة ، بتحقيق الدكتور فؤدية حسين محمود ، الدار المصرية للتأليف والنشر ، القاهرة ١٩٦٥ م ، ص ٨٠ ، والشهرستاني : نهاية الإقدام في علم الكلام ص ١٢ .

ونجد هذا الدليل لدى فلاسفة الإسلام ، كالكندي (انظر : الإبانة عن العلة السامعة القريبة للكون والفساد رسائل الكندي الفلسفية ج ١ ص ٢١٥ ، ص ٢٢٣ ، ص ٢٣١ ورسائله في حدود الأشياء ورسومها ، ص ١٦٥ ورسائله : الإبانة عن سجود الأجرم الأقصى وطاعته لله عز وجل ، ص ٢٥٧ — ص ٢٥٨ ، ورسائله في ماهية النوم والرؤيا ص ٣٠٦ ، ونجده بتفصيل وتدقيق شديد عند الفيلسوف ابن رشد (انظر : مناهج الأدلة في عقائد أهل الملة بتحقيق الدكتور محمود قاسم ، الأنجلو المصرية ،

وهكذا وجد المتكلمون فى آيات القرآن الأدلة على وجوده ، تلك الأدلة التى استخرجوها وقاموا بتفصيلها وبيانها ، وكان أهم دليلهم — كما ذكرنا — دليل الحدوث ، ذلك الدليل الذى تناولته الآيات القرآنية ومن ثم كان جل اهتمامهم — معترلة وأشاعرة — اثبات حدوث العالم ومن ثم ينبنى على ذلك وجود محدث لافتقار المحدث الى محدث ، طبقا لمبدأ العلية .

(ب) ذات الله وصفاته :

أشارت آيات كثيرة الى هذه المشكلة . فلقد كان من الطبيعى ان يفيض القرآن الكريم فى الكلام عن الله الواحد الأحد الذى لا شريك له ، محددا بذلك تحديدا قاطعا وحدانيته تعالى (٥٠) ، هذا الاله الواحد منزها عن مشابهة مخلوقاته ، ليس كمثله شئ ، متعاليا عن التصور العقلى والحسى مخالفا للحوادث رب العالمين . وقد أثارت الآيات المتشابهة — كما ذكرنا — سابقا — مذاهب فى الصفات ، فلقد أشارت هذه الآيات الى أن الله جسم له : وجه ، ويدان ، وساق ، وقدم (*) ،

القاهرة الطبعة الثانية ، القاهرة ١٩٦٤ ص ١٥٠ وما بعدها ، والدكتور محمد عاطف العراقى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م ، ص ٢٧٠ وما بعدها (انظر على سبيل المثال الآيات القرآنية : سورة البقرة آية ١٦٣ — ١٦٤ ، سورة الروم آية ١٧ — ٣٠ ، الأنبياء آية ٣٠ — ٣٢ ، سورة الطور آية ٢٥ — ٣٦ ، ص ٤٣ وسورة الأنعام آية ٧٤ — ٨٣ الى آخر هذه الآيات) .

(٥٠) انظر على سبيل المثال : سورة البقر آية ١٦٥ ، وسورة آل عمران آية ٦٣ ، وسورة الزمر آية ٣ ، وسورة النساء آية ٤٨ ، وسورة الأنعام آية ١٦٣ ، والفصل آية ٣ ، ٥١ وغيرها من الآيات الكثيرة فى القرآن الكريم .

(*) انظر على سبيل المثال : سورة الرحمن آية ٢٧ ، سورة البقرة آية ١١٥ ، ٢٧١ ، سورة الروم آية ٢٨ ، ٣٩ ، سورة الاتسار آية ٩ ، وسورة آل عمران آية ٧٣ ، سورة المائدة آية ٦٤ ، سورة الفتح آية ١٠ ، سورة الحديد آية ٢٩ ، وسورة القلم آية ٤٢ .

فمن أجرى هذه الآيات على ظاهرها دون بيان كيفية شيء من ذلك وقع في التشبيه والتجسيم ، ومنهم من تأولها فانتهوا الى نفى الصفات ومنهم من توسط فأقر بها ، دون تأويل أو بيان لكيفيةها . اعتمادا على آيات التنزيه (٥١) .

ومن هنا يقول الدكتور التفتازانى : ومن الآيات ما يوحى التشبيه والتجسيم ، مثل الآيات التى ورد فيها ذكر اليد والاستواء على العرش ولكن الى جانب هذه الآيات توجد آيات التنزيه المطلق مثل قوله تعالى : « ليس كمثله شيء » ، وهى الواجبة الاعتقاد ، لكان بعض المسلمين يسلم بآيات الصفات كما وردت ، دون تأويل ، والبعض الآخر يتأولها لتصبح ممتشية مع ما يعتقد من التنزيه ، ووقع بعض المسلمين في التشبيه والتجسيم (٥٢) .

كما أشارت الآيات القرآنية الى صفات الذات من : العلم والقدرة ، والارادة ، والسمع ، والبصر ، والكلام . مشكلة رؤية الله تعالى (٥٣) وانقسم المتكلمون بين مثبت للرؤية وبين ناف لها مما يدل دلالة قاطعة على أن القرآن الكريم هو من العوامل الأساسية التى وجهت المتكلمين لدراسة المشكلة والى تبنى اتجاه لها حيث استند من أجاز الرؤية على الآيات التى أجازتها وأولوا الآيات التى لم تجيزها . والآخرين العكس ، واعتقادنا بأن القرآن الكريم لم يثير اهتمامهم بهذه المشكلة فحسب ، الرؤية ونفيها ، بل أنه حثهم على اتخاذ اتجاه معين تجاه هذه المشكلة .

(٥١) سورة الشورى آية ١١ .

(٥٢) الدكتور التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ٢٠ ، ص ١٠ .

(٥٣) سورة القيامة آية ٢٢ ، ٢٣ ، وسورة الانعام آية ١٠٢ .

كما أشارت الآيات القرآنية إشارة واضحة الى مشكلة كلامية هامة اختلف المسلمون حولها ، بل اقتتلوا بسببها وهي مشكلة كلام الله هل هو قديم قدم الله تعالى ؟ أم هو محدث مخلوق ، فلقد أشارت الآيات القرآنية اشارات واضحة الى هذين القولين ^(٥٤) فظهر مذهبان كلاميان أحدهما يؤكد على قدمه والآخر يؤكد على حدوثه أو خلقه وكلاهما يستند الى آيات القرآن الكريم .

على ان الآيات القرآنية أشارت الى مشكلة هامة شغلت حيزا كبيرا في الدراسات الكلامية وهي مشكلة العدالة الالهية ، والتي أشار اليها القرآن في نواحي ثلاثة :

(أ) العمل بين الله والانسان (الجبر والاختيار) •

(ب) الاضلال والهداية •

(ج) العدالة والجور أو الوعد والوعيد أى مشكلة الثواب والعقاب •

(أ) لقد أثار آيات كثيرة مشكلة العلاقة بين الفعل الالهى والفعل الانسانى ، فذهب البعض الى القول بالجبر ، وذهب البعض الآخر الى القول بالحرية وكلاهما مستند على آيات القرآن الكريم ^(٥٥) •

(٥٤) انظر على سبيل المثال : سورة الأعراف آية ١٤٥ ، التوبة آية ٦٠ ، الواقعة آية ٧٧ وفى مجملها آيات تشير الى قدم القرآن انظر : سورة الزمر آية ٢٣ ، وسورة النساء آية ٢ ، وسورة السجدة آية ٢ ، وسورة الانعام آية ٢ ، وسورة الانبياء آية ٢ وسورة طه آية ١٢ — ٤٧ ، وسورة الاسراء آية ٨٦ ، وسورة الانعام آية ١٠٢ ، سورة الانبياء آية ٢ ، والنساء ٨٧ •

(٥٥) من اوضح ما استدلل به الجبريون قوله تعالى فى الآيات التالية : سورة الزمر آية ٦٢ ، سورة الرعد آية ١٦ ، سورة الصافات آية ٩٥ ، ٩٦ ، سورة الأنفال آية ١٧ ، سورة الانعام آية ١٠٢ ، ١٠٤ ، سورة النحل آية ١٧ ، سورة البقرة آية ١٢٨ : (انظر تفسير فخر الدين الرازى ج ٤)

وهكذا كان للقرآن أثر في توجيه الفريقين الى المذهب الذي قال به بالنسبة لعمل الانسان ، وهل هو مخلوق له ، أو لله ، فاذا كان لله القدرة التامة المطلقة ، فهل يكون كل شيء حتى فعل الانسان من خلقه أم ان الانسان فعله على اعتبار أنه محاسب عليه ، فيجب أن يكون واقعا تحت قدرته حتى يكون للتكليف معنى وللثواب والعقاب مغزى وهذا يقودنا الى الجانب الآخر في العدالة الالهية . وهو جانب الهداية والاضلال ، فهو مرتبط بعدالة الله تعالى التي لا ترضى الفساد والشر فالله منزّه عن فعل الشر وأفعاله كلها حسنة ، ويفعل الأصلاح لعباده كما يقول المعتزلة ، وذلك وفقا لعدالته المطلقة فبينما يرى فريق أهل السنة ان الله يخلق الشر كما يخلق الخير وكلاهما استند الى القرآن فيما ذهب اليه (٥٦) .

ومرة أخرى يمكن أن نلاحظ مقدار أثر القرآن الكريم في تكوين مذاهب المتكلمين أهل سنة ومعتزلة ، واستدلالهم على مذهبهم فلقد

ص ١٣٠ وقارن ج ١ ص ٥١١ ، سورة عيسى آيات ٢٤ — ٢٧ (انظر ابن المنير : الانتصاف على هامش الكشف للزمخشري ، ج ٤ ص ١٨٥ — ص ١٨٦ وقارن الكشف ج ٤ ص ١٨٦ ، . الى آخر هذه الآيات .
ومن أوضح ما استدل به انصار الحرية كالمعتزلة : سورة الانعام آية ٤٨ (انظر تفسير الرازي ج ٣ ص ١٧١ — ١٧٢) ، وسورة آل عمران آية ١٦٥ ، وسورة الكهف آية ٢٩ ، انظر تفسير الرازي ج ٤ ، ص ٣١٩) وانظر تفصيلا الرازي : المحصل ، ص ١٤٢ ، ص ١٤٢ — ١٤٣ فلقد أفاض في ذكر مذهب المعتزلة وأوجه استدلالهم بالآيات القرآنية .

(٥٦) استند أهل السنة في قولهم على الآيات التالية : آية ٣١ سورة الفرقان ، وآية ١٢٣ من سورة الأنعام ، وآية ١٢٢ من سورة الانعام ، وآية ٣٥ من سورة ابراهيم كما استند المعتزلة على الآيات : ٨ — ١٠ من سورة آل عمران ، وآية ٦٠ من سورة النساء ، وآية ٢٧ من سورة الاعراف ، وآية ١٥ ، ٢٢ من سورة القصص ، فضلا عن تأويل الآيات السابقة تأويلا يفيد ان ، الله لا يفعل العجيب وان أفعاله كلها حسنة ، وهذا مقتضى بقولهم : بالعدل الالهى .

ساهم القرآن كثيرا في تكوين بعض جوانبه ، وهذا يؤكد أثر القرآن الكريم في إثارة البحث في الموضوعات الرئيسية لعلم الكلام .
كما أثارت آيات كثيرة مشكلة الثواب والعقاب أو الوعد والوعيد ، فلقد أشارت الآيات التي أن الله تعالى وعد المؤمنين الجنة ، وتوعد العصاة بالنار ، فإن الثواب والعقاب استكمال لعدالة الله تعالى وهي مغزى تكليفه لخلقه ودارت تساؤلات كثيرة عن مدى وجوب الثواب والعقاب على الله تعالى وهل يجوز على الله خلف الوعد والوعيد ، وإذا خلف الوعد والوعيد هل يسمى ذلك ظلما من الله تعالى !! وما معنى التكليف وهل يجوز التكليف بما لا يطاق وهل يجب على الله أن يقدر عباده على التكليف ؟ إلى آخر هذه التساؤلات التي أدت الإجابة عليها إلى اختلاف المتكلمين حولها فكان للمعتزلة مذهبهم في العدالة الإلهية وكان لأهل السنة والأشاعرة مذهبهم المقابل للمعتزلة تقابل التضاد في أمور كثيرة ، كان هذا وذاك أثر من آثار تدبرهم للقرآن الكريم بما احتواه من آيات وجد كل فريق منهما أنها سند له فيما يقول به .

ولقد ارتبط بهذا الجانب جانب البحث فهو مرتبط بجانب الثواب والعقاب ، ولقد ركزت الآيات القرآنية على وضع قضية البحث موضع اليقين بما تناولت الآيات من أدلة عرضتها عرضا دقيقا يبعث على اليقين^(٥٧) وقد أثارت أمثال هذه الآيات تساؤلات كثيرة وبخاصة وانها تخالف المعتاد من العلم بتحال الأجسام كما أنها تختلف مع عقيدة الماديين بوجه عام ولقد كونت الأدلة التي حملتها الآيات القرآنية مادة المتكلمين في الاستدلال على البعث ويمكن القول — بدون مبالغة أن معظم أدلة المتكلمين على جواز البعث كانت قرآنية المصدر .

(٥٧) انظر الآيات (على سبيل المثال) ٦ ، ٧ من سورة الحج ، والآيات ٧٨ — ٧٩ من سورة يس والآيات ٤٩ — ٥٠ من سورة الواقعة . . . إلى آخر هذه الآيات الدالة على البعث .

كما أشارت الآيات القرآنية أخيرا الى جانب النبوة والوحي وتعتبر النبوة أصلا هاما من أصول العقيدة وانكارها أو الطعن فيها يعد انكار للدين من أساسه وقد أشارت الآيات القرآنية الى قصص الأنبياء ودلائل النبوة ، ومعجزات الأنبياء ، ومعتزلة محمد (ﷺ) حاتم النبیین جميعا وامامهم وأشار الى الدلائل اليقينة على صدق النبوة ، وكانت هذه الآيات مصدرا أصيلا للدفاع عن النبوة ضد من طعن في النبوة بوجه عام ، أو نبوة محمد (ﷺ) بوجه خاص ، فكان القرآن الكريم هو المصدر الرئيسي للمتكلمين فيما خاضوا فيه من موضوعات تتعلق بجانب الألوهية وكان سندهم فيما انتهوا اليه من آراء ومذاهب دافعوا بها عن الاسلام ضد مخالفيه في هذا الجانب .

كما أشار القرآن ثانيا الى موضوع العالم (٥٨) .

وكانت أول الحقائق التي ذكرها أن العالم حادث مخلوق من لا شيء وإذا كان العالم محدثا فلا بد له من خالق ، وهو الله تعالى ، خلق كل شيء فهو المصور والمبدع (٥٩) وأشار القرآن الكريم الى قدرته تعالى المطلقة على الخلق (٦٠) ، لم يشترك أحدا معه في خلقه (٦١) غير أن القرآن أشار في أكثر من موضع الى قصة الخلق وما فيها من اعجاز مبينا تلك السنن والقوانين التي يسير عليها الخلق ، من حيث ان الله تعالى

(٥٨) انظر تفصيلا : الفصل الخاص بالمصادر الاسلامية لمشكلة خلق العالم عند المعتزلة ، ضمن رسالة الدكتوراه للمؤلف تحت اشراف الأستاذ الدكتور ، أبو الوفا التفتازاني ص ١٠ ، ص ٢١ .

(٥٩) انظر على سبيل المثال : سورة مريم آية ٩ ، وسورة غافر آية ٦٢ ، وسورة فاطر آية ٣ ، وسورة آل عمران آية ٦ ، وسورة الحجر آية ٢٤ ، وسورة الاعراف آية ١١ ، سورة الانعام آية ١٠١ .

(٦٠) انظر على سبيل المثال ، سورة البقرة آية ١١٧ .

(٦١) انظر سورة الكهف آية ٥١ .

يعطى كل مخلوق طبيعته المقدرة له أو ماهيته الخاصة به^(٦٣) ، ومن هنا كان خلقة للعالم لحكمه ، ولم يخلفه عبثاً^(٦٤) ، وأشار الى زمن الخلق ومحدثه^(٦٥) وأشار الى مادة الخلق^(٦٥) وأنه هو الذى بدأ الخلق ثم يعيده الى آخر هذه المسائل المتعلقة بالعالم .

وكل هذا يفيد بما لا يدع مجالاً للشك ان العالم مخلوق ، بقدره الله تعالى وحكمته ، وليس هنا مجال للقول بالاتفاق أو الصدفة ، لأن ذلك ينافى الحكمة فى الخلق ، فضلاً عن أنه ينافى القوانين الثابتة والسنن المطردة التى يسير عليها العالم .

وهكذا كان القرآن الكريم ذا أثر حاسم فى توجيه نظر المتكلمين الى دراسة العالم والبحث فيه بما أمدهم من حقائق تتعلق به ، فضلاً عن أنهم وجدوا فيه دعوة صريحة الى اعمال العقل فى السعى نحو اكتشاف قوانين الخلق ، والوقوف على آيات الاعجاز فيه ، مشيراً الى المنهج الملائم لهذا البحث .

واذا كان المتكلمون قد اتجهوا الى دراسة العالم لاثبات حدوثه وخلقه ، وذلك تمهيداً لاثبات محدثه وهو الله تعالى ، فكان هدفهم من دراسة العالم هدفاً دينياً يحق ، وقد اعترض بعض المفكرين القدماء

(٦٢) انظر على سبيل المثال : سورة القمر آية ١١ ، وسورة طه آية ٥٠ .

(٦٣) انظر سورة الانبياء آية ١٦ ، ١٧ والاعنعم آية ٧٣ ، والفعل آية ١١ ، وسورة طه آية ٥٠ .

(٦٤) انظر سورة السجدة آية ٤ ، ٥ .

(٦٥) انظر على سبيل المثال : سورة فصلت آية ١١ ، وسورة الانبياء آية ٣ ، وسورة النور آية ٥ ، وسورة الاعراف آية ٨٩ ، وسورة الفساء آية ١ ، وسورة الزمر آية ٦ ، وسورة الانعام آية ١ .

والمحدثين على ان بحث المتكلمين فى العالم لبيان حدوثه وخلقه بحث لا يرجع الى القرآن الكريم ، معتمدين ان لفظ « القدم » أو « الحدوث » هو نفسه مردود الى مصدر فلسفى أجنبى وهذا غير صحيح ، فاذا كان لفظ القدم أو الحدوث لم يردا فى القرآن ، فقد ورد فيه ما يشير اليهما نحو قدم الخالق ، وحدوث المخلوق ، فقد دلنا القرآن على أن العالم حادث من حيث له بداية ونهاية ، وانه مخلوق من لا شئ ، وان الله تعالى خالقه ، وهو القديم وحده ولا قديم سواه ، وهذا كله كان معروفا لدى السلف لأن لغة القرآن تفيد ، ومن ثم لم تظهر لديهم حاجة الى مناقشة مشكلة القدم أو الحدوث ، وانما ظهرت هذه المناقشات فيما بعد عندما أثارها المخالفون فى عقيدة الخلق ، فاضطر المتكلمون الى مناقشة هذه المشكلة دفاعا عن الاسلام ، لأن غايتهم كانت غاية دينية ، ولم تكن غاية فلسفية يقصد منها التفلسف أو النظر العقلى المجرد لذاته ، بغية الوصول الى تفسير طبيعى للكون على غرار ما يفعله الفلاسفة ، وانما كما فات كان يحثهم لغرض دينى وهو اثبات ان كل ما فى العالم من الجواهر والأجسام والأعراض مخلوق ، ومن ثم فلا بد له من خالق ، هو الله تعالى ، فيكون هذا دليلا معتمدا على العقل بجانب الأدلة المعتمدة على النقل فى اثبات الخلق والخالق •

وهكذا كان القرآن الكريم مصدرا من المصادر الأساسية التى دعتهم الى دراسة العالم الطبيعى •

كما أشار القرآن ثالثا الى الانسان :

كما عرض القرآن الكريم للمشكلات المتعلقة بالانسان فى مختلف حالاته وأوضاعه ، باعتباره فردا ، أو عضوا فى أسرة ، أو فى مجتمع صغير أو كبير ، أو عضوا فى أمة ، أو عضوا فى جماعة الانسانية كلها

فكون القرآن الكريم الخطوط العريضة للفلسفة الانسانية والاجتماعية
على تعدد فروعها وتنوعها (٦٦) .

فقد كرم الله الانسان ، ومنع الوسيط بينه وبين الله ، فحرره
من سلطان الغير ، والاحبار والرهبان ، ولم يجعل عليه سلطانا الا عقله
السليم وتفكيره الصحيح ، فجعله مسئولا عن عمله ، بعد أن منحه العقل
والحرية (٦٧) . فقد أشار القرآن الى الأسس التي يجب أن يسلك
الانسان وفقها ، فقد وضع أسس علم الأخلاق الاسلامية .

وهكذا نجد القرآن الكريم بما احتواه من شرح العقيدة والانتصار
لها وتقديمه لحلول المشكلات المتعلقة بها ، كالجبر والاختيار ، والله
والكون وخلقه ، واليوم الآخر ، والثواب والعقاب ، والمسائل الأخلاقية
كان ذلك كله المادة التي كونت علم الكلام الاسلامي ، بل يمكن القول
بان المشكلات التي أثارها علم الكلام ، انما هي تلك المشكلات التي
يمكن أن يلتهمس لها حلول في القرآن الكريم .

وعلى هذا يمكن أن تنتهي الى القول بان علم الكلام انما نشأ
حول القرآن الكريم للدفاع عنه من جهة ، وللبرهنة على ما جاء به
من جهة أخرى .

ثانياً - السنة :

لقد تعرضت السنة أيضا للإشارة الى موضوعات علم الكلام
الرئيسية ، فلقد أشارت السنة في حديث مشهور الى افتراق الأمة

(٦٦) الدكتور محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة ، ص ٢٤ .

(٦٧) سورة النجم آيات : ٣٩ - ٤١ . وسورة الزلزلة آية ٧ - ٨ ،

وسورة فاطر آية ١٨ ، .

الاسلامية بحسب عقائدها في الأصول الايمانية ، فقد أورد بعض مؤرخي علم الكلام كالبغدادي هذا الحديث ، فيروى عن أبي هريرة أنه قال « قال رسول الله ﷺ) افتقرت اليهود على احدى وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وتفتقر أمتي على ثلاث وسبعين فرقة » كما يورده برواية ثانية فيذكر انه روى عن عبد الله بن عمرو بن العاص ان الرسول ﷺ) قال : « ليأتين علي أمتي ما أتى علي بنى اسرائيل ، تفرق بنو اسرائيل على اثنتين وسبعين ملة وستفتقر أمتي على ثلاث وسبعين ملة ، لا تريد عليهم ملة ، كلهم في النار الا ملة واحدة » ، قالوا يا رسول الله وما الملة التي تتغلب ، قال : ما أنا عليه وأصحابي كما أورده برواية ثالثة عن أنس بين مالك ، فقال قال : رسول الله ﷺ) « ان بنى اسرائيل افتقرت على احدى وسبعين فرقة ، وان أمتي ستفتقر على اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة ، وهي الجماعة » .

ويلحق البغدادي على هذا الحديث الذي رواه بروايات ثلاث باختلاف في اللفظ ان هذا الحديث رواه جماعة من الصحابة كأنس بن مالك ، وأبي هريرة ، وأبي الدرداء ، وجابر ابن حزام النسلمي وأبي سعيد الخدري وأبي بن كعب ، وعبد الله بن عمرو بن العاص وأبي امامة .

واذا كان البغدادي قد اتخذ من هذا الحديث سنداً في القول بأن الفرقة الناجية واحدة ، وهي فرقة أهل السنة والجماعة (٦٨) فان كل فرقة حاولت أن تفسر هذا الحديث لصالحها .

واذا حاولنا البحث مع مؤرخي علم الكلام ، كالبغدادي والشهرستاني والمطري ، وغيرهم ممن يأخذوا بصحة هذا الحديث عن الفرق المذمومة نجدهم يدرجون فيها كل من خالف فرقة أهل

(٦٨) البغدادي : الفرق بين الفرق . ص ٥ - ٦ .

السنة الناجية في أبواب العدل والتوحيد وفي الوعد والوعيد أو في باب القدرة والاستطاعة أو في تقدير الخير والشر ، أو في أبواب الهداية والضلالة ، وفي باب الإرادة والمشيئة ، أو في باب الرؤية والادراك ، أو في باب صفات الله عز وجل واسمائه ، أو في باب من أبواب التعديل والتجوير ، أو في باب من أبواب النبوة وشروطها (٦٩) .

على أن هذا الحديث في اعتقادنا حديث ضعيف ، لاختلاف روايته من جهة (٧٠) وأنه لا يوافق نتسبب الفرق الكلامية من جهة أخرى . فإننا إذا نظرنا — نظرة موضوعية — فإننا نجد أن عدد الفرق لا يصل بحال إلى العدد المذكور في الحديث وبفرض صحة هذا الحديث فإن يذكر اختلاف الأمة الإسلامية وهي أمة مستمرة في الوجود إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ولذا فإن قصره على الفترة السابقة أمر غير صحيح يضاف إلى هذا أن بعض مؤرخي العقائد يعتبرون هذا الحديث ضعيفا من جهة الإسناد ، ومن ثم فهم يضعفونه ولا يأخذون به كابن حزم كما أن هناك مؤرخين آخرين لا يتعرضون لهذا الحديث وهم بصدد احصائهم للفرق الخلامية كالأشعري ، وفخر الدين الرازي وغيرهما .

على أن السنة قد أشارت إلى كثير من مباحث علم الكلام فقد أشارت إلى مبحث الصفات : فوردت أحاديث كثيرة تثبت الصفات لله تعالى يمكن أن نذكر منها :

(أ) أحاديث أثبتت النفس لله تعالى : عن أبي هريرة أنه قال قال رسول الله (ﷺ) : « يقول الله (تعالى) أنا مع عبدي حين

(٦٩) نفس المصدر : ص ٦ — ص ٧

(٧٠) انظر ابن الجوزي : تلبس إبليس ، تجد روايات أخرى للحديث ص ١٧ — ١٨ . ويقول الترمذي أن هذا الحديث حسن غريب ولا يعرف إلا من هذا الوجه .

يذكرني ، فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وان ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منهم» (٧١) كما روى عن ابن عباس ان النبي (ﷺ) حين خرج الى صلاة الصبح ، وجويرة في المسجد رجع حين تعالى النهار قال : « لم ترالى جالسة بعدى ؟ قالت نعم ، قال : « قد قلت بعدك أربع كلمات لو وزنت بهن لو زنتهن سبحان الله العظيم ويحمده عدد خلقه ، ومداد كلماته ، ورضا نفسه ، وزنة عرشه » (٧٢) .

وعن أبي هريرة ان رسول الله (ﷺ) قال : « لما قصى الله الخلق كتب في كتابه على نفسه فهو موضوع عنده ، ان رحمتي نأت غضبي » (٧٣) .

(ب) ذكر الوجه :

كما وردت أحاديث ذكرت فيها وجه الله تعالى نذكر بعضها منها : يروى ابن خزيمة أن جابر قال لما نزل على الرسول (ﷺ) :

(٧١) رواية البخاري برواية فيها اختلاف في اللفظ يقول روى عن أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى : « انا عند ظن عبدي بي وانا معه اذا ذكرني ، فان ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي » والحديث رواه مسلم والترمذي ، واخرجه الامام أحمد في مسنده بن حديث انس .

(٧٢) الحديث رواه مسلم في صحيحه ، ج ٨ ، ص ٨٣ (طبعه الاستانة) واخرجه ابو داود والترمذي ، والنسائي ، وابن ماجه وانظر ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل راجعه وعلق عليه محمد خليفة هراس ، مكتبة الكليات الازهرية القاهرة ، ١٣٨٧ هـ — ١٩٦٨ م ، ص ٧ .

(٧٣) رواه البخاري في صحيحه ، ج ٤ ، ص ٢٢٣ عن أبي هريرة بلفظ « ان رحمتي غلبت غضبي » وفي ج ٨٩ ، ص ٢٢٧ — ص ٢٤١ ، بلفظ « ان رحمتي سبقت غضبي » ورواه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة بلفظ « ان رحمتي تغلب غضبي » والحديث ذكره ابن خزيمة في كتاب الصفات ، ص ٨ كما يذكر روايات أخرى للحديث بأسانيد أخرى انظر ص ٨ — ص ٩ .

قوله تعالى : « قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم »
قال رسول الله (ﷺ) : « أعوذ بوجهك الكريم » (٧٤) .

كما روى عن الرسول (ﷺ) انه كان يدعو بدعاء طويل جاء فيه
« وأسألك لذة النظر إلى وجهك ... » (٧٥) ويعلق ابن خزيمة على ذلك
بأن هذا أوضح دلائل على أن لله وجهها يتلذذ من من الله عليه بالنظر اليه .
وقوله (ﷺ) « من صام يوما في سبيل الله ابتغاء وجه الله باعد
الله وجهه عن النار سبعين خريفا » (٧٦) وقوله (ﷺ) « من استعاذ بالله
فأعيزوه ومن سألكم بوجه الله فأعطوه » (٧٧) وقوله (ﷺ) « مثل
المجاهد في سبيل الله ابتغاء وجه الله ، « مثل القائم المصلح ، حتى يرجع
المجاهد » (٧٨) .

(ج) أحاديث ذكرت فيها العين لله تعالى :

ومن الأحاديث التي ذكرت فيها العين لله تعالى ما يروى عن أبي
هريرة عندما قرأ قوله تعالى : « ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى
أهلها » حتى وصل الى قوله تعالى (سميعا بصيرا) فوضع ابهامه على
أذنه والتي تليها على عينه وقال (هكذا سمعت رسول الله (ﷺ) يقرأها
ويضع اصبعيه) (٧٩) .

(٧٤) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ، ص ١١

(٧٥) نفس المصدر : ص ١٢ وقد اخرج النسائي في سننه في ادعية
الصلاة من طريقين .

(٧٦) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ، ص ١٣ .

(٧٧) رواه أحمد بن حنبل في مسنده ، وأبو داود في سننه عن
ابن عباس .

(٧٨) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما في كتاب (الجهاد) .

(٧٩) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ، ص ٤٣ .

وقوله ﷺ : « ان الله ليس بأعور ، الا أن المسيح الدجال أعور عين اليمنى ، كأنها عتبة طافية » (٨٠) .

(د) أحاديث تثبت السمع والبصر لله تعالى :

من هذه الأحاديث الحديث المشهور الذى روى عن السيد عائشة (رضى الله عنها) أنها سألت رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟ فقال : « لقد لقيت من قومك وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة لذا عرضت نفسى على ابن عبد ياليل ابن عبد كلال ، فلم يجيبنى الى ما أردت فانطلقت وأنا مهموم على وجهى فلم استفق الا وأنا بقرن الثعالب فرفعت رأسى فاذا بسحابة تد أظلتنى فنظرت فاذا فيها جبريل عليه السلام فنادى قال : يا محمد ان الله عز وجل قد سمع قول قومك لك وأنا ملك الجبال ، وقد بعثنى ربك اليك لتأمرنى أمرك وبما شئت ان شئت أن أطبق عليهم الأخشبين لفعلت ف فقال له رسول الله ﷺ بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئا » (٨١) .

وروى ابن خزيمة عن ابى موسى الاشعرى قال كنت مع رسول الله ﷺ فى غزاه ، فلما اقتبلنا واشرفنا على المدينة كبر الناس تكبيرة رفعوا بها أصواتهم فقال رسول الله ﷺ : « ان ربكم ليس بأصم ولا غائب » (٨٢) .

(٨٠) نفس المصدر ص ٤٣ وانظر روايات أخرى أوردها لذلك الحديث ص ٤٣ — ص ٤٤ .

(٨١) هذا الحديث ذكره ابن خزيمة فى كتاب الصفات ، ص ٤٨

(٨٢) ابن خزيمة : كتاب الصفات ص ٤٩ ، وورد فى الصحيحين بالفاظ مختلفة .

(هـ) أحاديث تثبت اليد لله تعالى :

لقد اشارت أحاديث كثيرة الى أن لله تعالى يد . وقد أورد ابن خزيمة كثيرا من هذه الأحاديث للاستدلال بها ، ويمكن ان يذكر منها ما رواه عبد الله بن عمر عن أبيه عن الرسول ﷺ قال : « التقى آدم وموسى ، فقال موسى : أنت الذى خلقك بيده ، وأسجد لك ملائكته ونفخ فيك من روحه ، وأمرك بأمر فعصيته فأخرجتنا من الجنة فقال آدم : قد آتاك الله التوراة ، فهل وجدت فيها كتب على الذنب قبل أن أعمله ؟ قال : نعم ، قال (اى الرسول ﷺ) : فحج آدم موسى عليهما السلام (٨٣) .

كما أورد ابن خزيمة عن أبى هريرة ان الرسول ﷺ قال : « نسا خلق الله الخلق » كتب بيده على نفسه : « ان رحمتى تغلب غضبى » (٨٤) وقوله ﷺ : « ان الله يفتح أبواب السماء فى ثلث الليل الباقي فيبسط بيديه فيقول : ألا عبد يسألنى فأعطيه » (٨٥) وروى عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ قال : ان احدكم ليتصدق بالثمرة من لبيب ولا يقبل الله الا طيبا ، فيجعلها الله فى يده اليمنى ، ثم يريها كما يربى احدكم فلو (بفتح أوله وضم ثانيه وتشديد الواو ، وهو المهر الصغير) (وقيل هو العظيم من أولاد ذوات الحوافر ، وفصيلة ما فصل عن اللبن ، وأكثر ما يطلق فى الابل ، وقد يقال فى البشر) حتى

(٨٣) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ، ص ٤٣ — ص ٥٤ وقد أورد ابن خزيمة روايات أخرى عن أبى هريرة فيها اختلاف فى اللفظ انظر ص ٥٤ — ص ٥٦ .

(٨٤) وقد أورد روايات كثيرة لهذا الحديث عن أبى هريرة بلفظ مختلف المصدر السابق ص ٥٨ .

(٨٥) نفس المصدر : ص ٥٨ .

تصبر مثل أحد (اى جبل احد) ^(٨٦) كما روى مسلم فى صحيحه « ان الرسول ﷺ قال : ان الله عز وجل ييسط يده - يعنى بالنهار - ليتوب مسيء الليل حتى تطلع الشمس من مغربها » كما روى عن البخارى فى صحيحه أن حبرا جاء الى الرسول ﷺ فقال : يا محمد ان الله يضع السماء على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع وسائر الخلق على اصبع ، ثم يقول بيده ، أنسا الملك ، فضحك رسول الله ﷺ وقال « وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة » ^(٨٧) .

كما أورد ابن خزيمة ما يفيد نسبة الاصابع الى الله تعالى فيروى باسناد قول الرسول ﷺ « ما من قلب الا وهو بين اصبعين من اصابع الله تعالى ان شاء أقامه وان شاء أزاعه » وكان الرسول ﷺ يقول « يامقلب القلوب ثبت قلبي على دينك » والميزان بيد الرحمن يخفض ويرفع ^(٨٨) .

(و) احاديث نسبت الرجل والقدير لله تعالى :

وردت احاديث كثيرة ذكرها ابن خزيمة للاستدلال على نسبة الصفات اليه تعالى نذكر منها ما روى عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ أنه قال : « تعاجت الجنة والنار ، فقالت النار أو ثرت بالمستكبرين والمتجبرين ، فقالت الجنة فماني لا يدخلني الا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم ، قال الله للجنة : انما أنت رحمة أرجم بك من أشياء من

(٨٦) ورد هذا الحديث فى صحيح البخارى ج ١ ، ص ٤٠٥ ، ج ٢ ، ص ٢٢١ مع اختلاف يسير فى اللفظ كما ورد هذا الحديث عن أبى هريرة بالفاظ مختلفة فى بعض المواضع انظر ابن خزيمة كتاب الصفات ص ٥٩-٦٣

(٨٧) ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات الصفات ص ٧٩ .

(٨٨) نفس المصدر ص ٨٠ قد ورد قول الرسول ﷺ صلى الله عليه وسلم بروايات متعددة وباختلاف يسير فى اللفظ انظر ص ٨٠ - ص ٨٢ .

عبادى ، وقال للنار : انما أنت عذاب أعذب بك من أشياء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها ، وأما النار فلا تمتلىء حتى يضع الله رجله فتقول قط قط فهالك تمتلىء ويزوى بعضها على بعض ولا يظلم الله (تعالى) من خلقه احدا ، واما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها خلقا » (٨٩) .

كما رويت أحاديث تنسب الى الله الجهة وأنه فى السماء (٩٠) ، وانه ينزل الى سماء الدنيا كل ليلة وتذكر حديث النزول المشهور المروى عن أبى هريرة عن الرسول ﷺ قال : ينزل الله تبارك وتعالى كل ليلة الى سماء الدنيا ، حتى يبقى ثلث الليل الآخر فيقول « من يدعونى فاستجيب له ومن يسألنى فأعطيه ، ومن يستغفر فأغفر له ؟ » (٩١) .

وهكذا وردت أحاديث كثيرة فى مسألة الصفات ، هذه الأحاديث كان لابد من تدبرها فكان تدبرها واحد من العوامل التى أتت الى ظهور هذه المسألة كمسألة هامة فى المباحث الكلامية .

كما أشارت السنة الى مسألة الرؤية ، وهى كانت من أهم ما شغل به المتكلمون فقد وردت أحاديث كثيرة فيها كانت موضع تدبر واستدلال بين مثبت لرؤية آخذا بهذه الأحاديث على ظاهرها وبين نافى لها مؤول للحديث الوارد فيها .

(٨٩) نفس المصدر : ص ٩٤ وقد ورد الحديث فى صحيح البخارى مع اختلاف يسير فى اللفظ ، كما أورد ابن خزيمة روايات وأسانيد للحديث ، فيها اختلاف فى الاسناد واختلاف فى اللفظ يسير انظر ص ٩٢ — ص ٩٦

(٩٠) نفس المصدر : ص ١١٠ — ص ١٢٥

(٩١) نفس المصدر ص ١٢٧ — ص ١٢٨ وقد ورد الحديث بروايات مختلفة واختلاف فى اللفظ .

وفى الحقيقة لقد ورت أحاديث كثيرة فى مسألة الرؤية (٩٢) اكتفى بذكر الحديث المشهور منها وهو ما رواه البخارى عن جرير بن عبد الله قال : « كنا جلوسا عند النبى ﷺ اذ نظر الى القمر ليلة البدر ، فقال : انكم سترون ربكم عز وجل كما ترون هذا لا تضامون فى رؤيته ، فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا ثم قرأ (فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها) . وتستطيع ان نجد للكلام فى القدر أصلا فى السنة الصحيحة فنقد روى عن الرسول ﷺ قوله (ما منكم من احد الا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة ، فقالوا : يارسول الله ، أفلا تتكل على كتابنا ونقعد عن العمل ، قال : لا اعملوا فكل ميسر لما خلق له) .

ولقد اورد مسلم فى صحيحه (٩٣) كثيرا من الأحاديث التى تتناول هذه المسألة التى تعد من أهم مسائل علم الكلام فهى تمس مشكلة الجبر والاختيار والهداية والاضلال والعمل الانسانى وصلته بالارادة الالهية وكمسألة العدالة الالهية ، والتكاليف ، والثواب والعقاب .. وهذه المسائل هى أهم المباحث الكلامية .

وهكذا يمكن أن تنتهى الى النتيجة التالية : أن المتكلمين الأوائل

قد وجدوا فى السنة كما وجدوا فى القرآن الكريم — مادة خصبة لعلم الكلام اسهمت فى نشأته بتأثير تلك الأحاديث الصحيحة التى مست مسائل كلامية متعددة وهكذا كانت السنة كما كان القرآن الكريم عاملا من العوامل الهامة فى نشأة علم الكلام ، وذلك لأنها أمدته بمادة غزيرة فما من مسألة من المسائل الكلامية الا ونجد لها أصلا فى السنة ،

(٩٢) نقس المصدر : ص ١٦٨ ، وقد روى البخارى هذا الحديث وان كانت اسانيده مختلفة .
(٩٣) انظر كتاب القدر الجزء الثانى من صحيح مسلم .

كما وجدنا لها أصلاً في القرآن الكريم هذا فضلاً عن أن السنة مد زكت

دعوة القرآن الكريم في اعمال العقل •

غير أنه يمكن القول بأنه بجانب القرآن الكريم والسنة ، قد طرأ على المجتمع الاسلامي بعد وفاة رسول الله ﷺ الكثير من المشكلات التي تستدعي النظر والتفكير ، فكان على المسلمين بحثها وحلها حلاً دينياً أي البحث عن شواهد من الكتاب والسنة لحلها ، كمسألة الامامة والموقف من حرب الجمل لومرتكب الكبيرة ، ونحو ذلك في المشكلات التي طرأت على المجتمع الاسلامي في صدر الاسلام ، فكان ضرورياً البحث في هذه المشكلات ووضع حلول لها وانتج البحث فيها نظراً في العقائد فكانت مادة خصبة لعلم الكلام •

ثالثاً — مشكلات صدر الاسلام وأثرها في نشأة علم الكلام :

ارتبط علم الكلام في نشأته الأولى بمشكلات الصدر الأول من الاسلام^(٩٤) حيث برزت في هذا الوقت مشكلات سياسية كالامامة وما ارتبط بها من صراعات سياسية بدأت منذ أواخر عهد الخليفة الثالث وانتهت بمقتله بدون حكم شرعي ووصلت ذروتها في عهد الامام علي بن أبي طالب فوقعت حرب الجمل وحروبه مع معاوية وانتهت بمقتله أيضاً ، وانتهى الأمر الى معاوية •

كان من أثر ذلك — كله — أن تساءل جمهور المسلمين : من المخطيء ومن المصيب ؟ هل أخطأ قتلة عثمان أم اصابوا ؟ هل لعلي يد

(٩٤) انظر لكاتب هذا البحث : عمرو بن عبيد وآراؤه الكلامية ، دار نهضة الشرق بالظاهره ، ١٩٨٥ ، ص ٦٨ وما بعدها ، وانظر أيضاً لويس جاردييه اذنب قنوائى فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، ترجمه الى العربية الشيخ صبحى الصالح والاب الدكتور فريد جبر ، دار العلم للبلادين ، بيروت الطبعة الاولى ، الجزء الاولى ، الجزء الاول ١٩٦٧ م ، ص ٥٢ وما بعدها .

فى دم عثمان ؟ هل لطلحة والزبير وعائشة حق فى قتال على ؟ هل أصاب على فى قبوله التحكيم ؟ هل يصح الخروج على الحاكم الظالم ؟ كل هذه أسئلة ، كانت تثار بكثرة فى دروس المساجد .

واذا امعنا النظر فى هذه الأحداث السياسية وجدنا انه من حادثة التحكيم انبثقت دولة بنى أمية ، ومن هذه الأحداث تفجرت فلسفة للسياسة ، بدت بوادرها الاولى عند الخوارج ومن عارضهم ، دارت حول الاجابة عن سؤال رئيسى تفرغت عليه فى الفكر الاسلامى مشكلات كثيرة وهو تدور حول الحاكم ، وشروط اختياره ، ومدى وجوبه ، وتعد هذه المشكلات من أهم مباحث الفلسفة السياسية فى الاسلام .

كما فرضت الأحداث أيضا مشكلة أخرى دارت أول ما دارت حول طرفى القتال فى حرب الجمل ، وهى مشكلته مرتكب الكبيرة ، حيث نشأت من التساؤل عن موقف الفريقين أيهما على الحق وأيها على الخطأ والمخطئ يعد مرتكب كبيرة ، لأن خطأه تسبب عنه سفك دماء عدد من المسلمين بدون وجه حق ، وهذا الحكم له حساسيته لأنه يتعلق بقطبين (وهما طرفا القتال) لهما مكانة عظيمة فى نفوس المسلمين .

فارتبطت مشكلة مرتكب الكبيرة — وهى مشكلة فقهية — بالسياسة وأحداثها والحكم على الحكام ومن فى مستواهم .

وقد ولد البحث فى مرتكب الكبيرة آنذاك مشكلة هامة أخرى شغلت المسلمين زما وما زالت تشغلهم وهى مدى مسئولية الانسان عن الكبيرة التى يقتربها ، هل له فيها اختيار ام هو مجبر عليها ، فهل ما يفعله بحرية واختيار ام يفعله بقضاء ، وقدر من الله تعالى .

وهكذا ظهرت فى الصدر الأول للإسلام مشكلات متعددة احتاجت الى أساس فكرى لحلها ، وهذا الأساس لأبد وان يكون مرتكرا على

فهم القرآن والسنة ومن هنا يمكن القول بأن ظهور هذه المشكلات كان من أهم العوامل التي عجلت بظهور الفرق الكلامية •

وعلى هذا يمكن القول بأن علم الكلام نشأ نشأة إسلامية بفضل عوامل إسلامية ، وتلبية لحاجات المجتمع الإسلامي آنذاك •

غير أن هناك مؤثرات أجنبية اعانت على تطور علم الكلام بتدعيم مناهجه وتعميق مباحثه فأضيفت اليه موضوعات جديدة نتيجة احتكاكه بهذه المؤثرات الأجنبية •

وتتمثل هذه المؤثرات الأجنبية في الأديان السماوية والممل والاهواء والنحل ، المخالفة للإسلام ، التي احتك بها الإسلام ، في البلاد التي فتحها ، كما تتمثل أيضا في وفود الفلاسفة اليونانية الى العالم الإسلامي واثرها على التفكير العقلي في الإسلام بوجه عام •



الفصل الثالث

المصادر الأجنبية وأثرها في تطور علم الكلام

تمهيد :

أولا : أثر الديانات السماوية في تطور علم الكلام

- (١) أثر اليهودية .
- (٢) أثر المسيحية .

ثانيا : أثر الديانات والملل والأهواء والنحل في تطور علم الكلام

- (أ) أثر الديانات الفارسية .
- (ب) أثر الصائبة .
- (ج) أثر الديانات الهندية .

ثالثا : أثر الفلسفة اليونانية في تطور علم الكلام

تمهيد

يمكن القول بأن علم الكلام نشأ نشأة إسلامية ، بفضل عوامل إسلامية — كما قدمنا — وتلبية لحاجات المجتمع الإسلامي آنذاك .

غير أنه يمكن القول بأن هناك مؤثرات أجنبية أعانت على تطور علم الكلام ، بتوسيع مباحثه وتعميقها ، فأضيف إليه موضوعات جديدة نتيجة احتكاكه بهذه المؤثرات الأجنبية وصقلت مناهجه وتدعمت .

وتتمثل هذه المؤثرات الأجنبية في الأديان السماوية والملل والأهواء والنحل ، المخالفة للإسلام ، كما تتمثل أيضا في وفود الفلاسفة اليونانية إلى العالم الإسلامي ، وأثرها على التفكير العقلي بوجه عام .

ولما كان علم الكلام هو العلم الذي يبحث في الأصول أو الأحكام الاعتقادية ، مقررا إياها بالحجج والبراهين ، لتوكيدها بالفعل بعد الإيمان بها بالقلب والوجدان ، ومدافعا عنها ضد شبهات الخصوم الأمر الذي حدا بالتكلمين إلى دراسة هذه الشبهات والاعتراضات ، وذلك حتى يتيسر الرد عليها ودفعها .

ولعل هذا هو الذي أدى بالتكلمين إلى دراسة عقائد الأديان السماوية الأخرى ، وكذا أصحاب الملل والأهواء والنحل المختلفة وما أثاروه من شبهات واعتراضات ضد الإسلام ، وذلك حتى يتيسر عليهم رد اعتراضاتهم وشبهاتهم .

ولقد أنتج لنا المتكلمون — كما سوف نتبين — دراسات في مقارنة الأديان تشهد بسعة اطلاعهم ، ودقته ، كما تشهد أيضا بمنهجهم العلمي في الدفاع عن الإسلام ضد المخالفين .

من هنا اختلط بعلم الكلام مباحث أخرى تتعلق بهذه المصادر الخارجية ، فضلا عن عناصر فلسفية ، استعانوا بها فى عملية الرد على شبهات الخصوم ، والدفاع عن الاسلام .

وقد بينا أن ذلك الخوض كان امرا ضروريا ، ذلك لان افضل وسيلة لدفع الخصوم ، هو ان يكون هذا الدفع بوسائل الخصوم التى اعتادوها ، والا بعدت الثقة بينهم وبين الخصوم ، فلا ضير فى استخدام وسائل الخصوم ، طالما كانت وسيلة لا غاية ، فهى أمر مشروع . فيصرح أحد أئمة الأصول فى المغرب الاسلامى وهو الامام يوسف ابن محمد المكلاتى (ت ٦٢٦ هـ) فى كتابه « لباب العقول فى الرد على الفلاسفة فى علم الأصول » (١) ، بأنه ليس أقوى من سلاح الخصم ، للقضاء على أسلوب الخصم ، طالما كان السلاح مشروعا (٢) .

وعلى هذا لا يقدر فى اصالة علم الكلام الاسلامية احتواؤه على بعض أساليب الخصوم ، أو انسياقه على بعض مباحث الفلسفة وطرائقها ، ذلك لأن هذا كله كان لغاية دينية وهى الدفاع عن الدين وتوكيد اصوله ، كما لا يقدر ايضا فى كونه علما دينيا ، من جملة العلوم الشرعية الدينية .

(١) الدكتور فؤاد حسين محمود : مدخل الى الفكر الاسلامى ص ٦٠

(٢) المكلاتى : لباب العقول فى الرد على الفلاسفة فى علم الأصول ، تحقيق الدكتور فؤاد حسين محمود ، دار الانصار ، القاهرة ، ١٩٧٧ م
نقلا عن مدخل الى الفكر الاسلامى للمحققة ص ٦٠ .

أولا - أثر الديانات السماوية فى تطور علم الكلام :

(١) أثر اليهودية فى تطور علم الكلام :

قابل الاسلام اليهودية ، فى الحجاز ، واستأصل شأفة اليهود منها ، فانتقلوا شمالا الى الشام ، كما رحل بعضهم الى الكوفة واستقر عدد منهم فى اليمن ، وبعد أن هدأ الفتح واستقرت النفوس أخذ اليهود يفدون الى الحجاز ، بعد أن أعلن بعضهم الاسلام اما عن اعتقاد وبقين واما طلبا لدنيا وتعايشا مع المسلمين ، كما ظل بعضهم على يهوديته *

التقى الاسلام باليهود وأحبارهم ، واختلف معهم ، منذ البداية فى نقاط كثيرة ، كانت موضع نقاش وجدال بين الفريقين ، وصارت من أهم موضوعات علم الكلام فيما بعد ، ويمكن أن نشير الى هذه النقاط فيما يلى :

(أ) انكار اليهود لنبوذة محمد عليه الصلاة والسلام ، ونبوذة عيسى عليه السلام ، فقد ذهبوا الى أن الدين لبني اسرائيل فقط وليس ثمة أنبياء ، وكانت هذه من أول وأهم نقاط الجدال بين المسلمين واليهود *

(ب) انكار اليهود للنسخ : فقد أنكر اليهود النسخ فقالوا : ان الشريعة لا تكون الا واحدة ، وهى ابتدأت بموسى عليه السلام ، وثمت به ، فلم يكن قبله شريعة ، الا حدود عقلية ، وأحكام مصلحية ولم يجيزوا النسخ أصلا ، فقالوا : فلا تكون بعده شريعة أخرى ، لأن النسخ فى الأوامر بداء ، ولا يجوز البداء على الله (٣) *

(٣) الشهرستاني : الملل والنحل ، على هامش كتاب الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم ج ٢ ، ص ٥٠ ،

(ج) التشبيه والتجسيم : نزع اليهود الى التشبيه والتجسيم وذلك لأنهم وجدوا التوراة مليئة بالمتشابهات من : الصورة والمثاقفة : والتكليم جهرا ، والنزول عند طور سيناء انتقالا ، والاستواء على العرش استقرارا ، وجواز الرؤية فوقا ، وغير ذلك (٤) .

(د) القول بجواز الرجعة : قالوا بجواز الرجعة ، ويذهب الشهرستاني الى أن الذي دفعهم الى هذا القول أمران : حديث عزيز اذ أماته الله مائة عام ثم بعثه ، والثاني : حديث هارون عليه السلام ، اذ مات في التيه ، وقد نسبوا الى موسى قتله ، لأن اليهود كانت اليه أميل ، واختلفوا في حال موته ، فمنهم من قال مات وسيرجع ، ومنهم من قال غاب وسيرجع .

وهكذا اختلفت الديانتان ، وبدأ الصراع والجدال الفكري بين أخبار اليهود وعلماء المسلمين ، فحاول الأولون بما وسعتهم الحيلة الدفاع عن عقائدهم ، والظعن في الاسلام ، وتقويض عقائده كما حاول الآخرون بيان تهافت دعواهم ، وتناقض أقوالهم مدافعين عن الاسلام . وتلك كانت الغاية الرئيسية لقيام علم الكلام .

ولا شك أن هذا الصراع بين الاسلام واليهودية ، أضاف الى علم الكلام الاسلامي موضوعات جديدة ، لم تكن له من قبل ، فمما لبثت نقاط الجدال والخلاف تمثل جزءا من الموضوعات الرئيسية في هذا العلم ، فضلا عن تطور في تعميق طريقة ومناهجه ، لمواجهة هذا الخلاف ، فأحدث ذلك كله تطور في علم الكلام ، من ناحية الموضوع والمنهج ، ولكي نتبين هذا علينا أن نستعرض جهود اليهود وكيف واجهها علماء المسلمين .

لقد اتخذت مجادلات اليهود وهجومهم للمسلمين طرقا متعددة ، منها : الطرق السرية ، تلك الطرق التي تتوافق مع طبيعة اليهود المغلقة ،

(٤) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ، ص ٥١ .

والتي تلجأ دوما إلى التخفى والتستر حين تغلب على أمرها ، واستطاعوا من خلال هذه الطرق أن يلقوا بكثير من أفكارهم وآرائهم الغربية ، لاثارة البلبلة والقلق داخل العقيدة والفكر الاسلامى ، مما أدى الى تنازع المسلمين وتضاربهم حول هذه الأفكار والآراء .

ومن شأن هذه الطرق السرية أن تنتهز فترات انقلاق والاضطراب فتلقى بنفسها ليزداد الأمر اضطرابا وقلقا ، فهي لاتنمو الا فى الجو المضطرب فانتهزوا فترة الاضطراب التي كانت فى صدر الاسلام — والتي بدأت منذ السنوات الست الأخيرة من خلافة عثمان رضى الله عنه وانتهت بقتله ووصلت ذروتها فى خلافة على رضى الله عنه وانتهت بقتله أيضا — وراحوا يلقون بأفكار غريبة عن الاسلام يزكون بها التيار المؤيد لعلى رضى الله عنه كفكرة (الامام المعصوم) ، و (خاتم الأوصياء) ونسبوا الى على رضى الله عنه وتجمع كتب مؤرخى العقائد على أن عبد الله بن سبأ — وكان يهوديا قبل اسلامه — أول من أن ألقى بهذه الأفكار الغربية ، والتي دارت حول تأليه على ، والقول بقداسته ، وبالعلم السرى ، والرجعة ، والبداء .. مما يشهد بأن معظم أفكار الشيعة الغالية ، كانت يهودية المصدر (٥) .

كما كان هناك أيضا شخصية يهودية زكت الطرف المعادى للتيار الشيعى ، فزكت عثمان وشيعته أولا ، ثم الأمويين وشيعتهم ثانيا ، ولعبت دورا خطيرا فى فتنة عثمان ، واثارة الأمويين وهى شخصية كعب الأحبار (٦) .

(٥) الدكتور، النشار : نشأة التفكير الفلسفي فى الاسلام ، ج. ١ : ص ٦٨ — ص ٧٠ .

(٦) نفس المصدر : ص ٦٨ .

وهكذا نصب اليهود حباتهم على الفريقين تركية للفتنة وعملا على اتساع الشقة بين الفريقين ، منتهزين الفرصة لالقاء أفكارهم المخلطة داخل العقيدة الاسلامية ، تمهيدا لتقويضها والقضاء عليها .

كما انتهزوا الفرصة ، للتسلل الى نطاق اسلامي خطير وهو مجال التفسير ، فلقد استند بعض المفسرين الى أقوال بعض اليهود الذين أسلموا ، مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبد الله بن سلام ، فانتشرت الاسرائيليات في مجال التفسير ، وكانت قصص الأنبياء مجالا خصبا لها ، ذلك لأن هذه القصص قد وردت في التوراة وفيها كثير من التفاصيل والزيادات ، ان حقا وان باطلا - وهي وان كانت قد وردت في القرآن الكريم ، فهو لم يقصد من سردها مجرد السرد القصصي ، وانما العظة والاعتبار فأراد القصاص أن يشبعوا فضول العامة من ميل الى الأفاصيص فحشوها بكثير من معتقداتهم (٧) .

كما أنتشرت الاسرائيليات أيضا في مجال الحديث النبوي ، وألقت بأفكار : الوصاية ، والتشبيه والتجسيم ، وأحاديث عن الميعاد ، وأشراف الساعة ، والمهدي المنتظر ، والمسيح الدجال وقد لعبت هذه الأحاديث والأفكار دورا خطيرا في ظهور الحشوية في الاسلام ، وأعقبها نشأة المشبهة ثم المجسمة ، حقا كان للتشبيه والتجسيم مصادر أخرى ، لكن الأثر اليهودي كان أهم هذه الآثار (٨) .

أدى هذا كله الى قيام علم الكلام الاسلامي ، لينقض علماء المسلمين عن طريقه ما أدخله اليهود من عقائد مختلفة في صور أحاديث

(٧) الدكتور احمد صبحي : علم الكلام ، المعتزلة ، دراسة فلسفية لآراء الفرق الاسلامية في أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية ، الطبعة الرابعة ، ٨٢ ، ج ١ .

(٨) نفس المصدر : ص ٣٣ .

موضوعة ، كما أدى الى انشاء علم اسلامى هو علم مصطلح الحديث
ليبحث فى الحديث بحثا منهجيا روية ودراية كما نتبه علماء التفسير
الى ما دخل من خرافات اسرائيلية فى مجال التفسير ، فقاوموا ذلك مقاومة
لا هوادة فيها (٩) .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل تعداه الى الجدل العلنى حيث
اندفع علماء المسلمين فى مجادلة أحبار اليهود ، زودا عم الاسلام ،
فصارت موضوعات الجدل من أهم مباحث علم الكلام .

لد اندفع المفسرون من المسلمين واليهود فى البحث فى نص
التوراة ، أما المسلمون فكانت غايتهم استخراج الدلالات أو الآيات
التي تدل على كون شريعة المصطفى عليه السلام حقا ، وكون صاحب
الشريعة صادقا ، وبيان ما حرفة اليهود وغيره وبدلوه فى نصها ، أما
تحريفا من ناحية الكتابة أو الصورة ، وأما تحريفا من حيث التأويل
والتفسير (١٠) . فكانت أول مشكلة نشب حولها الخلاف هى مشكلة
اثبات نبوة محمد ﷺ .

كما راح علماء المسلمين يحتجون على جواز النسخ بحجج عقلية
ونقلية ، موضحين أن النسخ ليس ابطلا ، بل تكميلا واتسع نطاق البحث
ليشمل الناحية الأصولية الكلامية ، والناحية الأصولية الفقهية ، وقد انتج
المسلمون فى هذا الجانب انتاجا خصبا مبتكرا ، فاندفع الأصوليون -
سواء فى علم الكلام أو الفقه الى بيان أن النسخ ضرورة انسانية لا بد
منها لكى يتوافق الدين مع تطور الحياة الانسانية .

وأدت هذه المجادلات الى تسرب التشبيه والتجسيم ، والقول

(٩) الدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الإسلام ،

ج ١ ، ص ٧٠ .

(١٠) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥١ .

بجواز الرجعة ، الى معتقد الفرق الغالية ، وقد قاوم ذلك كله علماء الكلام من معتزلة وأشعرية .

وقد أنتج المتكلمون نتاجا خصبا في هذا المجال ، وتركوا لنا مصنفات عديدة قاموا بالرد فيها على اليهودية وسائر الديانات المخالفة ، أدت الى انشاء علم مقارنة الأديان في وقت مبكر (١١) .

ومما يدل على انتاج المتكلمين في هذا المجال ، تلك الردود التي أودعها الشهرستاني (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه (الملل والنحل) (١٢) ، وابن حزم (ت ٤٥٦ هـ) في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) (١٣) وابن القيم (ت ٧٥١ هـ) في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) (١٤) وغيرهم .

(٢) أثر المسيحية في تطور علم الكلام :

قابل الاسلام المسيحية ، وكان أول ما قابل نصارى نجران في شبه الجزيرة العربية ، وكانت مسيحيتم مسيحية تدركها العقول بفطرتها ، دون تعقيد أو التواء ، وكانوا نصيين لا يجتهدون في الأناجيل ، وقد أورد القرآن الكريم مقابلة الاسلام لهذه المسيحية في قصة المباحلة (١٥) .

(١١) الدكتور أحمد شلبي : مقارنة الأديان ، النهضة المصرية القاهرة ، الجزء الأول اليهودية الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨ ص ٢٨ — ٢٩ ،

(١٢) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٥٠ — ٥٩ .

(١٣) الفصل في الملل والأهواء والنحل ، وعلى هامشه كتاب الملل والنحل للشهرستاني ، ج ١ ، ص ١٥٨ — ص ٢٢٤ .

(١٤) ابن القيم : هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ، المكتبة القيمة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .

(١٥) في قوله تعالى : (فقل تعالوا ندع ابنائنا وابنائكم ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل ، فنجعل للعنة الله على الكاذبين) (سورة آل عمران آية ٦١) .

غير أن الاسلام بعد أن فتح بلاد ما بين النهرين والشام ومصر ، قابل مسيحية أخرى تختلف عن هذه المسيحية الأولى مسيحية عقلية ، متسلحة بالمنطق الصورى حتى آخر الأشكال الوجودية ومتصلة بالفلسفة الهندية والايروانية ، فيقول أوليرى : « فى نهاية القرن الثانى لم تكن المسيحية قوية بعدد اتباعها ، بل كانت محصنة بنقاها العقلى واستخدامها للفلسفة » (١٦) .

وكانت هذه المسيحية منقسمة على نفسها ، فانقسمت الكنيسة الى ثلاث فرق كبرى هى : الملكانية ، واليعاقبة ، والنساطرة وكانت الاختلافات بينهم دقيقة وشديدة التعقيد .

وكان على علماء الاسلام أن يواجهوا هذه الفرق مجتمعة ومنفردة ، فكيف كان ذلك ؟ وكيف أعان ذلك على صياغة ميتافيزيقا اسلامية استندت على القرآن الكريم ؟ ، وكيف أعان ذلك على تطور علم الكلام ؟ .

ولكى نقف على اجابة لهذه التساؤلات علينا أن نقف أولا : على مذهب كل فرقة من هذه الفرق المسيحية والتي قابلها الاسلام منفردة ومجموعة ، ويمكن القول — بادية ذى بدء — بأن مؤرخى علم الكلام كالشهرستانى صوروا النزاع بين هذه الفرق المسيحية على أنه يعود الى امرين : أحدهما : كيفية نزوله (أى نزول المسيح) واتصاله بأمه ، وثجبسد الكلمة ، والثانى : كيفية صعوده واتصاله بالملائكة ، وتوحد الكلمة (١٧) . فتقول الملكانية (١٨) : ان الله ثالث ثلاثة ، فالقديم جوهر

(١٦) أوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ترجمة الدكتور وهيب كامل . ومراجعة زكى على ، النهضة المصرية ١٩٦٢ ص ٦٤

(١٧) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٦١ .

(١٨) الملكانية : وهى من أقدم المذاهب المسيحية ، وهى العقيدة الرسمية للدولة الرومانية ، ويطلق أيضا على المذهب الكاثولىكى ، وهو =

واحد ، فى ثلاثة أقانيم ، أى أن ، الصورة الالهية هى : آب ، وابن ، وروح قدس ، وكلها لم تنزل فى قديمة .

وتذهب الى أن الجوهر غير الأقانيم ، أى أنها فصلت بين الله وصفاته فيقول القاضى عبد الجبار : ان الأقانيم هى الجوهر والجوهر غير الأقانيم ^(١٩) وأن الأقانيم (الصفات) جوهر بسيط غير مركب ، ثم حدث الامتزاج بين الأصول الثلاثة ، أى بين الله (الجوهر) والناسوت الكلى (جسد المسيح) وهو قديم أزلى ، فهو من قديم أزلى من الله ، والكلمة وهى الأصل الثالث فى الامتزاج فمريم اذن ولدت لها أزليا ^(٢٠) وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح حينما وجدوا فى الإنجيل : انك أنت الابن الوحيد ، وحين قال شمعون الصفا : انك ابن الله حقا ، ولعل ذلك من مجاز اللغة ^(٢١) .

وقد أعلنت المكانية عقيدتها الرسمية ، فى مقابل آريوس ^(٢٢) الذى أعلن رفضه لمساواة أقيوم الابن وأقيوم الآب فى الأزلية . فأعلنوا عقيدتهم الرسمية والتي أوردتها الشهرستانى على النحو التالى : « نؤمن بالله الواحد الآب مالك كل شئ وصانع ما يرى وما لا يرى ،

=
مشتق من كلمة يونانية معناها العام أو العالمى ، أى الديانة العالمية أو العامة ، وهو مذهب جبيع ملوك النصارى ما عدا الحبشة والنوبة فيما يقول ابن حزم (الفصل فى الملل والاهواء والنحل) ، ج ١ ص ٢٤٨ وكان منتشرا فى البلاد التى فتحها المسلمون .

(١٩) القاضى عبد الجبار : المغنى فى ابواب التوحيد والعبدل ج ٥ ، ص ٨٤ .

(٢٠) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(٢١) نفس المصدر : ص ٦٣ .

(٢٢) آريوس : هو تلميذ ماريطرس ، الدكتور النصار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ص ٩٥ .

والابن الواحد يسوع المسيح ابن الله ، الواحد بكر الخلائق كلها ، وليس بمصنوع ، اله حق من اله حق ، من جوهر أبيه الذى بيده أنتقنت النعوالم ، وكل شئ ، الذى من أجلنا ومن أجل خلاصنا ، نزل من السماء ، وتجسد من روح القدس ، وولد من مريم البتول ، وصلب أيام فلاطوس ، ودفن ثم قام فى اليوم الثالث وصعد الى السماء ، وجلس عن يمين أبيه ، وهو مستعد للمجيء تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء ، ونؤمن بروح القدس الواحد روح الحق ، الذى يخرج عن أبيه ، وبمعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قدسية مسيحية جاثليقية ، وبقيام ابداننا والحياة الدائمة ابد الآبدين » (٢٣) .

أما النساطرة (٢٤) فتقول فى طبيعة المسيح قولاً أثار ثورة خبرى فى العالم المسيحي فهم يذهبون فى بيان طبيعة المسيح الى القول ، بأنه انسان وليس اله أو ابن لأنه ، وولد انسانا ، وأن مريم انسان جزئى ، ولا يلد الانسان الجزئى الا انسانا جزئيا ، ثم حدثت النعمة الالهية . التى نزلت على الرسل من قبل ، فاتصل اللاهوت بهذا الانسان الجزئى ، كما اتصل بسائر الأنبياء ، ولكن صلته بالمسيح كانت صلة أكثر دواما واستقرارا فيه ، ولذا سمي بالابن الوحيد .

وقالوا فى الاتحاد : انه اتحاد ، كاشراق الشمس فى كوة او على بلور ، فهو اتصال معنوى فحسب ، فليس ثمة اتحاد فى الهوية أو

(٢٣) نفس المصدر : ص ٦٢ .

(٢٤) وهم أصحاب نسطور ، بطريرك الكنيسة الشرقية ، كان بطريرك القسطنطينية سنة ٤٨٢ م ، ومكث فى هذا المنصب أربع سنين وشهرين ، فهو لم يظهر أيام المأمون كما ذكر الشهرستانى (الملل والنحل ، ج ٢ ص ٦٤) وإنما كان قبل الاسلام انظر (الدكتور على عبد الواحد وافي : الاسفار المقدسة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١١٤) والشيخ أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ص ١٦٢ ، ص ١٨٨ . وأيضا الدكتور على سامى النشار ، نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ١٩٦ .

الطبيعة ، وانما ثمة وحدة فى المشيئة ، ولم يبطل الاتحاد قدم القديم ولا حدوث المحدث ولكنهما صارا مسيحا واحدا ، ومشيئة واحدة (٢٥) .

ويرى نسطور — صاحب هذا المذهب — أن القتل — فى واقعة الصلب — وقع على المسيح من جهة ناسوته ، لا من جهة لاهوته ، لأن الاله لا تحله الآلام (٢٦) .

أما اليعاقبة (٢٧) .

فقالوا بالأقناتيم الثلاثة — كما قالت الفرق الأخرى — إلا أنهم قالوا : انقلببت الكلمة لحما ودما ، فصار الاله هو المسيح ، وهو الظاهر بجسده ، هو هو ، وعنهم أخبرنا القرآن الكريم (لقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح ابن مريم) (٢٨) .

فهم يقولون بأن المسيح وحدة واحدة ، أى طبيعة واحدة وإذلك عرفوا بأنهم أصحاب مذهب وحدة الطبيعة ، ويحكى القاضى عبد الجبار مذهبهم قائلاً : (وزعم أكثر اليعقوبية ، أن المسيح جوهر واحد ، إلا أنه من جوهرين ، أحدهما جوهر الاله القديم والآخر جوهر الانسان ، اتحدا فصارا جوهرًا واحدًا ، اتقنوما واحدًا وربما قال بعضهم طبيعة

(٢٥) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ص ٦٤ .

(٢٦) القاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ج ٥ ، ص ٨٢ — ص ٨٣ ، والشهرستانى : الملل والنحل ج ٢ ، ص ٦٤ — ص ٦٦ ، والدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ، ص ٩٦ — ص ٩٧ .

(٢٧) هم اتباع يعقوب البرذعانى فيما يقول الشهرستانى (الملل ج ٢ ، ص ٦٦) ، ويطلق عليهم الارنؤذكس ، وقد انتشر انتشارا تاما فى البلاد الشرقية .

(٢٨) الشهرستانى : الملل والنحل ج ٢ ، ص ٦٦ .

واحدة (٢٩) ، فجوهر الاله القديم وجوهر الانسان ، تركبا : كما تركبت النفس والبدن ، فصارا جوهرًا واحدًا ، أقتوما واحدًا ، وهو انسان كله ، والاله كله ، فيقال الانسان صار الها ، ولا ينعكس . فلا يقال الاله صار انسانا كالفحمة تطرح فى النار ، فيقال ، صارت الفحمة نارا ، ولا يقال صارت النار فحمة ، وهى فى الحقيقة لا نار مطلقة ، ولا فحمة مطلقة . بل هى جمرة (٣٠) .

وهكذا تنتهى اليعقوبية الى القول بأن المسيح اتحدت فيه الطبيعتان اللاهوتية والناسوتية ، اتحادًا كاملاً ، فى الهوية ، نهى جوهر واحد ، فيه الانسان والاله .

وعلى هذا فقد وقع الصلب على المسيح كجوهر واحد ، أى من حيث هو اله وانسان ، وحين مات الاله وصلب ، بقى العالم ثلاثة أيام بلامدبر ، ثم قام الاله المسيحى من جديد ليدبر العالم (٣١) .

ومن الجدير بالذكر أن عقائد المسيحية على هذا النحو يمكن أن نرى فيها أكثر من مؤثر أجنبى ، بصورة أو أخرى ، ففيها اقتباسات من الوثنية واليهودية والحياة الشرقية والرومانية فضلاً عن الفلسفة الاغريقية .

فمن الأفكار الفلسفية فكرة الكلمة ، وهى التى ترادف الاله عند الاغريق ومن الأفكار التى تكلمت عنها اليهودية فكرة الأبوة بين الله والناس أى فكرة أبوة الله للمخلق ، وفكرة الأخوة بين الناس ، وفكرة

(٢٩) القاضى عبد الجبار : المغنى فى ابواب التوحيد والعدل ، ج ٥ ، ص ٨٣ .

(٣٠) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٦٦ — ص ٦٧ .

(٣١) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ص ٩٧ .

المثالية فى العدالة والحب والرحمة ، برغم أن اليهود لم يتبعوا ذلك ، ومن الحياة الشرقية اقتبست الفنون والرسوم التى ازدانت بها الكنائس ، ومن الحياة الرومانية اقتبست النظم التى اتبعتها فى توزيع السلطان (٣٢) .

وهكذا اختلفت هذه المذاهب المسيحية فيما بينها ، كما اختلفت بجمليتها مع الاسلام ، ويمكن القول بأن نقاط الخلاف كانت تتركز فى المسائل التالية :

- ١ — التثليث .
- ٢ — الاتحاد .
- ٣ — الصلب .
- ٤ — عبادة المسيح .

ولقد وقف القرآن الكريم موقفا مضادا من هذه المسائل لذلك يهمننا أن نتبين موقف القرآن الكريم من هذه المذاهب المسيحية .

(ب) موقف القرآن الكريم من المذاهب المسيحية :

لقد أنكر القرآن الكريم انكارا صريحا قولهم بالتثليث فى قوله تعالى : (لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة) (٣٣) .

(٣٢) دكتور أحمد شلبى : مقارنة الأديان ، الجزء الثانى ، المسيحية ، النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٧٨ ، ص ٨١ — ٨٢ .

(٣٣) سورة المسائدة آية ٧٣ ، وايضا آيات ٧٢ ، ٧٥ ، ١١٧ ، ويتفق انجيل مرقس مع هذا التصور القرآنى انظر : ١٢ : ٢٨ — ٢٦ ، من نفس السورة

كما عارض القرآن الكريم الاتحاد بجميع صوره ، فرد على أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة في قوله تعالى : (ولقد كفر الذين قالوا : ان الله هو المسيح بن مريم ، قل فمن يملك من الله شيئا ان أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ، ومن في الأرض جميعا ، والله ملك السموات والأرض وما بينهما ، يخلق ما يشاء ، والله على كل شيء قدير) (٣٤) .

ومن هنا قرر القرآن الكريم أن المسيح انسان مخلوق خلقه الله كما خلق آدم ، خلقه من تراب ، وهو رسول لبني اسرائيل معلنا ذلك في قوله : (اذ قالت الملائكة يا مريم ، ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم ، وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين يكلم الناس في المهد ، وكهلا ، ومن الصالحين ، قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسنى بشر ، قال كذلك يخلق الله ما يشاء ، اذا قضى أمرا ، فانما يقول له كن فيكون ، ويعلمه الكتاب ، والحكمة ، والتوراة ، والانجيل ، ورسولا الى بنى اسرائيل انى قد جئناكم بآية من ربكم ، انى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير ، فأنفخ فيه ، فيكون طيرا ، باذن الله ، وأبرىء الأكمة والأبرص وأحيى الموتى باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم ، ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة ، ولأحل لكم بعض الذى حرم عليكم ، وجئناكم بآية من ربكم ، فاتقوا الله وأطيعون : ان الله ربى وربكم فأعبدوه هذا صراط مستقيم) (٣٥) .

وهكذا يقرر القرآن الكريم بشرية المسيح ، ويوضح حقيقة انه

(٣٤) سورة المائدة ، آية ١٧ .

(٣٥) سورة آل عمران ، آية ٤٥ — ٥١ .

رسول لبني اسرائيل (٣٦) ، انسان بشر ، تظهر عليه العوارض البشرية (٣٧) .

ويعارض القرآن مسألة الصلب ، منكرا اياها ، ومعلنا أنهم ما صلبوه وما قتلوه ، ولكن شبه لهم ، فما استطاع اليهود قتل المسيح ، نبيهم الأخير ، وأن يغفر الله به خطاياهم ، وبهذا حدد القرآن الكريم نهاية المسيح ، بانكاره واقعة الصلب . وإذا كان القرآن الكريم ينكر واقعة الصلب ، فإن هذا الانكار ليس مجرد انكار لواقعة تاريخية ، وانما لأن الصلب يتصل بأصول العقيدة المسيحية ، فضلا عن أنه نظرية في تفسير الشر ، ذلك الشر الذي حل بالعالم بمعصية آدم عليه السلام ، ورثة بنوة ، فورثوا تلك الخطيئة الأولى ، فصارت متأصلة فيهم ، لا يخلصهم غيها الا فداء عام ، ولا يفدى البشرية جمعاء انسان ، لأن الشر أصل فيهم ، وانما الذي يفديهم لابد أن يكون خالسا من الشر ، من هذا الميراث العام ، ومن ثم فالمسيح هو الفداء العام ، وهو ليس

(٣٦) وقد أيدت الأناجيل كون المسيح نبيا الى بني اسرائيل انظر : انجيل متى ١٥ : ٢١ - ٢٤ ، ١٠ : ٥ - ٦ ، وانظر أعمال الرسل ١١ ، الفقرة الأولى ، ١٥ : ٣٨ وانظر أيضا آراء بعض الكتاب المسيحيين : *Emcycloedia Britannica* Vol. 5, p. 632.

كما يذكر : *Bury* ان اضطهاد الرومان لاتباع المسيح كان سببه ان الاباطرة لم يعرفوا عن دعوة عيسى الا انها امتداد لليهودية ، التي كانت شديدة التعصب ، والحقدها مما اثار غضب اليونان عليهم ، برغم ما عرف عنهم من التسامح الديني انظر :

A History of Freedom of thought.

Dean Longe : The Source of christianity , p. 15.

وانظر أيضا :

الدكتور أحمد شلبى : مقارنة الأديان ، ج ٢ ، المسيحية ص ٦١ . وانظر أيضا : الامام محمد عبده : الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية ص ٥٠ . (٣٧) انظر سورة آل عمران آية ٥١ ، والنساء آية ١٧٣ ، والمائدة ٧٥

بشر !! فهو اله ، أو ابن اله ، ومن ثم فان خلاص البشرية من ميراث الخطيئة لا يكون الا على يديه بصلبه ، ومن هنا كانت الخطيئة الأولى ، وألوهية المسيح ، وصلبه ، عقائد ثلاث متلازمة فى المسيحية ، وحين يفكر الاسلام صلب المسيح ، فانه يرتب على ذلك : انكار الألوهية ، وانكاره لعقيدة الفداء العام الذى يجعل البشر مسئولين عن خطيئة أبيهم على مدى السنين والقرون (٣٨) .

ومن هنا يقرر الاسلام مبدأ المسئولية الفردية ، فليس هناك ما يسمى خلاص بالفداء العام والتضحية الكلية ، ففكرة الصلب والفداء تؤديان الى انشكاك المسئولية الفردية ، وهى التى حرص عليها الاسلام كل الحرص (٣٩) .

وهكذا تناول القرآن الكريم ، الجوانب المختلفة من حياة المسيح ، ولم يترك منها جانباً الا ناقشه ، ووضع الحق فيه (٤٠) .

(ج) نقاش الاسلام مع المسيحية وتطوره :

قدم القرآن الكريم صورة متكاملة عن المسيح والمسيحية دعت الكثير من المسيحيين من أهل البلاد التى فتحتها الاسلام أن يقبلوا على الاسلام ، لأن هذه الصورة القرآنية أغنتهم عن خلافات الفرق المسيحية ،

(٣٨) الدكتور أحمد صبحى : علم الكلام ، ج ١ ، ص ٢٣ .

(٣٩) الدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١ ، ص ٩٠ .

(٤٠) ومن الجدير بالذكر اننا بيننا اتفاق الاناجيل فى بعض ما انتهى اليه القرآن الكريم فى بيانه لحقيقة المسيح .

تلك الفرق التي وقعت فى نزاع شديد حول طبيعة المسيح ، وحقيقته ،
وحول المسيحية الحقيقية وأصولها (٤١) .

من أجل هذا تقدم آباء الكنيسة للدفاع عن نظرياتهم برغم اختلافهم
فيما بينهم حول طبيعة المسيح ، وحقيقته ، وأصول المسيحية ، فتصدى
لهم مفكرو الاسلام .

وبدأ الجدل فى رقة ولين ، ثم ما لبث أن أخذ صورا أخرى من
الشدة والعنف ، فقد بدأ هذا الجدل منذ العهد الاسلامى الأول .
فقد عثر على نصوص سريانية من مخططات العهد الاسلامى الأول ، فى
العراق ، فيها ترجمات لبعض سور القرآن الكريم التى تناولت المسيحية ،
نقلها السريان الى لغتهم ، فى مطلع غزو المسلمين لبلاد ما بين النهرين ،
لكى يناقشوا مضمونها ، كما أن كثيرا من النصوص ما زالت بين أيدينا
عن مناقشات المسلمين وجدالهم مع كهان الحبشة ، هنرى من الصحابة
من وضع المناقشة فى صورة جدلية عقلية (٤٢) .

وقد شجع على هذا الجدل : أن بعض من أسلم ، أسلم ظاهريا ،
وظل متمسكا بمعتقداته القديمة ، كما أن الاسلام سمح لأهل الكتاب —
بوجه عام — أن يبقوا على اعتقاداتهم اذا ما دفعوا الجزية .

وما أن توقف الفتوح ، وهذأت النفس واطمأنت فى ظل الدين
الجديد ، حتى أخذ أصحابها يفكرون فى تعاليم أديانهم محاولين أن
يلائموا بينها وبين الدين الجديد .

(٤١) ان كثيرا من نقاط الخلاف بين الاسلام والمسيحية ، هى ليست
نقاط خلاف بين الاسلام والمسيحية الحقيقية ، المكتوبة فى الانجيل المفقود

(٤٢) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج١، ص ٩٢

كما أن المسلمين عاشوا مع هؤلاء المخالفين ، واختكوا بهم داخل الحياة العامة ، فحدث تأثير متبادل بين أصحاب الدين الفاتح والبيئنة المفتوحة ، نشأ عنه اتساع نطاق علم الكلام ، ليشمل المشكلات التي أثارها المسيحية وكان عليه التصدى لها لمناقشتها كما أدى الى استخدام المتكلمين في جدلهم أسلحة الطرف الآخر فأدى ذلك الى تدعيم مناهج علم الكلام في مقابلة الخصوم ، وحتى يتسنى لنا بيان هذا التطور في علم الكلام من ناحية الموضوع والمنهج عاينا أن نقتبع هذه المناقشات الأولى وكيف تطورت وما هي المشكلات التي أثارها تلك المناقشات والتي أصبحت من مشكلات علم الكلام الجوهرية ، كذلك أيضا عاينا أن نقف على طريقة معالجة المسيحيين لها ، وكيف استفاد منها متكلمو الاسلام .

لقد كان لانتقال الخلافة الى دمشق — منذ عهد بنى أمية — أثره في ظهور علم الكلام في مقابل الأفكار المسيحية ، ذلك لأن المسيحية التي قابلها الاسلام في شبه الجزيرة العربية ، كانت مسيحية بسيطة ، أما في دمشق فقد كان هناك تيار مسيحي قوى ذلك لأن المسلمين عندما فتحوا دمشق تعهدوا لمواطنيها النصارى بابقاء خمس عشرة كنيسة مع الحرية التامة في ممارسة العبادة ، وكانت احدى هذه الكنائس ، وهي كنيسة اليعاقبة مجاورة لقصر الخليفة حتى خلافة هشام ابن عبد الملك (٤٣) .

وساعد تسامح الخلفاء مع أهل الكتاب — وبالذات المسيحيين (٤١)

(٤٣) لويس جارديه ، الآب فنواي : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، الترجمة العربية ، ج ١ ، ص ٥٦ .

(٤٤) كان الخليفة معاوية — مثلا — يستعين بسرجيوس بن منصور الرومى المسيحى ، فكان كاتبة وصاحب امره (انظر : الطبرى : تاريخ الأمم والملوك ، المطبعة الحسينية ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ج ٦ ، ص ١٨٣ ، وابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، لندن ، ١٢٨٣ هـ — ١٨٨٦ — ١٨٧٦ م ج ٤ ، ص ١٧) وبعد وفاة معاوية بقيت لسرجيوس مكانته فكان يزد

على أن ينمو التيار المسيحي ويسلح نفسه بكافة الأدلة الجدلية وقد كانت هناك شخصيات مسيحية لها قدرها في الدفاع عن المسيحية ، وعرضها في مقابل العقيدة الإسلامية ، كشخصية يوحنا الدمشقي الذي يعد من أكبر علماء اللاهوت في الكنيسة الشرقية وأعظم علماء الكلام المسيحي (٤٥) .

فيقول عنه آير : انه آخر أبناء الكنيسة الشرقية ، وممثل اللاهوت المسيحي فيها ، وان كتاباته هي زبدة تعاليم الكنيسة الشرقية (٤٦) . كما يقول عنه مكيفرت : ان اللاهوت المسيحي وصل ذروته في زمن يحيى الدمشقي ، الذي وضع في كتبه خلاصة ما بلغه الفكر المسيحي في الشرق (٤٧) .

وقد ألف يوحنا الدمشقي عدة كتب في اللاهوت والفلسفة منها : « ينبوع الحكمة » ، و « المقدمة في العقائد » ، و « الايمان الحق » ، و « الثالوث الأقدس » ، و « ايضاح الايمان » (٤٨) .

= يستشير في الملهمات ويسأله الرأي (انظر : الطبري : تاريخ الامم والملوك) ، ج ٦ ، ص ١٩٤ ، وابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٤ ، ص ١٧) ثم ورث تلك المكانة يوحنا الدمشقي (أو يحيى الدمشقي) كما انه من المعروف ان الاخطأ الشاعر المسيحي ، كان من القريين من بنى أمية ، وكان لسان حالهم ووسيلتهم في الرد والدفاع . (انظر : أبو الفرج الاصفهاني : الاغانى ، القاهرة ، ١٣٢ هـ ، ١٩٠٥ م ج ١ ، ص ١٠٠٢ .)
(٤٥) A.C.M.C Giffert A History of christian thought Eastern and Western London, 1932, p. 303.

وانظر : زهدى جاد الله : المعتزلة ، القاهرة ، ١٩٤٧ م - ١٣٦٦ هـ ص ٢٤
(٤٦) Ayer : A source Book for Ancient church History, New York, 1926, p. 691.

نقلا عن : زهدى جاد الله : المعتزلة ص ٢٤ .
(٤٧) Mc Giffert : A History of christian thought, p. 661 .

نقلا عن : زهدى جاد الله : المعتزلة ص ٢٤ .
(٤٨) Encyclopaedia Britannica ; Art . Johnal Damescus .

وكان يعتمد في الدفاع عن عقائده الدينية على الأدلة العقلية ، وقد وضع كتابا في اللاهوت المسيحي طبقه على فلسفة أرسطو المنطقية ، وقد قام بتعديل بعض نظريات أرسطو فيما يتعلق باللاهوت الطبيعي وعلم الأخلاق ، وظلود النفس ، وأخذ عن أرسطو الكثير ، وأضاف أيضا الكثير ^(٤٩) . وقد أثر أثرا بالغا في الغرب المسيحي ، فقد ترجم كتابه في الايمان الأرثوذكسي « الايمان الحق » الى اللاتينية ، واطلع عليه توما الاكوينى ، أعظم متكلميهم ، واستفاد منه ^(٥٠) .

ولقد اعتبر يوحنا الدمشقى الاسلام عقيدة فلسفية ، ومن ثم واجهه مواجهة قائمة على أصول جدلية ، فقرر ماكدونالد أن يوحنا وضع للمسيحي دليلا لمناقشة المسلم على شكل حوار اذا قال لك المسلم كذا فقل له كذا . . ^(٥١) وهو كتابه في الدفاع عن النصرانية ^(٥٢) .

وقد بلغ النقاش بين الاسلام والمسيحية ذروته على يد (حنا النقيوسى) المصرى الذى رحل الى الحبشة ، وبدأ يرسل رسائله الى اقباط مصر ^(٥٣) ، يحاول فيها مناقشة العقائد الاسلامية والحيولة دون اعتناقهم الاسلام ، ثم تتابع النقاش فى عهد العباسيين الذين سجعوا مثل هذه المناقشات، تحت شعار حرية الفكر وطلب العلم ، فلم يتعرضوا للمسيحيين وشجعوهم ليفوزوا بحصادهم العلمى فى دراساتهم وترجماتهم فى الفلسفة اليونانية خاصة والعلم اليونانى بوجه عام ^(٥٤) .

(٤٩) زهدى جاد الله : المعتزلة ص ٢٤ .

(٥٠) لويس جارديه الآب متواتى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، الترجمة العربية ، ج ٢ ، ص ٣٣ .

(٥١) Macdonald : Muslim theology, p. 132.

(٥٢) Mc Giffert : History of christian thought, p. 310.

(٥٣) الدكتور النصار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١، ص ٩٢

(٥٤) Mcdonald : Muslim theology. p.

بل انهم سمحوا أن يعقدوا مناقشاتهم ومجادلاتهم للمسلمين في بلاطهم،
وتحت رعايتهم ، ويضرب وات Watt لذلك مثلاً بالمناقشات التي كانت
تعقد في بلاط الخليفة المهدي مع البطريرك تومثي Timothy فيقول :
ان الكتاب المسجل لهذه المناقشات مازال بين أيدينا (٥٥) .

(د) أثر هذه المناقشات في تطور علم الكلام :

لقد اقتصت هذه المناقشات بين المسلمين والمسيحيين أن يقف متكلمو
الاسلام على فهم واف لكل مذهب من مذاهب المسيحية وأن يفهموا
الفروق الواقعة بينهم ، حتى يواجهوا كل مذهب بما يوافق معتقده ،
وقد قام متكلموا الاسلام بهذا العمل خير قيام ، ونشير الى أمثلة من
جهود المتكلمين في هذا الصدد تلك الجهود التي أدت الى تطور علم
الكلام .

فنجده أوائك المعتزلة ومتقدميهم ، قد قاوموا المسيحية مقاومة
عنيقة ، معتمدين على العقل ، فلقد كان الدفاع عن الدين ضد المخالفين ،
أهم عمل انبرى له المعتزلة ، بل هو واحد من أهم أسباب اتخاذهم
العقل منهجا .

وقد كان منهجهم في الرد على المذاهب المسيحية ، ان يعرضوا
هذه المذاهب : عرضاً موضوعياً ، أميناً ، ثم يناقشوا هذه المذاهب
مذهباً مذهباً ، وقد أبان لنا كتاب (المغنى في أبواب التوحيد والعدل) (٥٦) .
صوراً من هذه المناقشات التي تمت بين ابي الهذيل العلاف والمسيحية ،
وكذا أيضاً الجبائي .

Watt : Free will and predestination In Early Islam, (٥٥)
London, 1948, p. 58.

(٥٦) القاضي عبد الجبار : المغنى في أبواب التوحيد والعدل ، ج ٥
الفرق غير الاسلامية ، انظر ص ٨٦ من ص ١٤٦ .

ولقد عرض القاضى عبد الجبار مذاهبهم فى أمانة نادرة ، مبينا مصادر عرضه ، فقد رجع الى الأناجيل الأربعة ، والى ما كتبه آباؤهم ، تمهيدا للرد عليهم ، وفى رده عليهم أبطل قولهم فى التثليث ، وما يلزم عليه من القول بالوهمية المسيح ، وقدم الكلمة وينوته لله تعالى (٥٧) . كما أبطل قولهم فى الاتحاد ، وما يتصل به من القول بأن مشيئة اللاهوت متحدة بمشيئة الناسوت (٥٨) ، كما أبطل كل صور الاتحاد من القول : بالممازجة ، بممازجة اللاهوت بالناسوت أو القول بالمجاورة ، أو القول بأن اللاهوت اتخذ الناسوت هيكلًا ومجلا (٥٩) ، أو القول بالحلول ، بمعنى أنه حل فيه (٦٠) أو القول باتحاد الطبيعتين الالهية والانسانية فى المسيح عليه السلام (٦١) ، أو القول بأن الجوهرين صارا جوهرًا أو واحدا (٦٢) ، كما أبطل القول بعبادة المسيح (٦٣) .

كما سبق للجاحظ من المعتزلة أن قام بالرد على النصارى فى رسالة له أوقفها لهذا الهدف بعنوان « الرد على النصارى » وقد رد على التثليث ، والوهمية المسيح ، وطبيعته وبيان صعوبة الوصول الى أساس متفق عليه بين المذاهب المسيحية ، ويعبر عن ذلك بقوله « ولو جهدت بكل جهدك ، وجمعت كل عقلك ، أن تفهم قولهم فى المسيح ، لما قدرت عليه ، حتى تعرف به حد النصرانية وخاصة قولهم فى الالهية وكيف تدر

(٥٧) القاضى عبد الجبار : المغنى فى ابواب التوحيد والعدل ج ٥ ،

ص ٨٠ - ١١٣ .

(٥٨) نفس المصدر : ص ١١٩ - ١٢٠ .

(٥٩) نفس المصدر : ص ١٢١ .

(٦٠) نفس المصدر : ص ١٢١ .

(٦١) نفس المصدر : ص ١٢٦ .

(٦٢) نفس المصدر : ص ١٣٧ - ١٤٥ .

(٦٣) نفس المصدر : ص ١٤٦ - ١٥١ .

على ذلك ؟ و انت لو خلوت مع نصراني نسطوري فسألتة عن قولهم فى المسيح لقال قولا ، ثم ان خلوت بأخية من أبيه وأمه ، وهو نسطوري مثله ، فسألتة عن قولهم فى المسيح ، لأتاك بخلاف قول أخيه وضده ، وكذلك جميع الملاكية واليعقوبية ، ولذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية ، كما نعرف جميع الأديان » (٦٤) كما يستبشع قولهم بالتثليث فيقول : (ولولا ان الله قد حكى عن اليهود انهم قالوا : ان عزيز ابن الله ويد الله مغولة ، وان الله فقير ، ونحن اغنياء ، وحكى عن النصارى انهم قالوا : المسيح ابن الله ، وقال تعالى : « قالت النصارى المسيح ابن الله » ، وقال تعالى « لقد كفر الذين قالوا : ان الله ثالث ثلاثة » ، لكنت لأن آخر من السماء أحب الى من أن اللفظ بحرف مما يقولون » (٦٥) .

وقد شارك الأشاعرة فى الرد على المسيحية ، فللأشعري كتاب مفقود ، اسمه كتاب (الفصول) يصفه ابن عساكر بأنه اشتمل على اثنتى عشر كتابا ، رد فيه الأشعري على البراهمة واليهود ، والنصارى وكتابا نقد فيه هذه العقيدة (٦٦) .

وعرض الباقلاني للمسيحية ومذاهبها وناقشها مناقشة مستفيضة فى كتابه (التمهيد) ناقبدا قولهم بأن الله جوهر ومفند! قولهم فى التثليث والاتحاد والتجسد (٦٧) .

(٦٤) الجاحظ : رسالة الرد على النصارى ، ضمن ثلاث رسائل للجاحظ ، نشرها يوشع فينكل ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٢ هـ ، ص ٢٢ .

(٦٥) نفس المصدر : ص ٣٧ .

(٦٦) ابن عساكر : يتبين كذب المفتري ، دار الكتاب العربى ، بيروت الطبعة الخامسة ، ١٣٩٩ هـ ، وانظر أيضا : دكتور محمود على حياية : ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٨٣ م ص ١٤٦ .

(٦٧) الباقلاني : التمهيد فى الرد على اللحدة والمعلقة ، تحقيق : الخضرى ، والدكتور ابو ريدة ، القاهرة ، ١٢٦٧ هـ .

ورد الامام الجويني على النصارى ، فيما يتعلق بتسميتهم الله جوهرًا ، وتدرع اللاهوت بالناسوت ، عارضا لآراء اليعقوبية والتسطورية ؛ وذلك فى كتابه (الشامل فى أصول الدين) (٦٨) .

كما عرض الشهرستاني فى كتابه (الملل والنحل) لمذاهب المسيحية عرضا موضوعيا ، وقام بالرد عليهم فى نفس المسائل (٦٩) .
وقد شارك الامام الغزالى فى هذا الميدان مخصصا لذلك مؤلفه (الرد الجميل لالهية المسيح بصريح الانجيل) (٧٠) .

كما شارك ابن حزم الظاهري فى الرد على النصارى ، بما قدمه لنا من دراسة نقدية لنصوص الكتاب المقدس ، مؤسسا عليها أكبر نقد وجه الى المسيحية ومذاهبها المختلفة (٧١) ولقد سبق بدراسته النقدية ، تلك الدراسات التى ظهرت بوادرها فى القرن السابع عشر ، وازدهرت فى القرن التاسع عشر (٧٢) ، كما أنه يمكن القول بأن كثيرا من التناقضات

(٦٨) الدكتوراة فوقية حسين محمود : الجوينى (امام الحرمين) سلسلة اعلام العرب ، من مطبوعات وزارة الثقافة ، القاهرة ١٣٨٤ هـ ، ١٩٦٤ م ، ص ٨٤ .

(٦٩) الشهرستاني : الملل والنحل ، على هامش كتاب (الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم) ج ٢ ، ص ٥٩ — ٧٠ .

(٧٠) الغزالى : الرد الجميل لالهية المسيح بصريح الانجيل اكتشافه المستشرق الفرنسى ما سينيون ، وقام بتصحيحه الأب روبر شديقان اليسوعى ، ونشر فى باريس عام ١٩٣٩ وأعيد نشره بالقاهرة وقام بتصحيحه وترجمة مقدماته والتعليق عليها وعلى بعض النصوص ، عبد العزيز عبد الحق مجمع البحوث الاسلامية ، الأزهر ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ .

(٧١) ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ج ٢ ، ص ٢ — ٨٠ .

(٧٢) عبد العزيز عبد الحق : مقدمة تحقيقه لكتاب (الرد الجميل لالهية المسيح بصريح الانجيل) للغزالى ، ص ٨١ .

التي اثبت العلم الحديث وجودها فى كتب اليهود والنصارى والتي أوردها موريس بوكاي قد سبق لابن حزم بيانها فى كتابه الفصل فى الملك والأهواء والفحل (٧٣) .

ولابن تيمية كتاب فى الرد على النصارى بعنوان (تخجيل أهل الانجيل) (٧٤) ، ولتلميذه ابن القيم كتاب (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى) (٧٥) .

ولعل من أشهر المناقشات فى العصور الحديثة مناقشة الشيخ رحمه الله ابن خليل الهندى، للقسيس بفندر فى مدينة اغرة الهندية والتي اعترف فيها بفندر بالتحريف فى الانجيل (٧٦) وقد قام رحمه الله فى كتابه اظهار الحق بدراسة الانجيل على أساس علمى ، مبينا التحريف فيها ، ناقدا لفكرة الصلب والأقنانيم ومدافعا عن الوحدة الالهية . دفاعا ممتازا يشهد له بسعة الثقافة وقوة العقل .

وشهدت عصورنا الحديثة ، هجمات أيضا على الاسلام من قبل كثير من المستشرقين المسيحيين ، والمبشرين ، من أمثال زويمر ، ولا فجرى ، ولا منسى ، وقاومهم كثيرون من علماء الاسلام المعاصرين . ليس من شك فى أن هذه المناقشات بين الاسلام والمسيحية فى

(٧٣) دكتور محمود على حباية : ابن حزم ومنهجه فى دراسة الأديان ص ١٤٩ .

(٧٤) دكتور محمد يوسف موسى : ابن تيمية ، سلسلة الأعلام الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٧ م ، ص ١٣١ .

(٧٥) ابن القيم ، : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى تقديم ونعليق وتحقيق ، دكتور أحمد حجازى السقا ، المكتبة القيمة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ ، وهذا الكتاب عبارة عن أجوبة لاسئلة وجهت الى المؤلف ، من قبيل أهل الكتاب ، رد فيها على : التثليث ، والصلب ، والوهية المسيح ..

(٧٦) قد طبعت هذه المناظرة على هامش كتاب اظهار الحق لرحمة الله الهندى ، طبعة مصر ، ١٣١٧ هـ .

كل صورها ، ساعدت على تطور علم الكلام ، ذلك لأنه العلم المتكامل بالدفاع عن العقيدة الاسلامية ، فكان على أصحاب هذا العلم أن يتسلحوا بصحج كافية لمواجهة كل مذهب من مذاهب المسيحية ، كما كان عليهم أيضا أن يخوضوا في نفس الموضوعات التي فرضها عليهم المسيحيون ، من هنا فقد انبثقت من هذه المناقشات مشكلات كلامية كثيرة ، حار واجبا على المتكلمين مواجهتها ، وأدى هذا الى أن يفنظروا المتكلمون في نصوص القرآن الكريم والسنة ، لاستخراج وجهة النظر الاسلامية ، ويمكن أن نشير الى بعض هذه المشكلات الكلامية ، والتي احتلت حيزا كبيرا في الدراسات الكلامية فيما يلي :

(أ) مشكلة كلام الله ، أو خلق القرآن :

أجمع المسيحيون على أن المسيح (كلمة الله) وهذه « الكلمة » قديمة ، وهذا يعني أنها تشاركه في الألوهية ، أما المسلمون فلتأكيد بشرية المسيح أنكروا قدم الكلمة في دلالاتها على السيد المسيح ، فيذهب كل من جارية وقنواتي الى القول : « بأن مسألة القرآن غير المخلوق ، والتي تعود بأصلها فيما يبدو وكما أثبتت بيكر ، الى مسألة الكلمة ، فنحن نعلم أن القرآن يقول في عيسى انه « كلمة الله » أو « روحه » وما كان ليشتق على مسيحي تأويل هذه التسميات ، ومن هنا نشأ الاعتراض الذي وجهه أهل الجدل من المسيحيين الى المسلمين : من هو المسيح ؟ — انه « كلمة الله » — فهل هذه الكلمة مخلوقة أم غير مخلوقة ؟ ان كانت غير مخلوقة ، كان المسيح هو الله ، وان كانت مخلوقة لم يكن الله قبل تولدها ذا « كلمة » و « روح » وبكلام آخر : كان المسيحيون يستخدمون البرهان بالكلمة المخلوقة أو غير المخلوقة ، ليرغموا المسلمين على الاعتراف بألوهية المسيح ، فاضطر المسلمون الى الاجابة ، وربما كان ذلك هو الأصل في القرآن المخلوق أو غير المخلوق (١٧٧) .

(١٧٧) جارية والآب قنوانى : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام

والمسيحية ، ج ١ ، ص ٦١ .

غير أن البحث ، ما لبث أن انتقل الى « كلام الله » بوجه عام ، هل هو قديم أم مخلوق ، وإذا كان قديما ، فهذا يؤدي الى تعدد انقدمات !! وإذا كان محدثا ، فكيف ذلك والكلام يدل على العلم بل هو مظهر له ؟ تبني المعتزلة القول بخلق القرآن الكريم في مواجهة المسيحية ، وأنكر الحنابلة وصف القرآن الكريم بأنه مخلوق ، وكانت فتنة بين المسلمين ومحنة للحنابلة (٧٨) .

وهكذا أفرزت مناقشات المتكلمين المسلمين مع المسيحيين مشكلة من أهم المشكلات وأخطرها في تاريخ علم الكلام ، لم يخض فيها المتكلمون الا لدوافع دفاعية ، ضد اعتقادات المسيحية ، فهي مشكلة فرضها الخصم ، ولم يكن من سبيل الا أن يخوض فيها المتكلمون المسلمون ، ويكتنوا بنارها !! .

(ب) البحث في مشكلة الذات والصفات :

لزم عن مناقشة المسيحية في مسألة الجوهر والاقانيم (الصفات) والاتحاد ، والتجسد ، البحث في ذات الله وصفاته ، وهل صفات الله عين ذاته غير مستقلة عن ذاته ، ولا تتجسد في موجود دغائر له ؟ ، أم هي غير ذاته ، كما يرى المسيحيون ، وهكذا خاص المتكلمون في هذه المشكلة ، لأنها تتعلق بمناقشة المسيحيين .

(ج) البحث في مشكلة الحرية والمسئولية :

أنكر المتكلمون القول بالفداء والخلص من الخطيئة الأولى التي حملها البشر عن أبيهم الأول ، بتأكيدهم على الحرية والمسئولية الفردية ، لتفقد فكرة الفداء أو الخلاص مبرر قيامها ومن عجب أن يوحنا الدمشقي يذهب الى القول بأن مذهب الجبر هو عقيدة الاسلام ، بينما مذهب

(٧٨) الدكتور أحمد صبحي ، في علم الكلام ، دراسة فلسفية آراء الفرق الاسلامية في اصول الدين - الجزء الأول ، المعتزلة ، ص ٤٥ ،

الحرية هو مذهب المسيحية ^(٧٩) ، فكيف ينسجم هذا مع القول بالمسئولية الجماعية وتحمل الخطيئة الأولى ؟ !!

(د) مشكلة نهاية المسيح عليه السلام :

كانت مشكلة الصلب من أهم المشكلات التي تناقش فيها المتكلمون المسلمون مع المسيحيين ، وأنكر المتكلمون صلب المسيح ، وفقا لما جاء في القرآن الكريم ، وهذا بدوره ألقى بتساؤلات فرعية كثيرة ، ماذا بعد الصلب ؟ هل رفع الى السماء اذا لم يصلب ، وهل رفع الى السماء حيا بجسمه وروحه ؟ ، هل استوفى أجله على الأرض ، بمعنى هل اختفى حتى مات حيث شاء الله له ؟ ودفن جسده ورفعت روحه ؟ ، كل هذه التساؤلات تفرعت من مشكلة صلب المسيح أو عدم صلبه ^(٨٠) .

(٧٩) جارية والآب قنواطي : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ، ج ١ ، ص ٦١ .

(٨٠) لقد اقامت مجلة لواء الاسلام في ابريل عام ١٩٦٣ ندوة حول هذا الموضوع ، واتجه الرأي اتجاهين : اتجاه يؤيد أن عيسى عليه السلام رفع الى السماء بجسده وروحه ، والآخر : يرى أن عيسى عليه السلام قد نجا من الصلب ، واستوفى أجله على الأرض ، حتى مات حين شاء الله له ، ورفعت روحه الى بارئها (انظر : الدكتور أحمد شلبي : مقارنة الاديان ، ج ١ ، المسيحية ، ص ٤٥ - ٥٠) .

ويبدو من هذا أن كلا الرأيين يعتمد على ما جاء بالقرآن الكريم ، وان كان الرأي الثاني أقرب الى الاتساق مع الآيات القرآنية في نحو قوله تعالى : « انى متوفيك ورافعك الى » .

وقوله تعالى على لسان عيسى : « السلام على يوم ولدت ويوم أموت » الى آخر هذه الآيات التي تقيد أنه توفى بعد أن قضى أجله على الأرض ، واذا كان التاريخ لم يذكر لنا شيئا عن حياته أو ظروفه بعد نجاته من الصلب ، فذلك لأن التاريخ لم يتبعه بعد أن ترك بنى اسرائيل . ويمكن القول بأن الاعتقاد القائل بأن عيسى رفع بجسمه وروحه اعتقاد يقترب من الاتجاه المادى فى الانسان ، كما يقترب من الاعتقاد المسيحى بأن عيسى ابن الله الذى نزل الى السماء ، ثم رفع الى الجوارىب ابيه اها المسلم الذى يعتقد أن الله واحد ، وأنه فى كل مكان فكيف يوفق بين هذا وبين رفع عيسى ليكون مع الله .

وهكذا أنتج لنا لقاء المتكلمين مع المسيحيين مشكلات هامة حول ذات الله وصفاته ، وكلام الله ، وتفسير الخير والشر والمسئولية ، خاص فيها المتكلمون ووضعوا فيها آراء شكلت تاريخ علم الكلام ، فساعدت على توسيع موضوعه ، وتطوره .

حقيقة أن لهذه المشكلات أصولاً في الكتاب والسنة — كما بيننا — ولكن هذه المواجهة لأهل الكتاب ، هي التي أبرزت النقاش والجدال حولها، من هنا نظر المتكلمون في أصولهم النقلية ليكونوا آراءهم في متابل آراء أهل الكتاب .

على أن تلاقى التيارات الفكرية يحدث عنه — أحياناً — نوع من التأثير والتأثر ، ولقد غلب بعض مؤرخي الفرق الكلامية في استغلال تلك المسألة ، للنيل من خصومهم من أصحاب الفرق الأخرى ، فلقد حاول الشهرستاني — كمفكر أشعري — على سبيل المثال ، أن يحارب المعتزلة، فربط بينهم وبين المذهب النسطوري ، فيقول : انه (أى نسطور) تصرف في الأناجيل بحكم رأيه ، وأضاف إليه — ومن تابعة — كإضافة المعتزلة الى هذه الشريعة بل يقارن قول نسطور بأن الله تعالى واحد ذو أقانيم ثلاثة الوجود والعلم والحياة ، وأن هذه الأقانيم ليست هي زائدة على الذات ، ولا هي هو ، بأن ذلك هو أساس المذهب المعتزلي في الصفات ، وأن أشبه مذاهب شيوخ الاعتزال في الصفات ، لقبول نسطور هو مذهب أبي هاشم الجبائي في قوله بالأحوال وهي قوله بأن الصفات وراء الذات لا موجودة ولا معدومة (٨١) .

ومن الجدير بالذكر أن قول المعتزلة بوجه عام في الصفات يقوم على التوحيد المطلق في أعلى صورة ولا يتصل إطلاقاً بفكرة الأقاليم ، واننا نرى المعتزلة شأنها شأن أي فرق إسلامية دارت بينها وبين المسيحية

(٨١) الشهرستاني : المل والنحل ج ٢ ، ص ٦٤ — ٦٥ .

مجادلات ومناظرات حول مسألة الوحدة والتعدد ، والتجسد ، وبهذا انتجوا فكريا دينيا حو لمشكلة الصفات يقوم على اثبات الوحدة المطلقة لله ، القائمة على التنزيه المطلق الذى هو أهم مقولة يقوم عليها الفكر الاعتزالى عامة .

فضلا عن أبى هاشم الجبائى فى قوله بالأحوال يدافع عن تنزيه الله تعالى تنزيها مطلقا ، وقد كان هذا من أهم نقاط الخلاف بينه وبين المسيحية !! ، ولقد عرض لنا القاضى عبد الجبار مناقشة الجبائى للمسيحية والتي تميزت بالدقة الشديدة فكيف يكون متابعا لهم (٢٨) . لقد صدر الاثنان عن وجه نظر مخالفة تماما للأخرى ، بدأ المسيحيون من الواحد الذى يتعدد ويتشكل ثم قد يعود واحدا ، وقد لا يعود ، وبدأ أبو هاشم والمعتزلة عامة من الواحد الذى يبقى واحدا على الاطلاق (٨٣) .

على أن مناقشة المتكلمين للمسيحية أفادت فى نقطة هامة وهى نقطة المنهج ، فلقد استخدم آباء الكنيسة المنطق الأرسطى بشكل خاص ، فى جدلهم ، حتى آخر الأشكال العملية — أى عند الفصل السابع من التحليلات الأولى — فكان المنطق هو سلاحهم الذى أقاموا عليه جدلهم مع المسلمين ومن هنا كان على المسلمين أن يطلعوا على المنطق الأرسطى والفلسفة اليونانية ليستخدموا نفس السلاح الذى استخدمه أعداؤهم وما لبثوا أن قاوموا هذا المنطق بعد أن ثبتوا عيوبه ، وأقاموا منطقا اسلاميا فى مقابل هذا المنطق الأرسطى (٨٤) .

(٨٢) القاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والمعدل ج ٥ ، ص ٨٠ وما بعدها .
(٨٣) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١ ، ص ٩٦ — ٩٧ .
(٨٤) نفس المصدر : ص ١٠٠ .

على أن ذلك لم يمنع من تسرب بعض أفكار المسيحيين إلى فكر المسلمين ، وإن كان هذا التسرب لم يبلغ ما بلغه تسرب الاسرائيليات ، ذلك لأن موقفهم من الانجيل كان واضحا من البداية ، وهو عدم الاعتراف به ، لوقوع تحريف فيه — فكانوا منه أكثر حذرا من التوراة ، هذا فضلا عن أنه لم يكن بين المسيحيين من لعب دور وهب ابن منبه أو كعب الأخبار أو عبد الله بن سلام ، في ترويح كثير من الاسرائيليات •

فقد تسربت إلى الفكر الاسلامي ، فكره رفع عيسى إلى السماء بجسمه وروحه ، وأنه لم يميت ، وأنه سيعود ، كما تسربت اليهم فكرة الحلول ، حلول اللاهوت في الناسوت ، كما أن فكرة حوارى المسيح الاثنى عشر ، شبيهة بفكرة النقباء ، والمهدى المنتظر عند الشيعة الامامية ، شكل هذه الافكار غدت بلا شك بعض فرق الشيعة 'الغالية' •

* * *

ثانيا — أثر الديانات والملة والأهواء والنحل في تطور علم الكلام :

(١) أثر الديانات الفارسية في تطور علم الكلام :

دخل الاسلام بلاد فارس ، وأزال دولة الساسانيين ولم يصبح للديانات الفارسية دولة تسندها وتحميها ، غير أن نهاية الدول لا تعنى بالضرورة نهاية العقائد التي تعتقها ولا الديانات التي تدين بها ، فظل بعض الفرس على الدين البارسي ، كما ظلت الزرادشتية — والتي كانت على مدى أكثر من ألف سنة مقوما من أهم مقومات الحضارة الفارسية قبل الاسلام — قائمة ، فلم يكن استئصالها أمرا ميسورا (٨٥) •

(٨٥) الدكتور أحمد صبحي : في علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق الاسلامية في اصول الدين ، ج ١ ، المعتزلة ص ٥٨ •

غير أن تاريخ الأديان والعقائد يدلنا على أن الديانات والعقائد المخلوبة على أمرها لا تختفى ، وإنما تبقى في عقول الناس ووجدانهم ، غير أنها في بقائها تتشكل بصور وأشكال جديدة وهذا الأمر ينسحب على الديانات الفارسية فلقد بقيت في أشكال غنوصية (٨٦) . فصارت تمثل تيارا باطنيا عقيفا .

لقد جمع المسلمون من مؤرخي الملل والنحل تلك الأديان الفارسية المتأخرة القائمة على فكرة الثنائية ، وهي تلك الأديان التي نشأت نشأة غير غنوصية ، ثم انتهت إلى غنوصية عنيفة جمعها المسلمون تحت اسم المجوس (٨٧) ، إلا أنهم أحسوا بما فيها من فروق ، فكانوا يميزون بين أصحاب الاثنين ويقصدون بهم أصحاب تلك الديانات الثنوية (٨٨) التي

(٨٦) الغنوصية Gnosticism وهي كلمة يونانية الأصل تعني المعرفة الباطنية ، أي التوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا ، أو تذوق تلك المعارف تذوقا مباشرا بأن تلقى في النفس القاء ، فلا تستند إلى الاستدلال أو البرهنة العقلية . (انظر : الدكتور على سامي النشار : نشأة التفكير الفلسفي في اسلام ، ج ١ ، ص ١٨٦) .

(٨٧) اسم المجوس لم يكن تسمية من المسلمين ، فهو تسمية واردة في القرآن (انظر سورة الحج آية ١٧) ، وهذا يدل على أن التسمية سبقت نزول القرآن أي أنه من تسمية العرب قبل الاسلام .

(٨٨) صدرت الديانات الثنوية في الأصل من فكرة أخلاقية وهي تفسير الشر في العالم ، فربوه إلى مبدأ فاعل ، كما ردوا الخير إلى فاعل ثان ، واختلف أصحاب هذه الديانات فيما بينهم في هل المبدأ قديمان ؟ الخير ويمثله النور والشر ويمثله الظلمة ، أم النور قديم ، والظلمة محدثة ؟ وكيف حدث الامتزاج بينهما ؟ ، وكيف يتم الخلاص بينهما ؟ فيقول الشهرستاني عن الثنوية : « اختصت بالمجوس ، حتى أثبتوا أصليين اثنين مدبرين قديمين يقسمان الخير والشر والنفع والضرر ، والصلاح والفساد ، يسمون أحدهما النور والثاني الظلمة ، وبالفارسية : يزدان واهر من ، ولهم في ذلك تفصيل مذهب ، ومسائل المجوس كلها تدور على قاعدتين : بيان سبب امتزاج النور بالظلمة ، والثانية سبب خلاص النور من الظلمة ، وجعلوا الامتزاج مبدأ والخلاص معادا » (انظر : الشهرستاني : الملل والنحل ، الفصل ، على هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، ج ٢ ، ص ٧٢-٧٣) .

نشأت من فكرة أخلاقية — أصلا — وهى تفسير الخير والشر ، ولم تأخذ شكلا غنوصيا كالكيومرثية ^(٨٩) والزروانية ^(٩٠) والزرادشتية ^(٩١) وبين تلك الأديان التى أخذت شكلا غنوصيا عنيقا .

(٨٩) الكيومرثية : (بالكاف الفارسية وتنطق g فى الانجليزية) . ترى أن أصلى العالم هما النور والظلمة ، غير أن النور قديم أزلى ، والظلمة محدثة من فكرة رديئة انتابت النور ، فامتزجا ، وخلصهما فى قضاء يزدان (أى النور) على اهر من (أى الظلمة) انظر : الملل والنحل ، على هامش الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ، ج ٢ ص ٧٣ — ٧٤ ، والدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٠ . (٩٠) الزروانية : ترى أن أصلى العالم هما النور والظلمة وهما أصلان قديمان ، وحدث الامتزاج بينهما ، والذي سوف ينتهى بانتصار النور على الظلمة (انظر : الشهرستانى الملل والنحل ، ج ٢ ص ٧٤ — ٧٦ ، والدكتور النشار نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ص ٢٢١) .

ولقد اعتهدت كل من الكيومرثية والزروانية فى تفسير عقائدها — الى حد كبير — على الاسطورة . ولقد انعكس هذا التفكير الاسطورى على تفسيرها للوجود ، انطلاقا من تفسير الثبر فى العالم ، وقد مهد التفكير الاسطورى الى ظهور الدين الفارسى الكبير « الزرادشتية » .

(٩١) الزرادشتية : هو ذلك الدين الفارسى الذى استمر فى وجوده حتى دخول الاسلام بلاد فارس ويسمى الدين البارسى نسبة الى «باريس» وهى كلمة فارسية معناها القوى أو الورع أو العدل (انظر : حامد عبد القادر : زرادشت الحكيم ، نبي قدامى الايرانيين ، حياته وفلسفته ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ١٩٥٦ ، ص ١٥) . وينسب الى زرادشت الذى ذاع أمره وانتشر فى النصف الثانى من القرن السابع قبل الميلاد ولد حوالى سنة ٦٦٠ ق.م. وتوفى ٥٧٣ ق.م وعمره ٧٧ سنة وولد فى أثربيجان ، وقد رويت بشارات بشرت بولده شاعت عند قدامى الايرانيين ، وهناك أساطير تدل على اعتقادهم بأنه روح الله ، تقمصت جسد هذا المخلوق البشرى وحلت برحم أمه ، ثم ولدته بشرا سويا (الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٧٧) وقد شاعت عقيدة الحلول ، وليس يخاف أنها عقيدة المسيحية فى المسيح ، وبخاصة النساطرة منهم ، وقد أخذ بها غلاة الشيعة فيما بعد !! ، أحيطت بنشأة زرادشت الاولى وحياته بوجه عام بكثير من الاساطير والمعجزات (انظر : الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ص ٧٧)

وفى الحقيقة ان مذاهب المجوس القدامى ، نشأة من فكرة اخلاقية بحثة وهى تفسير الشر ، ومنها انطلقوا الى تفسير الوجود كله فرأوا مظاهر التشبيه فى كل شيء . . من هنا أثار قولهم فى تفسير الشر ، ورده الى مبدأ أول ، المتكلمين الى البحث عن حل اسلامى ، لتفسير الشر ، هل يرد الى الله تعالى ؟ أم الى إبليس ؟ ولماذا ترك الله إبليس ليضل الناس ، وينشر الشر ، كل هذه التساؤلات أثارت البحث في

ويقال استغرقت حوالى عشر سنين (انظر تفصيلا حامد عبد القادر : زرادشت الحكيم ، ص ٤٠ — ٤٨) وعرض زرادشت دعوته على كتاسب ملك ايران بأمر من اهورا مزدا وآمن به ، ومن ثم صارت الزرادشتية هى الديانة الرسمية لايران (انظر المصدر السابق ، ص ٥٤ ، وما بعدها وانظر أيضا البيرونى : تحقيق مالهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة ، عالم الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ ص ١٩ ، ص ٦٤ ، ص ٦٨ . ووضح أن حياة زرادشت ونشأته الاولى صيرة لما ورد فى المسيحية بعد ذلك عن حياة السيد المسيح ، مما دعا بعض المؤرخين الاوروبيين الى القول بأن المسيح تعلم من الزرادشتية كل خوارقته خلال رحلته المشهورة الى الهند ، عبر فارس .
ولزادشت كتاب مقدس فيه أسس عقيدته وأحكامها وشريعته ، ويسمى بالعربية « ابستاق » أو « وستاق » وبالسريانية « ابستاقا » وبالفارسية الحديثة « ابستا » ، وقد أثار اليه مؤرخو الاديان (المصدر السابق ، ص ٦٣ وما بعدها) واتسمت عقيدته بعبادة النار ، والقول بالاثنيانية .

ويرى الدكتور النشار انه قد شاب معرفة مذهب زرادشت بعض الاضطراب والغموض عند المسلمين ، الامر الذى جعل بعضهم يصوره على انه مذهب توحيد (انظر : نشأة التفكير الفلسفى ج ١ ص ١٩٢ — ١٩٣) .
انظر عرض الشهرستانى لمذهب زرادشت فى الملل والنحل ، ج ٢ ص ٧٨ — ٧٩) ومن باحثينا المحدثين من فسره بهذا التفسير (انظر : حامد عبد القادر : زرادشت الحكم ص ٨٠ د ٨٢) .

على أنه مازال للدين البارسى أو للزردشتية اتباع قلائل فى العالم الاسلامى ، وأثره واضح فى طوائف الباطنية من : قرامطة وحشاشيين . . وغيرهما ، وقد اعترفت بهم البهائية أخيراً ، حيث وجدت فى « الزانداستا » بشارات ، « بالبهاء » و « الباب » .

مشكلة الشر عند المتكلمين ولعل هذا كان من أكبر الدوافع التي دفعت بالمعتزلة الى بحث مشكلة الشر في أصل من أهم أصولها وهو أصل المعدل

غير أن هذه الديانات الفارسية الوثوية ما لبثت أن أخذت بعد ذلك صورة غنوصية فكانت خطرا شديدا على الاسلام ، من هذه الصور الغنوصية المانوية (٩٢) المزدكية (٩٣) .

(٩٢) المانوية نسبة الى مانى بن فاتك ولد حوالى سنة ٢١٥ م ، أحيطت ولادته ونشأته بشيء من المعجزات !! ، درس الأديان الفارسية القديمة وبخاصة الزرادشتية ، كما درس المسيحية وأخذ بالغنوص ، رفض الأناجيل المعروفة على عصره ورأى تعارضا كبيرا بينها ، فاختار فقط بعض اجزاء منها ، واستند على أناجيل أعلن أنها أقدم الأناجيل وقسّر أن المسيح لم يصلب ، مستندا على ما بين يديه من الأناجيل ، وعلى الأخبار المتواترة التى وصلتته ، وقد كان قريب العهد من ظهور المسيح ، ورفض العهد القديم لما أصابه من التحريف ، وهاجم اليهودية هجوما عنيفا .

وكان مانى يقول بوجود كائن ثنائى الطبيعة وبوجود مبدئين أو كائنين يسيطران على العالم هما : مبدأ النور ومبدأ الظلام ، فالنور مصدر الخير ، والظلام منشأ الشر ، ولكل منهما قدرة على ادراك اللون ، والطعم ، والرائحة والصوت ، والملازمة . ويستطيع كل منهما أن يرى ويدرك الأشياء .

وكل ما هو جميل وخير ونافع من الأشياء فهو صادر عن النور وكل ما هو ضار وقبيح ومفسد فهو ناشئ عن الظلام وكان هذان المبدآن فى أول الأمر منفصلين ، مستقلين متلاصقين ملاصقة الضوء للظل ، وعن امتزاجهما نشأ الكون بما فيه من الظواهر وحوادث وأجسام كثيفة وكائنات حية وكان الظلام هو البادئ بالاجتياح لأن النور خير بطبيعته فلا يبدأ الاعتداء وهما ضدان لا يصدران عن شيء واحد وهما مبدآن نشيطان فعالان الى الأبد بدليل دوام صدور الخير عن أحدهما والشر عن الآخر .

وأوجب مانى على أتباعه أربع صلوات أو سبع كل يوم وصوم سبعة أيام فى كل شهر ، كما أوجب عليهم عشر فرائض أخرى ويعترف مانى بأن بوذا وزرداشت كانا نبيين مرسلين ولا يعترف بأنبياء بنى اسرائيل ، ويعترف بنوة عيسى عليه السلام ، ويقول انه جزء انفصل من عالم النور وتجسد تجسدا ظاهريا ، أما الذى صلبه اليهود ، فهو شبح مزيف ، وليس عيسى الحقيقى .

وفى الحقيقة أن الديانات الثنوية الغنوصية ، كونت ثيارا باطنيا

ولماني ستة كتب رئيسية شرح فيها مذهبه الثنائي ويبين فيها تعاليمه وهى : كتاب « شايريقان » ، كتاب « كنز الاحياء » ، كتاب « الهسدى والتدبير » ، كتاب « الفرائض » ، « وسفر الاسفار » ، « وسفر الجبارة » . ويمكن الرجوع الى مزيد من التفصيل فى المصادر التالية ابن النديم ، الفهرست ، مكتبة خياط بيروت ، (طبعة فلوجل) ، ص ٣٢٧ — ٣٣٧ ، وفيه تفصيل شديد عن ماني وعقيدته وشريعته وكتبه وأتباعه ويعد من أهم المصادر القديمة فى هذا الصدد ، والقاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، ج ٥ ، « الفرق غير الاسلامية ص ١ — ص ١٥ وفيه تدقيق شديد فى ذكر عقائد المانوية فقد اعتمد على ما كتبه رؤساء المانوية وأتباعها وانظر أيضا عرض الشهرستاني للمانوية فى الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٨١ — ٨٩ وانظر أيضا البرونى : تحقيق مالهند من مقولة مقبولة العقل او مرذولة ، ص ٣١ ، ص ٣٧ ، ص ٤١ ، ومن المصادر الحديثة حامد عبد القادر : زرادشت الحكيم ، ص ١٢٥ — ١٢٨ ، الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج ١ ، ص ١٩٥ — ١٩٦ .

(٩٣) المزدكية : نسبة الى مزدك الفارسي ، من نيسابور ، ولد فى اواخر القرن الخامس عام ٤٨٧ م وقبل عام ٥٢٣ م كان مانويا ، ثم خرج عن المانوية فقال ان الامتزاج بين المبدئين (النور والظلمة) قد تم انفسا ، وخلصهما اتفاقا أيضا ، وأرجع الاصلين القديمين (النور — والظلمة) الى ثلاثة اصول مادية هى : الماء ، والنار ، والهواء التى اختلطت ، فحدث من اختلاطها على نسب متساوية مدبر النور وعلى نسب غير متقابلة مدبر الشر ، والمادة الاولى مادة الخير ، مادة صافية ، والمادة الثانية ، مادة الشر ، مادة كدرة .

ويدخل المذهب فى غنوصية شديدة فيذهب الى القول بأن الانسان لى يعود ربانيا لابد أن تكون بين يدية أربع قوى : قوة التمييز ، والفهم ، والحفظ ، والسرور ، فمن ملكها واجتمعت فيه ، انفتح له السر الأكبر ، وارتفعت عنه التكليف فأحلت له الدنيا بما فيها من متاع بل انه أمر أتباعه بأن يمتنعوا عن الحرب والبغضاء والمشاحنة ، وذلك بأن أحل لهم شيوعة المال والنساء ، فهما سبب كل حرب وبلاء فجعل الناس فيها شركة كاشتراكهم فى الماء ، والنار ، والكلأ (انظر : القاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ، ج ٥ الفرق غير الاسلامية ص ١٦ والشهرستاني

انتشرت المذاهب الثنوية الغنوصية وبالذات المانوية فى أجزاء كثيرة من العالم الاسلامى ، بفضل الكتب التى كتبت فى نصرتها . وفى ظل حركة منتظمة كانت تهدف الى القضاء على الاسلام ، بدأت هذه الحركة بعبد الله بن المقفع والذى قضى أكثر سننى حياته فى الدولة الأموية ، ويقال لانه كان زرادشتيا كما يقال انه كان مانويا أو مزدكيا ، فلقد ترجم كتاب مزدك ، المعروف بـ « ديستاو » ، والذى من خلاله انتشرت العقائد المزدكية وكتب كتابا فى الطعن على القرآن الكريم بعنوان « الدرة اليتيمة فى معارضة القرآن »^(١٠٠) وترجم كتاب « كليلة ودمنة » مضيفا اليه بابا سماه باب برزويه^(١٠١) يعد من أخطر ما قيل فى نقد الأديان عامة ، متناولا تعارض الأديان ، واستحالة الوصول فيها الى اليقين وينتهى الى اعتبار العقل وحده أعظم وسيلة وأفضلها للمعرفة !!^(١٠٢) .

(١٠٠) اشتهر عن ابن المقفع انه اشتغل بمعارضة القرآن الكريم مدة ثم مزق ما جمع واستحيا لنفسه من اظهاره وقالوا ان المعارضة كانت « بالدرة اليتيمة » الذى يرى الرافعى انها كتاب يعد طبقة من طبقات البلاغة وليس فيه شيئا من المعارضة وانها اشيع ذلك لأن ابن المقفع متبها عند الناس فى دينه (انظر : مصطفى صادق الرافعى : اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، القاهرة ، الطبعة النامنة ، بدون تاريخ ص ١٧٨ — ١٧٩) . ويذكر الامام الباقلانى أن هذا الكتاب منسوخ من كتاب « بزرجهر » وينتهى الى القول بأنه لا يوجد له كتاب يدعى مدع أنه عارض فيه القرآن بل يزعمون أنه اشتغل بذلك مدة ، ثم مزق ما جمع واستحيا لنفسه من اظهاره ، تارة كان كذلك ، فقد أصاب ولبصر القصد ولا يمنع أن يشتبه عليه الحال فى الابتداء ، ثم يلوح له رشده ، ويتبين لهُ أنه ، وينكشف له عجزه ، ولو كان بقى على اشتباه الحال عليه ، لم يخف علينا موضع عقله ولم يشتبه لدينا وجه شبيته . (انظر : الباقلانى : اعجاز القرآن ، تحقيق أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ ص ٢٢) .

(١٠١) برزوية هو الاسم الفاريسى القديم لعبد الله بن المقفع .

(١٠٢) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ، ج١ ،

ص ٢٠٤ .

فابن المقفع كان يرمى الى نشر الاحاد والزندقة والتحلل من الاسلام ولقد تنبه البيرونى الى ذلك فقال : (وبودى أن أتمكن من ترجمة كتاب « بنج تنقر » وهو المعروف عندنا بكتاب « كليلة ودمنة » فاسه تردد بين الفارسية والهندية ، ثم العربية والفارسية على ألسنة قوم لا يؤمن بتغييرهم اياه كعبد الله بن المقفع فى زيادة باب « برزويه » فيه قاصدا تشكيك ضعيفى العقائد فى الدين وكسرهم للدعوة الى مذهب المفانية واذا كان متهما فيما زاد لم يخل عن مثله فيما نقل) (١٠٣) .
ويقول أيضا : (ثم جاءت طامة أخرى من جهة الزنادقة أصحاب « مابى » كابن المقفع وكعبد الكريم ابن أبى العوجاء وأمثالهم فشككوا ضعاف الغرائز فى الواحد الأول من جهة التعديل والتجويز وأمالوهم الى الثنية) (١٠٤) .

وكما تنبه البيرونى الى كون ابن المقفع مانويا ، يهدف الى هدم الاسلام ، تنبه أيضا الخليفة المهدي - الذى تتبع الزنادقة بالقتل والتشريد - الى زندقة ابن المقفع ، فيروى ابن خلكان قول المهدي : « ما وجدت كتاب زندقة قط الا واصله ابن المقفع » (١٠٥) .

وهكذا كانت المانوية خطرا يهدد الاسلام ، وينشر التحلل الدينى ، والزندقة (١٠٦) ، فهذا عبد الكريم بن أبى العوجاء عندما أتى به الى

(١٠٣) البيرونى : تحقيق مالهند من مقوله مقبولة فى العقل او مرنولة

ص ١١١ .

(١٠٤) نفس المصدر : ص ١٩٦ .

(١٠٥) ابن خلكان : وفيات الاعيان ، وانباء ابناء اهل الزمان بتحقيق

احسان عباس ، القاهرة ، ١٣١٠ ، ج ١ ، ص ١٨٧ .

(١٠٦) يذهب المسعودى الى ان كلمة زنديق كلمة معربة عن الفارسية

ويوضح لنا تاريخ هذه اللفظة فيقول : « وفى أيام مانى ظهر اسم الزندقة الذى اضيف اليه الزنادقة وذلك ان الفرس حين اتاهم زرادشت (اسبتمان)

=

القتل يقول : أما والله لئن قتلتهموني ، لقد وضعت عليكم أربعة آلاف

= على حسب ما قدمنا من نسبة فيما سلف من هذا الكتاب — بكتابه المعروف بالفستا (فستا) باللغة الأولى (القديمة) من الفارسية وعمل له التفسير وهو « الزند » وعمل لهذا التفسير شرحا سماه « البازند » على حسب ما قدمناه — وكان بالتأويل غير المقدم المنزل وكان من أورد في شريعتهم شيئا خلال المنزل الذي هو الفستا وعدل (الى) التأويل الذي هو « الزند » قالوا : هذا « زندي » فاضافوه الى التأويل وأتت منحرف عن الظواهر ، من المنزل الى تأويل هو بخلاف المنزل ... فلما أن جاءت العرب أخذت هذا المعنى من الفرس ، وقالوا : « زنديق » وعربوه والثبوتية هم الزنادقة (مروج الذهب ، ج ١ ص ٣١٢) وهذا ما يذهب اليه ابن نباتة (شرح العيون ، القاهرة ١٨٦١ هـ ، ص ٢٠٥) وابن تيمية : (بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقراهطة ، ويدعى أيضا السبعينية ، القاهرة ١٣٢٩ هـ وآراءهم .

١٩١١ م ص ٦٢ — ٦٣) وهكذا أطلقت في البداية على المانوية — على وجه الخصوص — لسلكهم سلك التأويل في شرح الكتب الزرادشتية بما يتفق وآراءهم .

وهناك رأى آخر فى اشتقاق كلمة زنديق عرضه حامد عبد القادر (فى كتابه : زرادشت الحكيم ص ١٢٨ — ١٣٠) نثلا عن المستشرق براون (صاحب كتاب تاريخ الأدب الفارسي) الذى يذهب فيه الى أن أصل الكلمة آراميا وليس فارسيا وذلك أنه كان من بين طبقات المانوية طبقة تسمى طبقة السماعيين وهم طبقة الأحرار ، الذين لم يلزموا أنفسهم بالتسك بتعاليم دينهم التماسية التى تقضى بالزهد والتتشف والرهينة ، وطبقة أخرى تسمى طبقة الصديقيين ، وهى طبقة المؤمنين المخلصين الذين يأخذون أنفسهم بتعاليم الدين القاسية .

وكلمة صديق كلمة عربية الأصل ، وتستعمل فى العبرية بلفظها ومعناها ، وهى بالأرامية والسريانية زديق ، ويرجح أن الفرس أخذوا الكلمة فى صورتها الآرامية وحرفوها بعض التحريف فجعلوها زنديق ثم أخذ العرب الكلمة عن الفرس بعد أن كسروا زايها لتتسجم مع الدال المكسورة وجعلوها زنديق مثل عربيده وتنديل .

وكانت تطلق فى عرف المانويين بمعناها الأصلية على المؤمن المخلص من أتباع ماني ، ولما كان الزرادشتيون يعدون هؤلاء ملحدة خارجيين عن الزرادشتية الحق ، فتد أطلقت الكلمة عندهم على كل ملحد لا يؤمن بالدين الحق ، وهذا هو المعنى الذى ظل يفهم منها فى العصور الإسلامية .

حديث ، أحرم فيها الحلال ، وأحل فيها الحرام ، والله أقدر فطرتكم يوم صومكم ، وصومتمكم يوم فطركم (١٠٧) .

وكذلك كانت المزدكية خطرا على الكيان الاجتماعى للجمتمع الاسلامى ، وقد استطاعت أن تتصل بمهارة بالحركات الشيعية ، وخاصة حركات الغلاة منها ، فانتشرت فى الاسماعيلية الايرانية ، والفرامطة ، الذين أخذوا بشيوعية المال والنساء كما ظهر أثرها لدى غلاة الشيعة فى الكوفة ، ولدى الباطنية أو غلاة الاسماعيلية (١٠٨) .

ويتضح من هذا أن أمر الديانات الثنوية قد انتشرت وصارت خطرا داهما على الاسلام ، الأمر الذى أدى الى ضرورة مقاومتهم وكانت مقاومتهم ومناهضتهم أهم دافع من الدوافع الحقيقية لتطور علم الكلام فى الاسلام ، ولقد كانت المعتزلة أول الفرق الكلامية التى قامت بهذا العمل خير قيام ، بل ان ذلك كان سببا من أهم أسباب قيامها وهى مدافعة الديانات الثنوية. الغنوصية مانوية ومزدكية ومندائية ... فى ضوء هذا المدافع أسسوا عقائدهم (١٠٩) .

وكان على المتكلمين — معتزلة وأهل سنة — أن يستخدموا كل وسيلة ممكنة فى سبيل صد هذا الخطر ، من هنا كان اتجاه المعتزلة الى استخدام الفلسفة فى بعض المواضع ، بغية ايجاد نسق عقلى اسلامى يقف فى مواجهة هذا الغنوص الثنوى ومنهجه الذوقى .

(١٠٧) البيرونى : الآثار الباقية ص ٦٧ — ٦٨ .

(١٠٨) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج١ ص ٢٠٥

(١٠٩) بكر : تراث الاوائل فى الشرق والغرب ، ضمن مجسوعة مقالات ترجمها وعلق عليها الدكتور عبد الرحمن بدوى وجمعها تحت عنوان التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٨٩ .

وفى ايجاز قام المعتزلة — أوائلهم ومتأخريهم — بهذا العمل خير قيام فقد بذل — واصل بن عطاء ، وعمرو بن عبيد ، والعلاف والنظام ، ومعمرو بن عباد ، والجبائيان — جهدا كبيرا فى مناهضة الفرق الثنوية عامة (١١٠) وأوقف الخياط كتابه (الانتصار والرد على ابن الراوندى لهذا المغرض (١١١) ، كما درس القاضى عبد الجبار المداهب الثنوية ، وأوقف أجزاء من مؤلفاته للرد عليها (١١٢) وبعمامة كان ذلك

(١١٠) انظر : لمزيد من التفصيل : زهدى جبار الله : المعتزلة القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ٣٦ — ٤٦ . ولكتاب هذا البحث عمرو بن عبيد وأراؤه الكلامية ، نهضة الشرق ، القاهرة ١٩٨٥ ص ٧٠ — ٧٢ .

(١١١) الخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد وما قصد به من الطعن على المسلمين ، بتحقيق وتعليق وتقديم الدكتور فيرج ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م . فلقد رد على الثنوية والماتوية (الزنادقة) ، ورد على ابن الراوندى الملحد ، انظر الصفحات التالية ، ص ٦ ، ٧ ، ٢٦ ، ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٨ ، ٤٣ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٦ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٨ ، ٩٢ ، ٩٤ ، ١٠٠ ، ١٠٢ ، ١٥٥ ، ١٧٨ ، ١٧٣ .

(١١٢) القاضى عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل الجزء الخامس ، الفرق غير الإسلامية ص ٢٢ — ٧٩ وتثبيت دلائل النبوة ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان ، بيروت ١٩٦٦ م وشرح الاصول الخمسة ، بتعليق الامام أحمد بن الحسين بن أبى هاشم ، تحقيق الدكتور عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٣٨٤ هـ — ١٩٦٥ م ص ٣٤ ، ٢٧٨ ، ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٢٨٨ ، ٢٨٩ ، والمحيط بالتكليف ، جمع الحسن ابن أحمد بن مويه بتحقيق عمر السيد عزمى ، ومراجعة الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٦٥ م ، ص ٢٢ ، ٧٠ ، ١٥٠ ، ١٧٧ ، ٢٢١ ، ٢٢٤ ، ٢٢٧ ، ٢٦٢ ، ٣٧٣ ، ٤٠٩ ، ٤١٥ .

أسلوباً عاماً لسائر المعتزلة المتأخرين كالنيسابورى (١١٣) ، والحاكم الجشمى (١١٤) وابن متويه (١١٥) .

وقد قام الأشاعرة — أيضاً بدراسة عقائد الثنوية والغنوصية وعرضها عرضاً دقيقاً تمهيداً للرد عليها ، وتصدى للرد عليها كبار رجال الأشاعرة وعلى رأسهم مؤسس المدرسة الأشعرية الأشعرى (١١٦) أبو بكر الباقلانى (١١٧) ، والشهرستانى (١١٨) والبغدادى (١١٩) وإمام أهل

(١١٣) النيسابورى : فى التوحيد : ديوان الأصول بتحقيق الدكتور محمد عبد الهادى أبوريدة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩ ، الكتاب كله موضوع للدفاع عن التوحيد وما يتصل به من مسائل ، فهو يعد — بأكمله كتاب موضوع فى الرد على الثنوية .

(١١٤) الحاكم الجشمى : شرح عيون المسائل ، مخطوط بدار الكتب المصرية ، مصور عن مكتبة صنعاء ميكروفيلم ٣٠٦ ، انظر اللوحات الأولى من هذا المصنف ، وهو واضع أخرى .

(١١٥) ابن متويه : التذكرة فى أحكام الجواهر والأعراض بتحقيق وتقديم د. سامى نصر ، وفيصل عون ، دار الثقافة للطباعة والنشر القاهرة ١٩٧٥ م ص ٩١ ، ١٠٩ ، ومراجع أخرى .

(١١٦) الأشعرى : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، ج ١ ، ص ١٠٣ ، ١٢٧ ، ٢٥٥ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ج ٢ ص ٢٦ ، ٦٨ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١١٩ ، ١٦٩ ، ٢٢٢ ، ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(١١٧) الباقلانى : التمهيد فى الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة .

(١١٨) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٧٠ — ٩١ ، وايضاً نهاية الإقدام فى علم الكلام ، حرره وصححه الفرجييوم بدون تاريخ ، ص ٥٤ ، ٥٦ ، ٩٠ — ٩١ ، ٢٦٣ ، ٢٦٧ ، ٢٦٨ .

(١١٩) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٤٢ ، ٢٥٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٩ ، ٢٣٢ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ .

السنة والجماعة الامام الغزالي (١٢٠) .

كما كان لأبى منصور الماتريدى جهوده فى مقاومة النويصة الغنوصية (١٢١) . وشارك الشيعة الامامية فى هذا المجال فتقاوموا النونية ومذاهبها الغنوصية مقاومة لا هوادة فيها ، ومازالت بين أيدينا مناقشات امام الشيعة الامامية الامام جعفر الصادق والمناوية ، ولهشام بن الحكم كتاب أوقفه لهذا الغرض هو كتابه « الرد على أصحاب الاثنين » ، كما قام كتاب الشيعة الاسماعيلية كأبى حاتم الرازى ، وحميد الدين الكرمانى ، بالمشاركة فى مناهضة هذه المذاهب الهدامة (١٢٢) .

(ب) أثر الصابئة فى تطور علم الكلام :

قابل الاسلام الصابئة فى : سوريا ، وبلاد ما بين النهرين والعراق ، وايران .

والصابئة (١٢٣) قوم خرجوا عن دين التوحيد ، وزاغوا فأشركوا بالله ، وعبدوا الكواكب ، ولهذا يقابل الشهرستانى بينهم وبين الحنفاء فى زمن ابراهيم عليه السلام .

(١٢٠) الغزالى : فضائح الباطنية ، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوى ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ، ١٩٦٤ ، والكتاب كله موقوف للرد ، انظر المقدمة بقلم المحقق .

(١٢١) الماتريدى : كتاب التوحيد ، بتحقيق الدكتور فتح الله خليف ، بيروت ، ١٩٧٠ ص ١٨٦ - ٢٠١ .

(١٢٢) الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١ ص ٢١٠

(١٢٣) يقال فى اللغة : صبا الرجال : اذا مال وزاغ ، وعشق وهوى وصبا ، يطلق على من خرج ومال من دين الى دين ، انظر لسان العرب لابن منظور ، طبعة دار المعارف مادة صبا ، ص ٢٣٨٥ ، الشهرستانى

ولقد مرت الصابئة بأطوار عدة : فبدأت بعبادة النجوم فيقول ابن القيم : ان الصابئة هم قوم ابراهيم الذين ناظرهم فى بطلان الشرك ، وأنهم طوائف شتى فمنهم عباد الشمس حيث زعموا أنها ملك من الملائكة ، لها نفس وعقل ، وهى أصل نور القمر والكواكب ، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها ، وهى عندهم ملك الفلك ، فتستحق التعظيم والسجود والدعاء (١٢٤) .

ثم انتقلوا الى عبادة النجوم برموز وأصنام ، ذلك لأنهم رأوا أن النجوم والكواكب ليست دائمة الاشراق ، من حيث هى تظهر حيناً وتختفى أحياناً ، فانتقلوا من عبادتها مباشرة الى عبادتها بهيئة الرموز والأصنام ، وقد فصل المسعودى عقائد الصابئة فى هذا التطور (١٢٥) ، ثم اختلطت الصابئة بالمذاهب الفلسفية اليونانية ، والتمت انتقلت اليهم ، واقتبسوا منها وبخاصة صابئة حران ، حيث عرفت مدرسة فلسفية كبيرة فى حران عرفت فى تاريخ الفكر الفلسفى الاسلامى باسم الحرائين أو الكلدانيين (١٢٦) .

الملل والنحل ، ج ٢ ص ٩٥ ، وابن الجوزى : تلبيس ابليس ، دار عمر ابن الخطاب ، الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٧٢ ، وابن القيم : اغائة اللهفان من مكاييد الشيطان ، مصطفى البابى الحلبي ، القاهرة ١٢٨١ هـ ، ج ٢ ص ٢٤٧ ، والقرطبي تفسير القرطبي ، دار الكتاب العربى القاهرة ، ١٣٨٧ هـ ج ١ ، ص ٤٣٤ ، ومحمد اسماعيل ابراهيم : معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص ١٦ والصابئى من صبا وجمعها صابئة وقد وردت فى القرآن فى ثلاثة مواضع (سورة البقرة ٦٢ ، وسورة المائدة آية ٦٩ ، سورة الحج آية ١٧) .

(١٢٤) ابن القيم : اغائة اللهفان من مكاييد الشيطان ج ٢ ص ٢٤٨

(١٢٥) المسعودى : مروج الذهب ، بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد القاهرة ، ١٣٨٦ هـ ، ج ١ ، ص ٤٦١ .

(١٢٦) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣٢٠ .

وللصابئة أربع فرق كبرى مشهورة هي : القائلون بالوسائط الروحانية والذين ذهبوا فيما يقول الشهرستاني الى أن للعالم صنعا فاطرا حكيما مقدسا عن سمات الحدثان والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالمتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون ، وذلك لذكاء الروحانيات وطهارتها وقربها من رب الأرباب^(١٢٧) والاتصال بالوسائط الروحانية يحتاج نوعا من التطهر ، وتهذيب النفس عن الشهوة ، والاتصال بالوسائط تنفيذ في شفاعتهم للخلق^(١٢٨) .

الفرقة الثانية : أصحاب الهياكل ، وهم زعموا أنه لا بد من متوسطات يشاهدها الانسان يتقرب بها لأن المتوسطات الروحانية ليست كذلك ، ومن ثم اتجهوا الى عباده هياكل هذه المتوسطات الروحانية فاتجهوا الى عبادة الكواكب السبعة السيارة وجعلوا لكل كوكب دعوات وشعائر تناسبه ، واعتبروا الكواكب أحياء ناطقة بحياء الروحانيات التي هي أرواحها ومتصرفة فيها ومنهم من جعل هيكल الشمس رب الهياكل والأرباب وهذه الهياكل هي المدبرة لكل ما في الكون^(١٢٩) ويعبر القاضي عبد الجبار عن ذلك فيقول : « وزعم الباقون منهم (أي من الصابئة) أن العالم محدث وأن له صنعا لم يزل ، غير مشبه بشيء من العالم ، حكيما لا يجهل قويا لا يعجز ، جوادا لا يبخل ، خلق الفلك حيا ناطقا سمعيا بصيرا وأنه دبر ما في هذا العالم ، وسموا الكواكب التي فيه الملائكة وكثير منهم سماها آلهة وعظموا قدرها وعبدوها وبنوا لها بيوت عبادات على عدد السبعة الكواكب ، ويدعون أن بيت الله

(١٢٧) الشهرستاني : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٩٦ — ٩٧ .

(١٢٨) أنظر : في تفصيل ذلك : المصدر السابق ، ص ٩٦ وما بعدها .

(١٢٩) المصدر السابق : ص ٩٧ .

الحرام أحدهما ، وهو بيت زحل ، وانما بقى لأن زحل يدل على انبقاء
والثبات وطول المدة » (١٣٠) .

والفرقة الثالثة ، أصحاب الأشخاص ، أى الذين اتخذوا وسائط
مرئية ، فاتخذوا أصناما مصورة على صور الهياكل السبعة (١٣١) .

والفرقة الرابعة الحرنائية (١٣٢) وهم الذين خلطوا عقائد الصابئة
بالمذاهب الفلسفية ، ويقول ابن النديم عنهم أن قولهم فى الهولوى ،
والعنصر ، والصورة ، والعدم ، والزمان ، والمكان والحركة كما قال
أرسطو طاليس فى سمع الكيان (١٣٣) .

(١٣٠) القاضى عبد الجبار ، المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ج ٥
ص ١٥٢ .

(١٣١) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ص ٩٨ — ٩٩ .

(١٣٢) يرى البيرونى أن هؤلاء الحرنائية ليسوا من الصابئة على وجه
الحقيقة ويذهب الى أن الصابئة الحقيقية هم الذين وضعوا مذاهباً ممتزجة
بين اليهودية المجوسية (انظر البيرونى الآثار الباقية ، ص ٢٠٥ — ٢٠٧)
ويذكر ابن النديم أن ، الحرنائيين هم المعروفين فى عصره بالصابئة . وقد
سموا بهذا الاسم لينجوا من القتل الذى توعدهم به الخليفة المأمون بعد
أن شك فى أنهم زنادقة وخبرهم بين الدخول فى الاسلام أو فى دين من
الاديان التى ذكرت فى القرآن أو القتل فتسموا بالصابئة ، بناء على فتوى
فقيه من أهل حران اقترح عليهم ذلك ، على اعتبار أن الصابئة من الملل
التي ذكرت فى القرآن الكريم (انظر الفهرست : ص ٣٢٠) .

(١٣٣) ابن النديم : الفهرست ، ص ٣١٩ ، وهو ينقل هذا عن الكندى
الذى كان معجبا بهم والذى ينقل عنه ابن النديم قوله انه نظر فى كتاب
يقدمه هؤلاء القوم وهو مقالات لهرمس فى التوحيد كتبها لابنه على غاية من
النقاية فى التوحيد لا يجد الفيلسوف اذا اتعب نفسه مندوحة عنها والقول
بها (المصدر السابق : ص ٣٢٠) . من المعروف أن الكتابات الهرمسية هى
من أعمال امونيوس ساكاس ، فنكون هنا امام مدرسة افلاطونية محدثة
فى حران (انظر : الدكتور النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام ج ١
=

ويعرض لنا القاضي عبد الجبار عقائد الصابئة ، والتي وقف منها المتكلمون موقف الرد والتفنيد ، وساعدت على تطوير علم الكلام سواء بإضافة موضوعات جديدة ، أو اصطناع طرق جديدة للرد عليهم وبخاصة أن الصابئة الحرنائية اتصلت بالفلسفة اليونانية •

فقد اختلفوا مع الاسلام فى نظرتهم الى العالم ، فزعم بعضهم أن مادة العالم مادة قديمة هي الهيولى •

وقال بعضهم أن الكواكب عاقلة وهي الملائكة ، وكثيرا منهم سموها آلهة وعظموا قدرها ، وعبدوها ، ونسبوا اليها الفعل والتدبير ويقولون بحياتها وبنوا لها بيوت العبادة •

واختلفوا فى الصفات الالهية ، فقالوا ان الله لا يوصف الا بالنفى دون الاثبات لئلا يقع به تشبيه •

وأنكروا البعث ، كما أنكروا الثواب والعقاب (١٣٤) وهكذا اختلفوا مع الاسلام فى مسائل كثيرة : القول يقدم العالم ونفى النبوة ، والقول بروحانية الكواكب فضلا عن ألوهيتها والاختلاف فى الصفات الالهية ، وإنكار البعث والثواب والعقاب بناء على نظريتهم المادية •

ص ٢٣٩) ونرى فيها ذكره القاضي عبد الجبار ما يفيد ان الحرتين ليسوا من الصابئة القديمة كما ذكر البيرونى وانهم سموا بذلك اعتصاما من القتل وأوهبوا أنهم صنف من النصارى ويرى ان ، ما قصده الفقهاء من الصابئة والذين اعتبروهم فى حكم أهل الكتاب قد انقرضوا وان هؤلاء أوهبوا موافقتهم لهم اعتصاما من القتل (انظر : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ج ٥ ص ١٥٠) •

(١٣٤) القاضي عبد الجبار : المغنى فى أبواب التوحيد والعدل ج ٥ ص ١٥٢ •

ولهذا هب المتكلمون لمواجهة هذه المسائل ، والرد عليها (١٣٥) ،

(ج) أثر الديانات الهندية فى تطور علم الكلام :

اتصل المسلمون بالهند بحرا عن طريق البصرة ، وبراً عن طريق فارس ، ووقفوا على دياناتهم الكبرى (١٣٦) ونخص منها بالذكر هنا البراهمة ، لما لهما من أثر واضح فى تنشيط المذاهب الكلامية .

١ — علم الكلام والبراهمة :

للمبراهمة عقيدتان كان لهما أثر واضح فى اثراء الدراسات الكلامية :

الأولى : القول بتناسخ الأرواح . وهو قول له أهميته عندهم وسمة تميزهم عن غيرهم من أصحاب الملل ، ويرثبوا عليها بقاء النفس بقاء أديا وانتقالها الدائم من بدن الى بدن ، وهى فى انتقالها فى الأبدان المختلفة تترقى أى تنتقل من البدن الأول الى الأفضل دون أن يكون العكس . وارتبط الثواب والعقاب أى تفسير الجنة والنار بالتناسخ (١٣٧) .

(١٣٥) انظر بعض نماذج من هذه الردود عند ابن حزم فى الفصل ج ١ ، ص ٣٤ ، ص ٣٥ ، والقاضى عبد الجبار : المغنى فى البواب التوحيد والعدل ، ج ١ ، ص ١٥٣ الشهرستانى : الملل والنحل ج ٢ ، ص ٩٥-١٤٢ وغيرهم .

(١٣٦) يعد من احسن ما نقل اليها عن ديانات الهند الكبرى نقلا موضوعيا دقيقا ما كتبه البيرونى فى كتابه « تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مزدولة » وانظر ايضا : الدكتور احمد شلبى مقارنة الاديان اتيان الهند الكبرى ، الجزء الرابع الطبعة الخامسة ، ١٩٧٩ م .

(١٣٧) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل او مزدولة ص ٣٩ — ٤٠ .

وقد وقف المتكلمون من القول بالتناسخ موقفا عدائيا لأنه يرتبط بتفسيرات خاطئة للثواب والعقاب وقاوموا كل من تسرب اليه القول بالتناسخ • مقاومة عنيفة لا هوادة فيها فقام البغدادى^(١٣٨) • وابن حزم^(١٣٩) • وابن الجوزى^(١٤٠) وغيرهم بمقاومتهم والرد عليهم ردودا مطولة •

الثانية — القول بانكار النبوة :

لقد اشتهر عن البراهمة القول بانكار النبوة ، وقد عرض لمذهبهم فى هذا الصدد فريق من المتكلمين كالمبائلى^(١٤١) وابن حزم^(١٤٢) وابن الجوزى^(١٤٣) •

ويرى هؤلاء المتكلمون أن البراهمة أنكرت النبوة بحجة أن بعثة الرسل تتنافى وحكمة الله تعالى ، لأن الحكيم لا يبعث رسولا الى قوم يعلم أنهم يعصونه ويصدون عن دعوته ، فضلا عن أن بعثة الرسل اذا كانت قد جاءت لخراج الناس من الضلال الى الايمان ، فان الحكمة تقتضى بأن يفطر الناس على الايمان غير أن أهم حجة لهم هى استغنائهم بالعقول عن الأنبياء ، ذلك لأن الذى يأتى به الرسل والأنبياء اما ان يكون معقولا ، واما أن لا يكون معقولا ، فان كان معقولا ، فقد كفانا

(١٣٨) البغدادى : الفرق بين الفرق ، ص ٢٥٣ •

(١٣٩) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والنحل ، ج ١ ص ٩٠-٩٣

(١٤٠) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ، ص ٧٧ — ٧٨ •

(١٤١) البائلى : التمهيد فى الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة الخوارج والمعتزلة ، ص ١٠٧ •

(١٤٢) ابن حزم : الفصل فى الملل والاهواء والتحلل ، ج ١ ص ٦٩، ٧٩

(١٤٣) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ، ص ٦٣ — ٧٥ •

العقل التام بأدراكه والوصول اليه فلا حاجة لنا الى الرسول ١٩ وان لم يكن معقولا ، فلا يكون مقبولا ، اذ قبول ما ليس بمعقول ، خروج عن حد الانسانية ، ودخول في حد البهيمية (١٤٤) .

ولقد أورد المتكلمون ردودا مطولة على هذه الأدلة ينصرون من خلال ردودهم النبوة وضرورة ارسال الرسل والأنبياء ، مبينين أن العقل بمفرده لا يكفي في هداية البشر ، وأن الاضطراب الى الايمان يفوت حكمة التشريع ، كما يلغى حكمة التفاوت بين الناس .

ويبدو أن البراهمة لم يقولوا بانكار النبوة ، وانما قالوا بأن باب النبوة مفتوح ، فالعقل يمكن أن يحل محل النبوة .

وقد أورد النويختي في كتابه « الآراء والديانات » ما يشير الى أن رسولهم ملك آتاهم في صورة البشر من غير كتاب وأمرهم أن يعبدوا البقر (١٤٥) وكذلك أورد البيروني في كتابه « تحقيق ما للهند في مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة » فصلا عن السنن والنواميس والرسائل ونسخ الشرائع ، يشير فيه الى أن لهم رسلا (١٤٦) .

ويبدو أن قولهم بأن باب النبوة مفتوح ، ذاك لأنهم يؤمنون بنبوة آدم ، وهو نبوة حقيقية ، ويرون أنه أوصى بها الى ابنه شيث ، والذي أوصى بها الى واحد من ولده ، ثم يقودون وصيته بالأوصياء اليهم ، وهذا شبيه بمذاهب الرافضة في قولهم بالأوصياء (١٤٧) .

(١٤٤) ابن جزم : الفصل في الملل والاهواء والنحل ، ج ١ ص ٦٩، ٧٠

(١٤٥) الدكتور عبد الرحمن بدوي : من تاريخ الاحاد في الاسلام ص ١٣٨ — ١٣٩ .

(١٤٦) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة ص ٧٤ — ٧٧ .

(١٤٧) بيتس : مذهب الذرة عند المسلمين ص ١١٩ — ١٢٠ هامش (٢)

وهكذا أصبح مبحث النبوة من أهم مباحث علم الكلام . فقام المتكلمون بتنفيذ قول منكرو النبوة وجاحيديها ، مبينين حاجة البشر الرسل ومؤكدين استحالة استغناء العقل عن السمع بل دعاهم هذا الى أن يخوضوا فى موضوعات تتعلق بشكل ظاهر بنظرية المعرفة ليؤكدوا استحالة خطأ المعرفة الشرعية ، فى حين أن العقل أو الحس قد يصيبه الخطأ والغفلة والنسيان .

واجه علم الكلام دينا من ديانات الهند وهو دين البراهمة يثير مشكلات تتعلق بالثواب والعقاب ، والعدل الالهي وانكار النبوة ، فكان طبيعيا أن يخوض فى تلك الموضوعات ، وأقام بناء على أسس عقلية ونقلية نظرياته : فى العدل الالهي وما يتفرع عليه من ثواب وعقاب ، واستدلال على النبوة ، وصدقها وحاجة البشر اليها ، واستحالة استغناء العقل عن الشرع وتلك كانت موضوعات جديدة نوقشت بشكل دقيق ، لم تكن على عهد السلف الأول فى صدر الاسلام .

٢ - علم الكلام والسمنية :

ينسب السمنية الى « سومنات » وهو صنم قديسه أهل الهند وقد أحرقه السلطان محمود بن سبكتين بعد غزوه للهند ، وقد عرفها المسلمون تحت اسم البدد ، نسبة الى البدد وهو الصنم (١٤٨) .

(١٤٨) الفيروز ابادى : القاموس المحيط ٤ مادة بددة وهى جمع بد ، وهنا يتساءل الدكتور النشار : هل الهندو يتجهون فى عبادتهم الى الصنم ، أم المقصود به صورة البارى أو صورة رسوله ؟ ، أو صورة « بوداسف الحكيم » أى صورة بوذا صاحب المذهب البوذى ؟ ويعتبر ابن سبعين الصوفى المعروف قد تأثر بفكرة اليد ويعتقد أنه قد تأثر بهم وأقتفى أثرهم اسما ومعنى فى كتابه « بد المعارف » (نشأة التفكير الفلسفى ج ١ ، ص ٢٢٠) . وقد أورد أستاذنا الدكتور التفتازانى فى كتابه « ابن سبعين وفلسفته الصوفية » الآراء المختلفة فى شأن ما تعنيه تسمية هذا الكتاب وينتهى الى القول =

وقد حدد لنا البيروني أماكن انتشارها في العالم الإسلامي فكانت في : خراسان ، وفارس ، والعراق ، والموصل حتى حدود الشام القديم .

ويحدد لنا عقائدهم فيذهب إلى أنهم يقولون في الخلق أنهم يرون قدم المادة فليسوا يعنون بالخلق إبداعاً من لا شيء وإنما يعنون به الصنعة في الطينة وأحداث تأليفات فيها ، وصورة وتدبير مؤدية إلى مقاصد وأغراض ، ولذلك يضيفون الخلق إلى الملائكة والجن ، بل الأنسب ، أما قضاء الحق منهم ، وأما تشفياً بسبب الحسد ، والتنافس ... فلم يحصل خلق الموجودات ، وجود طينة لم تكن ولا عند الفناء فناء طينة قد كانت .

ويتضح من هذا أنهم ينزعون في تفسير الخلق تفسيراً مادياً فضلاً عن أنهم يخلطونه بتصور أسطوري خرافي إلى حد بعيد^(١٦) .

وتتضح هذه النزعة المادية إذا ما أضفنا إليها رأيهم في المعرفة ، وهي عندهم لا تتجاوز الاحساس ، ومن ثم ينكرون ما وراء ، الحس ، أي ما وراء عالم الشهادة من عالم الغيب ، ومن هنا ينكرون وجود الله .

وهكذا ينتهي مذهب السمنية إلى مذهب قائم على نزعة مادية شكية ، لا ترق إلى إدراك الأمور المجردة .

= بيان الشواهد من كلام ابن سمين على استخدامه «البدي» بمعنى المعبود وهو الله ، كثيرة ، ويذكر أن ابن سمين قد وجد في الزبور مصدراً للاستخدام هذا اللفظ . وبناء على ما ذكره الدكتور التفتازاني يمكن أن تطمئن إلى أن ابن سمين ما كان مقتنيا آثار البوذية لا في اسم الكتاب ولا في معناه انظر تفصيلاً : الدكتور التفتازاني : ابن سمين وفلسفته الصوفية ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٣ م ، ص ٩٨ — ١٠٥ .

(١٤٩) البيروني : تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٧ .

ولا شك ان فى هذا مخالفة للاسلام وعقائده ، ومن هنا قاوم المتكلمون السمنية ، منذ البواكير الأولى لظهور علم الكلام ، فلقد حملت الينا المصادر مناقشة الجهم بن صفوان لهم ، فيحكى لنا ابن المرتضى ان بعض السمنية قالوا لجهم بن صفوان : هل يخرج المعروف عن المشاعر الخمسية ؟ قال لا ، فقالوا : فحدثنا عن معبودك ، هل يعرف بأبيها ، قال : لا ، فقالوا فهو اذن مجهول فسكت وكتب بذلك الى واصل بن عطاء ، فأجابه واصل على ذلك بان هناك وجهها سادسا للمعرفة ، هو الدليل الذى يميز به الانسان بين الحى والميت ، وبين العاقل والمجنون ، فلما قال ذلك جهم للسمنية ، قالوا : ليس هذا من كلامك فأخبرهم ، فخرجوا الى واصل وكلموه ، وأجابوه الى الاسلام^(١٥٠) .

ولقد ناظر عمرو بن عبيد جريز بن حازم الازدى السمنى^(١٥١) وهكذا أثار قول السمنية ، الدفاع عن وجود الله ، وخلق العالم والبحث فى نظرية المعرفة للقضاء على هذه الغزوة الشكية المادية كل هذا أضاف جديدا الى موضوعات علم الكلام .

(١٥٠) ابن المرتضى : المنية والامل فى شرح الملل والنحل ، ص ١٧ ص ٢٠٠ ، ص ٢٥ ، وأبو القاسم البلخى : مقالات الإسلاميين باب ذكر المعتزلة اكتشفه وحققه ، فؤاد السيد ، ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة بتحقيق فؤاد السيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٤ ، ص ٦٧ ، والقاضى عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، ص ٢٣٧ ، ويبدو انه هو الكتاب الذى نقل عنه ابن المرتضى ، مع إضافات يسيره ، كما ذكر ذلك أيضا ابن حنبل : الرد على الزنادقة والجهمية ، بتحقيق الدكتور على سامى النشار ، وعبد الطالبى ضمن كتاب : عقائد السلف ، منشأة المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٠م ، ص ٦٥ — ص ٦٦ .

(١٥١) محمد صالح : عمرو بن عبيد وآراؤه الكلامية ، ص ٧٥ — ٧٦ ،

ومن هنا يمكننا القول بان مواجهة المسلمين لأصحاب الملل والاهواء والنحل دعتهم الى مناقشة مشكلات تتعلق بوجود الله وخلق العالم ، والنبوة ، والتكاليف ، والثواب والعقاب ، والبحث فهي موضوعات تتعلق بالمعرفة ... كل هذا بلا شك أدى الى تطور علم الكلام ، بإضافة مباحث اليه ، فتوسعت موضوعاته ، كما أدى الى ضبط مناهجه واحكامها حتى تفى بحاجات الرد والدفاع .

وأخيرا تعقب المتكلمون أيضا ديانات العرب فى الجاهلية حيث تسرب من خلالها تصورات خاطئة عن وجود الله وتفسير العالم (١٥٢) والتي اتسمت بأنها تصورات سطحية ساذجة لا تخلو من طابع أسطورى ، ذو منازع مادية ، فقابل المتكلمون مذاهب كالدهرية والتي قامت على نزع شكية سادت بين معتقيه وحالت بينهم وبين الايمان بالخلق والخلق ، فأنكروا الصانع المدير للعالم زاعمين ان العالم لم يزل موجودا ، كذلك بنفسه لا يصانع ، فلم يزل الحيوان من النطفة والنطفة من الحيوان ، كذلك كان وكذلك يكون ابدا ، فلا شئ خارج النطفة ، فهي مكتفية بنفسها عن خالق يوجدها (١٥٣) .

والغالب ان الايمان بالدهر من ديانات الفرس القديمة والتي

(١٥٢) يعد من أهم المصادر فى بيان ديانات العرب فى الجاهلية بجانب القرآن الكريم الذى أخبر بوجود هذه الديانات (سورة الحج آية ١٧) انظر أيضا ابن قتيبة : المعارف ، تحقيق الدكتور نروث عكاشة ، القاهرة ، ١٩٦٠ ، ص ٦٢١ واليعقوبى ، تاريخ اليعقوبى ، النجف ، ١٣٥٨ هـ ج ١ ، ص ٢١٤ والشهرستانى : الملل والنحل ، ج ٢ ، ص ٢٤٢ ، وما بعدها ومن المصادر الحديثة ، جواد على ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ، ١٩٥٥ ، ج ٥ ، ج ٦ .

(١٥٣) الشريف المرتضى : امالى المرتضى ، طبعة الخانجى ، القاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م ، الطبعة الاولى ، ج ١ ، ص ٨٥ .

الغيت فيها النظرة الاثينية فى نشأة العالم فجعلوا الدهر هو المبدأ الأسمى ، فهو عندهم عين القدر ، والفلك الأعظم ، أو حركة الأفلak (١٥٤) .

ولقد ساد هذا الاعتقاد بين العرب قبل الاسلام ، حيث صوره القرآن الكريم فى قوله تعالى : « ما هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر » (١٥٥) ، ولقد استمرت هذه النزعة الشكية بعد الاسلام وتصدى لها المتكلمون ومازالت لها بقايا فى عالمنا المعاصر متمثلة فى المذاهب المادية فى تفسير الوجود .

وعلى هذا يمكن الانتهاء الى النتيجة التالية : ان علم الكلام علم اسلامى بحث ، نشأ من النقاش الذاتى حول القرآن الكريم وتلبية لحاجة عصره ، بالمشاركة فى حل مشكلاته ، ومتصديا للدفاع عن الاسلام ، وهو فى سبيل أداء مهمة الدفاع ، قابل الديانات المخالفة والاهواء والنحل المتباينة والتي شملها الاسلام وبسط عليها نفوذه واثبتك معهم ، هذا الاشباك أدى الى توسيع موضوعه .

كما ان المتكلمين أيضا استفادوا بكل مصدر ممكن فى سبيل الرد والدفاع فراحوا يدعمون مناهجهم الدفاعية ، بكثير من الوسائل الفلسفية والمنطقية ، لابرار ماكن فى الدين من أدلة قاطعة ، على تهافت مزاعم أصحاب هذه الديانات فأظهروا الاسلام بمظهر التحدى لهذه المذاهب المخالفة — خاصة وان هذه المذاهب كانت متسلحة بالوسائل المنطقية والمذاهب الفلسفية والتي استعانوا بها على صياغة مذاهبهم فأتجهوا الى الاطلاع على الفلسفة اليونانية والمنطق . ولقد كان لذلك الاطلاع أثره فى تطور علم الكلام .

(١٥٤) دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ص ١٢ .

(١٥٥) سورة الحاشية : آية ٢٤ .

وهكذا كان من أهم عوامل نشأة علم الكلام وتطوره ، هو التصدى لهذه التيارات العاتية ، وليس أدل على ذلك من اجماع المدارس الكلامية الكبرى — برغم اختلافها فيما بينها — على ذلك الهدف ، وهو الدفاع عن الاسلام فى مواجهة التيارات الثنوية الغنوصية واضطربهم هذا الهدف على اتخاذ كل وسيلة ممكنة لتحقيقه فكان لابد لهم من دراسة هذه المذاهب وفهمها ، وذلك لأن النقد بلا دراسة كضرب فى عمية ، على حد قول الامام الغزالي ولقد قاموا بهذا العمل خير قيام ، فخرقوا بين مذاهب الثنوية المختلفة واستعانوا بالفلسفة اليونانية فى صد هجماتها .

* * *

ثالثا — أثر الفلسفة اليونانية فى تطور علم الكلام :

كان لانتقال الفلسفة اليونانية والمنطق^(١٥٦) أثرهما فى تطور علم الكلام ، بعد مواجهته للمسيحية التى كانت متسلحة بالفلسفة

(١٥٦) للوقوف على دخول الفلسفة اليونانية الى العالم الاسلامى يمكن الرجوع الى المصادر الحديثة التالية ، وفيها اشارات الى المصادر القديمة ، ماكس مايرهوف : من الاسكندرية الى بغداد ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، نشرها ضمن مجموعة لبحاث بعض المستشرقين ، تحت عنوان التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠ ، ص ٣٧ — ص ١٠٠ ، وبكر : تراث الاوائل ضمن هذه المجموعة ، ص ٣ — ص ٣٢ ، وهما باحثان لها قيمتهما فى بيان عمق الاثر اليونانى أو سطحيته بالنسبة لروح الحضارة الاسلامية ، وبهما معلومات قيمة عن مراكز الثقافة اليونانية فى العالم الاسلامى ، واوليرى : علوم اليونان ، ومسبل انتقالها الى العرب ، وهو يوضح دور المراكز الثقافية اليونانية ، ودور السريان ، واثر الشراح والافلاطونية المحدثه ، وحركة الترجمة . ودى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده ص ١٩ — ص ٤٨ ، والدكتور ماجد فخري : تاريخ الفلسفة الاسلامية ،

والمنطق ، وكذلك المذاهب التي جاءت من الهند وفارس وسواهما من أقاصي أقاليم الدولة الإسلامية ، وكذلك أيضا في مقاومته لتيار الزندقة ، الذي قام أصحابه على اختلاف مشاربهم متفاوتين قوة وضعفا ، زاعمين أنهم يدافعون عن الحرية الفكرية ، معتمدين على أعنف المذاهب مخالفة للإسلام من : المزدكية ، والمناوية والدهرية ... فاطلع المتكلمون على هذه الفلسفة الوافدة للاستعانة بها في الرد على المخالفين الذين كانوا — في معظمهم — على علم بهذه الفلسفة — كما بينا — فاتخذوها وسيلة لا غاية — وسيلة أعانتهم — في حالات كثيرة — على صياغة دفاعهم ضد مخالفاتهم ، كما استعانوا ببعض أفكارها ومصطلحاتها ، بعد أن خلصوها من مفاهيمها اليونانية ، حتى لا تتعارض مع العقيدة .

اكتسب علم الكلام بذلك تحديدا لمسألة ، وتعميقا لمباحثة وقد أدى هذا الاطلاع ، الى حدوث نوع من المزج بين موضوعات علم الكلام ، وبعض موضوعات الفلسفة ، مع اصطناع مصطلحات

=

الدار المتحدة للنشر ، الترجمة العربية للدكتور كمال اليازجي ، ١٩٧٤ ، ص ٢٣ — ص ٤١ والدكتور ابراهيم مذكور : في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق ، ج ٢ ص ٧٨

على أنه تجب الإشارة الى أن نقل الفلسفة اليونانية الى العالم الإسلامي ، لم يكن نقلا دقيقا ، في بعض أجزائه فقد حدث خلال النقل ، بعض الإخطاء العلمية ، وحرفت بعض المذاهب ، واختلطت بمذاهب أخرى ونسبت مذاهب لغير أصحابها ، ولم يكن المسلمون هم المسئولين عن كل هذا فقد نقلت اليهم المذاهب في هذه الصورة ، عن طريق السريان ، ولم ينتبه فلاسفة الإسلام فيما بعد — الى هذا الخلط ، ولعل هذا ما دفع الفارابي الى أن يوفق بين أفلاطون وأرسطو ، بعد أن نقل اليهم أرسطو مثلوبا بالأفلاطونية المحدثة ، انظر : الدكتور على سامي النشار : نشأة التفكير الفلسفي في الإسلام ج ١ ، ص ١١٠ — ص ١١١ .

الفلاسفة ، كالجوهر والعرض واحكامها وطبائع الموجودات .. وغير ذلك من المسائل ، التى قد يكون لبعضها فائدة من حيث تقرير العقائد على وجه عقلى .

وقد أدى هذا المزج الى خلط موضوعات علم الكلام بالفلسفة عند المتأخرين فيقول ابن خلدون : « ولقد اختلطت الطريقتان عند هؤلاء المتأخرين ، والتبست مسائل الكلام بمسائل الفلسفة بحيث لا يتميز احد الفنيين من الآخر ، ولا يحصل عليه طالبه من كتبهم ، كما فعله البيضاوى فى الطوالع » (١٥٧) ومن جاء بعده من علماء العجم فى جميع تأليفهم .

(١٥٧) يقول ابن خلدون ايضا : « واول من كتب فى طريقة الكلام على هذا المنحى (المنحى الفلسفى واستخدام المنطق الارسطى بدلا من المنطق الاصولى ، الذى يعتمد عليه الفقه) الغزالى رحمه الله ، وتبعه الامام ابن الخطيب وجماعة قفوا اثرهم ، واعتمدوا تقليديهم ، ثم نوغل المتأخرون من بعدهم فى مخالطة كتب الفلسفة ، والتبس عليهم شأن الموضوع فى العلمين فحسبوه فيها واحدا من اشتباه المسائل فيها » .
(المقدمة ص ٦٦) .

وفى الحقيقة أنه منذ عصر الغزالى بدأ علم الكلام ينحو هذا المنحى فى استخدام التقسيمات الذهنية فى معالجة المشكلات الكلامية والتوسع فى استخدام مصطلحات الفلسفة ، الى أن صار عند المتأخرين ابتداء من الرازى (ت ٦٠٦ هـ) - فلسفيا بشكل ظاهر ، فالنظر فى كتاب « محصل افكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين » (القاهرة ، المطبعة الحسينية بدون تاريخ) يجد ثلاثة أرباع الكتاب (الاولى) موقوفة للدلالة على صلة الاستدلال بالعلم وليبيان حقيقة الجوهر والعرض الى ما سوى ذلك من موضوعات فلسفية ومنطقية فهو يقسم كتابه الى اربعة اقسام (اركان) ..

الاول : التمهيدات : وفيها يتناول المعلومات الاولى وتشمل الكلام : فى التصور والتصديق ، وآراء فى الحكم التصديقي سواء أكان جليا فى ذاته =

وفى الحقيقة ان التعبيرات الفلسفية ، بدأت تنتشر فى تراثنا الكلامى منذ أبى الهذيل العلاف (المتكلم المعتزلى) ومن تلاه من متكلمي المعتزلة ثم متكلمي الأشعرية ، المتقدمين الى ان ، انتهى الأمر الى هذا الخلط بين مباحث الفلسفة والكلام عند المتأخرين .

وقد أثار هذا الامتزاج والخلط ، بين الكلام والفلسفة ، الشك فى أصالة علم الكلام ويهمننا أن توضيح هذا الأمر بشئ من التفصيل : يمكن القول بأن هناك أموراً تفسر هذا المزج بين علم الكلام والفلسفة يمكن أن نشير الى بعض منها فيما يلى :

أولاً : كانت الفلسفة اليونانية والمنطق ، من أهم الأسلحة التى استعان بها خصوم الاسلام وبخاصة المسيحيين وأصحاب الديانات الفارسية فكان على علماء الكلام أن يستخدموا نفس السلاح . فراحوا يدعمون أنفسهم بكثير من الوسائل الفلسفية والمنطقية ، لابرار ماكن

أم مكتسباً ، ثم تناول أحكام النظر ، ثم تعريف الدليل ، والركن الثانى : يتناول فيه أحكام الموجودات : تصور الوجود والعدم بعبئى ، الوجود صفة تطلق على الموجودات بالاشتراك فى الاسم . وثانياً : الكلام فى المعدوم . وثالثاً : نفى الاحوال ، والتسم الثالث : وهو بحث فى الالهيات ، وهو يعتمد فيه على العلم الالهى العقلى ، مستدلاً عليه بالادلة النقلية ، والقسم الرابع السمعيات فبهذا يكون معظم الكتاب مشتملاً على موضوعات فلسفية .

ويعد الرازى بقرن نجد كتاب البيضاوى — الذى ذكره بن خلدون وهو كتاب « طوابع الانوار » (طبعة القاهرة المطبعة الخيرية ١٣٢٣ — ١٦٠٥م) فنرى الفلسفة قد سيطرت على اجزاء كثيرة وهامة فى المباحث الكلامية فكتاب البيضاوى يشير الى مدى الانتصار الذى حققته الفلسفة فى علم الكلام ، فنجد خلطاً واضحاً بين موضوعات الكلام والفلسفة وهذا أيضاً ما تجده فى المواقف اللايحية (مكتبة المنبى ، القاهرة ، بدون تاريخ) وشرح الجرحانى عليه (بولاق ، مصر ، ١٢٦٦ هـ) وسائر الكتب المتأخرة .

فى الدين من أدلة قاطعة على صحة أصوله ، حتى يظهر الاسلام بمظهر
التحدى لهذه المذاهب المخالفة ، فلم يصدر هذا الأمر عن هوى
فى نفوسهم لهذه الفلسفة ، بقدر ما كان وسيلة معينة لهم على تحقيق
أهدافهم الدينية •

ويوضح لنا الجاحظ كيف ان استخدام الفلسفة فى الرد على
المخالفين كان ضروريا بقوله : « ولا يكون المتكلم جامعا لأقطار الكلام
متمكنا من الصناعة ، ويصلح للرياسة ، حتى يكون الذى يحسن من
كلام الدين فى وزن الذى يحسن من كلام الفلسفة ، والعالم عندنا
هو الذى يجمع بينهما » (١٥٨) وليس من شك فى ان الهدف الدفاعى
انما هو هدف دينى بحث •

ثانيا : ان هذا المزج يبدو انه راجع الى سماحة العقلية الاسلامية
فى قبول ما لا يتعارض مع العقيدة فضلا عن ان ذلك تلبية « لحاجة
عقول الجموع آنذاك الى ما هو جديد وقد تمثل هذا الجديد فى
الثقافة اليونانية الدخيلة ، والتي كانت دون غيرها على مستوى يناسب
— الى حد كبير — ما وصلت اليه العقلية الاسلامية من درجة حقل
عميق بحكم تكونها أصلا مع المفاهيم الاسلامية المنزلة » (١٥٩) ، فلقد
كان للمفكر المسلم — وقت لقائه بالتراث اليونانى ، من خلال الترجمات
— علومه التى عرفها وترعرعت نفسه فى ظلها ، وهى علوم القرآن ،
والسنة تلك العلوم التى حققت قدرا من الصقل ذهنى الرفيع
المتكامل (١٦٠) •

(١٥٨) الجاحظ : الحيوان ، بتحقيق عبد السلام هارون ، عيسى
البابى الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٣٨ الجزء الثانى ص ١٣٤ •
(١٥٩) الدكتور فوقيه حسين محمود : مقالات فى أصالة الفكر المسلم
دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦ م — ١٣٩٦ هـ ص ٢٢ •
(١٦٠) نفس المصدر : ص ٢٤ •

وهكذا لم يقبل المتكلمون على الاطلاع على هذه الفلسفة بعقل خاو ، بل بعقل مصقول بترائثه الدينى ، وهذا ما مكنهم من تطويع هذه الفلسفة بما يفيدهم فى الاستدلال على عقائدهم ويمكن أن نضرب مثالا للاستدلال على ما أقول بنظرية الجوهر الفرد أو الجزء الذى لا يجزأ .

ان القول بالجوهر الفرد عند المتكلمين — ابتداء من العلاف — له سوابق كبرى فى تاريخ الفكر الفلسفى ، لدى اليونانيين القدماء ومذاهب الهند المختلفة^(١٦١) .

فهناك نماذج متعددة لهذه النظرية ولعل أولها وأشهرها نموذج ديموقريطس ، وأستاذه لبيقور ، ثم نموذج أبيقور .

ومن المرجح أن يكون المتكلمون المتقدمون قد اطلعوا على أقوال هؤلاء الذريين القدامى^(١٦٢) وهم بصدد تدعيم أقوالهم فى الدفاع عن

(١٦١) بينس : مذهب الذرة عند المسلمين وعلاقته بمذاهب اليونان والهند ومعه فلسفة محمد بن زكريا الرازى ، ترجمة الدكتور محمد عبدالهادى أبو ريدة ، النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

(١٦٢) لقد كانت هناك مصادر يونانية لمخرفة آراء اليونانيين القدماء وتضمنت آراء الذريين (وقد ذكرتها فى بحثى عن خلق العالم عند المعتزلة وهو البحث المقدم لرسالة الدكتوراه) ويعود من أهم هذه المصادر : المصادر الارسطية ، حيث عرض أرسطو لآراء السابقين عليه وأهمها كتاب «ما بعد الطبيعة» الذى عرض فيه لمذهب ديموقريطس عرضا كاملا (أرسطو : ما بعد الطبيعة مقال (١) فصل (٤) ، ص (٤) ، ص ٩٨٥ ب) ، وفى كتابة « الكون والفساد » (ج ١ ، مقالة (٨) ، ص ٢٣٥) . انظر أيضا (يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٤٦ ، ص ٢٨) كما قدم فى كتاب النفس آراء الفلاسفة السابقين على سقراط وضمنها آراء أبيقور وديموقريطس (أرسطو : كتاب النفس نقلة الى العربية ، الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى ، وراجعته على الأصل =

• • • • •

= اليونانى "الآب جورج قنواتى" عيسى البابى الحلبي ، الطبعة الثانية ، ١٧٨١ هـ - ١٩٦٢ م ، المقالة الاولى ، الفصل الثانى ، ص ٩ - ١٠)
وله ترجمة أخرى قديمة قام بها اسحق بن حنين ، قام بتحقيقها ونشرها
الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤ م ، ص ٨ - ٩ ،
وأيضا من المصادر اليونانية الهامة فى معرفة آراء هؤلاء الذين الأوائل
كتاب فلوطرخس فى « الآراء الطبيعية التى ترضى الفلاسفة » (انظر هذا
المصدر بترجمة قسطا بن لوقا (ت ٢٢٥ هـ) التى قام بتحقيقها ونشرها
الدكتور عبد الرحمن بدوى ، مع كتاب النفس لأرسطو انظر : ص ١٠٢ -
١٠٣ ، ص ١١٦ - ١١٨ : ولقد وصلت هذه المصادر اليونانية الى
العالم الاسلامى فى وقت مبكر ، فلقد ترجم كتاب أرسطو « فيما يقول
ابن النديم وعرف عندهم بأربعة أسماء : ما بعد الطبيعة ، والالهيات
والفلسفة الأولى وكتاب الحروف ، ويذهب الى ان الألف الصغرى ، نقلها
اسحق بن حنين ، وحرف نو نقله أبو زكريا يحيى بن عدى (ت ٣٦٤ هـ) ،
كما ان هناك نقل سابق لهذه الحروف نقله أسطاث الكندى (ت ٢٥٢ هـ
تقريبا) ، وهكذا تكون المقالة الاولى والتى تحمل آراء الذين القدماء
قد وصلت الى العالم الاسلامى فى وقت مبكر (انظر ذلك تفصيلا :
ابن النديم : الفهرست ص ٢٥١) . كما عرف المسلمين أيضا كتاب النفس
الذى نقله حنين الى السريانية فى صورة تامة ونقله اسحق بن حنين
الا شيئا يسيرا ثم نقله نقلا ثانيا جود فيه ، كما نقل شرح ثامسطيوس
عليه كاملا ، كما كان لابن البطريق جوامع لهذا الكتاب (ابن النديم : الفهرست
ص ٢٥١) . كما عرف المسلمون أيضا كتاب « الكون والفساد » فقد نقله
حنين بن اسحق الى السريانى ، واسحق بن حنين الى اللغة العربية ،
كما توجد فيها يقول ابن النديم نقول أخرى لهذا الكتاب بعد هؤلاء النقلة
والمترجمين (ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥١) . وشيوع هذه المصادر
فى العالم الاسلامى على هذا النحو ، وفى وقت مبكر يرجع اطلاع
المكلمون عليها ، ومعرفة بما جاء بها ولا دليل لدينا بقطع باطلاعهم عليها
وكل ما ورد يشير الى اطلاع المعتزلة من المتكلمين على التراث الفلسفى
عامة ، وهذا ما أشارت اليه كتب الفرق بصفة عامة .

الاسلام ضد الديانات والفرق التي كانت متسلحة وبكثير من أجزاء
الفلسفة اليونانية .

غير أننا فى الواقع نجد فروقا جوهرية بين قول المتكلمين
— معتزلة وأشاعرة — بالجواهر الفرد ، وقول الذريين القدماء (١٦٣)
يمكن اجمالها فيما يلى :

يرى ديموقريطس ان الوجود لا يخرج من اللاوجود ، ومن ثم
فان الذرات قديمة ، وهى لا تخضع لفناء ، فهى دائمة من حيث أن
الوجود دائم ولا ينتهى الى اللاوجود ، وهى أجسام صغيرة مختلفة
من حيث الشكل والحجم وانها متحركة بذاتها حركة أزلية ، وهى بسبب
اختلافها وحركتها على هذا النحو تكون علة لكون الأجسام .

بينما نجد الأمر يختلف عند المتكلمين ، فهم يرون ان هذه الجواهر
الفردة حادثة ، يوجدها الله ويخلقها دائما واجتماعها وانفراقها راجع

(١٦٣) يمكن الرجوع فى معرفة مذاهب اليونانيين الى المصادر
الحديثة التالية ، بالإضافة الى ما ذكرنا من مصادر قديمة
Burent : Greek philosophy from Thales to plato, London,
1943, p. 180 - 181.

Weber : History of philosophy, New York, 1928, p. 36 - 39.
والدكتور عبد الرحمن بدوى : ربيع الفكر اليونانى ، النهضة المصرية القاهرة ،
الطبعة الثالثة ، ١٩٥٨ م ص ١٥١ — ص ١٥٦ ، ويوسف كرم : تاريخ
الفلسفة اليونانية ، ص ٣٨ — ص ٤١ . والدكتور على سامى النشار
ودكتور على عبد المعطى ودكتور محمد العبودى : ديموقريطس فيلسوف
الذرة ، وأثره فى الفكر الاسلامى ، حتى عصورنا الحديثة ، الهيئة العامة
للكتاب ، الاسكندرية ، الطبعة الاولى ، ص ١٠٠ وما بعدها ، والدكتور
محمد على أبو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى ، الفلسفة اليونانية ،
دار الجامعات المصرية الاسكندرية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٤ ، ج ١ ،
ص ١٠٦ — ص ١٠٨ .

الى ارادته تعالى ، من حيث أن تكون الأجسام وفسادها ، راجع اليه تعالى ، فليس لشكل الجوهر أو ثقله ذلك الدور الذي يلعبه في النظرية الذرية اليونانية ولعل هذا ما دفع ببريتزل الى القول : بان فكرة الجوهر الفرد لدى المتكلمين لا يمكن ردها الى مصدر يونانى •

يضاف الى هذا ان المذهب الذرى عند ديموقريطس يعد مذهباً طبيعياً يرمى الى تفسير شامل للكون تفسيراً مقصوداً ، لذاته — تتحكم فيه الآلية المطلقة البحتة فتشمل : مصدر الذرات ، وحركتها التى توصف بها منذ القدم ، وعلى هذا النحو تصبح الجواهر الفردة عنده مبادئ طبيعية فى حدوث الأشياء وفنائها •

فى مقابل ذلك نجد مصدر الذرات عند المتكلمين هو الله تعالى وهو الكائن العاقل ، الذى يخلق هذه الجواهر ويقوم بتحريكها وتسكينها ، وبارادته يتم تأليفها وافتراقها ومن هنا كان بحثهم فى الجوهر غايته غاية دينية فى الاستدلال على حدوث العالم وعلى قدرة الله تعالى المطلقة واثبات علمه تعالى الأزل الذى يحيط بالموجودات احاطة شاملة ولا تتم هذه الاحاطة والشمول ، الا اذا كانت الموجودات متناهية (١٦٤) •

وهكذا نجد عقلية المتكلمين وقد صقلت الصقل الاسلامى قد تخلصت من سيطرة هذه النظرية الذرية القديمة الوافدة وأنشأت — بفكر اسلامى أصيل — نظرية جديدة — وان شابها النظرية القديمة فى الاسم والشكل — ليس فيها مجال لتصورات ، كالألزلية ، والقدم ، والمصادفة الآلية ، تلك التصورات التى لعبت دوراً خطيراً فى النظرية الذرية اليونانية ، كما أن الخلاء وهو عنصر أساسى فى هذه النظرية ، لا نجد له ضرورة فى قول المتكلمين بتأليف الأجسام من الجواهر الفردة •

(١٦٤) انظر تفصيلاً مشكلة خلق العالم عند المعتزلة رسالة دكتوراه للباحث تحت اشراف الدكتور ابو الوفا التفطانى « الفصل الثانى » .

ويمكن القول : بأن المتكلمين اطلعوا على ما ذكره الذريون القدماء ، واستفادوا بأصول النظرية ، غير انهم قاموا بصياغتها صياغة اسلامية ، لا تتلاءم والعقيدة فحسب ، بل لكي تكون أساسا أيضا للمبرهنة على بعض أصول العقيدة ، ومن ثم كان لزاما عليهم أن يجروا عليها تعديلات جوهرية حتى أضحت في صورتها الاسلامية ، لا تماثل مصدرها الأول وأصبحت عندهم سبيلا الى تفسير خلق العالم تفسيرا اسلاميا خالصا أسعفهم في هذا تقدمهم الفكري ، بفعل صقل المصادر الاسلامية لفكرهم وهذا مما يشير الى أن مستواهم الفكري كان يفوق مستوى الفلسفة اليونانية ، لأن هذا المستوى لو كان أضعف لحدث العكس ووقعوا تحت تأثير هذه الفلسفة الوافدة بشكل تام لا يملكون اجتهادا أو تعديلا .

ولعل هذه الاضافات والتعديلات على النظرية القديمة هي التي دعت كل من بينس ، وبريتزل الى القول : بان مذهب المسلمين في الجزء غير مأخوذ من اليونانيين (١٦٥) .

(١٦٥) يمكن الرجوع الى المصادر التالية لبيان اقوال المتكلمين في الجوهر الفرد وبيان غايتهم منها : الأشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المسلمين بتحقيق محمد محيي الدين ، النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ ، ج ٢ ص ٤ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٢ ص ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، ٢٧ ، ٢٨ ، والخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندي ، بتحقيق نيبيرج ، مع مقدمة له بقلم المحقق ، دار الكتب المصرية القاهرة ، ١٩٢٥ ، ص ٣٢ وبا بعدها ، ص ٩ — ١٠ ، والبغدادي : الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الاولى ، طبعة بالأوفست ، ١٩٧٣ ، ص ١١٤ ، ص ١٣٨ ، وأصول الدين ، طبعة استانبول ، ١٣٤٧ هـ — ١٩٢٨ ، ص ٣٦ ، ٥٠ ، ٩٤ ، ١٣٥ والرازي : المباحث المشرقية حيدر آباد الدكن ، ١٣٤٣ هـ — ١٩٢٤ م ، ج ١ ، ص ٣٤٦ ، ج ٢ ص ٩ ، وابن متوية : التذكرة في احكام الجواهر والاعراض ، تحقيق الدكتور سامي نصر ، =

ثالثا : اذا كان المتكلمون قد استخدموا بعض مصطلحات الفلسفة وشاعت في تراثهم ، فلا يعنى هذا انهم استخدموها بمفهومها القديم في التراث اليونانى ، انما يعنى انهم خلصوها من هذه الدلالات القديمة لتتلاءم مع التراث الاسلامى وجاء ذلك بناء على فهمهم الواعى والدقيق لرامى هذه المصطلحات في تراثها ومخالفاتها لتراثهم ، لكن لم يكن هناك بد من استخدامها ، ذلك لأن خصومهم واجهوهم بها فكان عليهم استخدامها .

فاستخدامهم لمصطلح كالجوهر والعرض جاء من أجل بناء نسق عقلى يقوم على مقدمات تنتهى بهم الى اثبات حدوث العالم وهذا يخالف استخدامهما في التراث اليونانى ، والذي استخدمهما لتفسير العالم تفسيرا عقليا ، ينتهى بهم الى القول يقدم العالم وانكار خلقه (١٦٦) .

= دكتور فيصل عون ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م ، مواضع كثيرة ، وبينس : مذهب الذرة عند المسلمين ومعه مقالة اوتوبريتزل : مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الاوليين في الاسلام بحيث في مسألة العلاقة بين علم الكلام الاول والفلسفة اليونانية ص ١٣٧ والنيسابورى : المسائل في الخلاف بين البغداديين والبصريين نشر بمرام ، القسم الخاص بالجزء الذى لا يتجزأ ليدن ١٩٠٢ م . بينس : مذهب الذرة عند المسلمين انظر ص ٨ ، ٩١ ، وما بعدها ، ص ١٣١ وما بعدها .

(١٦٦) انظر ذلك تفصيلا في المقال القيم الذى كتبه الدكتور فوقية حسين ضمن كتابها : مقالات في أصالة الفكر المسلم وهو بعنوان « الفكر المسلم والواقع » ص ٢٣ - ٤٨ . على انه يمكن القول بان أبرز أدلة المتكلمين على حدوث العالم كانت تعتمد على مصطلحي الجوهر والعرض انظر : دليل الدعاوى الأربعة عند المتكلمين في المصادر التالية : القاضي عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، حققه وقدم له الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، القاهرة الطبعة الاولى ١٩٦٥ ، ص ٣١ - ص ٩٦ . والمجموع من المحيط بالتكليف في العقائد ، جمع الحسن بن متوبة ، تحقيق =

رابعاً : لقد جاء هذا الخاط – بين الفلسفة وعلم الكلام – لأن المتكلمين وقفوا من الفلسفة موقف الهجوم ويعبر سعد الدين التفتازانى عن هذا بقوله : « لما نقلت الفلسفة الى العربية وخاض فيها الاسلاميون ، حاولوا (أى علماء الكلام) الرد على الفلاسفة فيما خالفوا فيه الشريعة

= عمر السيد عزمى ، ومراجعته الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى الدار المصرية للكتايف والترجمة والنشر ، القاهرة ١٩٦٠ ، ص ٤٦ . وما بعدها والمختصر فى أصول الدين بتحقيق محمد مہارة ، ضمن رسائل العدل والتوحيد دار الهلال القاهرة ، ١٩٧١ م ، الجزء الأول ، ص ١٧٤ وما بعدها والنيسابورى : ديوان الأصول فى التوحيد ، تحقيق الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريده ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩ م ، الأبواب الأولى من هذا الكتاب تكاد تكون موقوفة كلها على هذا الدليل .

وابن مبنوية : التذكرة فى أحكام الجواهر والاعراض ص ٨٨ وما بعدها ومن متكلمى الأشعرية : الباتلانى : التمهيد فى الرد على الملحدة ، والمعطلة والرافضة والخوارج ، والمعزلة ، ص ٤١ وما بعدها ، وايضا : رسالة الحرة نشرها الكوثرى تحت اسم « الانصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به » وانظر استدلال الجوينى فى كتابه « الارشاد الى قواطع الأتلة فى أصول الاعتقاد » بتحقيق محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد مكتبة الخانجى القاهرة ، ١٩٥٢ م ص ٣٦ — ٣٧ ، وايضا « الشامل فى أصول الدين » ، هلموت كلويفر ، القاهرة ، ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م ص ١٠٣ وما بعدها .. وغيرهم .

كما يمكن القول أيضا بأن للقرآن الكريم أثره فى تدعيم مصطلح العرض ، فقد ورد فى القرآن الكريم فى نحو قوله تعالى : « قالوا هذا عارض مبطلنا » (الاحقاف آية ٢٤) وقوله تعالى : « تريدون عرض الدنيا) (الانفال آية ٦٧) ، فسمى المال عرضاً ، لأنه الى انقضاء وزوال ومن هنا سميت الاعراض اعراضاً ، لأنها لا لبث لها (انظر الأشعرى : مقالات الاسلاميين ، ج ٢ ، ص ٥٧) وهذا يدل على أن المتكلمين وهم فى مواجهة الفلسفة اليونانية كانوا متسلحين بسلاح العقيدة .

فخلطوا بالكلام كثيرا من الفلسفة ليحققوا مقاصدهم فيتمكنوا من إبطالها وهلم جرا الى أن أدرجوا فيه (أى فى علم الكلام) معظم الطبيعيات والالهيات وخاضوا فى الرياضيات حتى لا يتميز (أى علم الكلام عن الفلسفة لولا اشتماله على السمعيات (١٦٧) .

كان طبعيا ان يختلف علماء الكلام مع الفلسفة الوافدة ، منذ بداية دخولها الى العالم الاسلامى ، ذلك لأنهم أدركوا ان فيها ما يضاد العقائد ولذلك فراهم يقدمون كثيرا من أوجه النقد لها على أساس دينى .

فلقد كتب النظام المعتزلى فى نقد أرسطو ، حيث أورد ابن المرتضى ان جعفر بن يحيى البرمكى ذكر أرسطو فقال النظام : قد نقضت عليه كتابه ، فقال جعفر : كيف وأنت لا تحسن أن تقرأه فقال : ايها أجب اليك ، أن أقرأه من أوله الى آخره أم من آخره الى أوله ؟ ثم اندفع يذكر شيئا فشيئا وينقضى عليه فتعجب منه جعفر (١٦٨) .

والمعتزلة بوجه عام كانوا حذرين أشد الحذر من الفلسفة الوافدة فيحكى ابن المرتضى عن أبى الحسين البصرى ، كان للبهاشمة (اتباع أبى هاشم الجبائى) عنه (أى عن أبى الحسين البصرى) نفرة لأمرين احدهما : أنه دنس نفسه بشيء من الفلسفة وعلوم الأوائل (١٦٩) .

ويرد القاضى عبد الجبار على نظرية الصدور الأفلوطنية بقوله :

-
- (١٦٧) سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسقية ص ١٧ ،
انظر الدكتور أبو الوفا التفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته ص ٢٥ .
(١٦٨) ابن المرتضى : المنية والأمل فى شرح الملل والنحل تصحيح توما
ارنولد دار المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣١٦ هـ ، ص ٢٩ .
(١٦٩) نفس المصدر : ص ٩٦ .

« إن القول بالنفس أو العقل إشارة الى ما لا يعقل ، لأن الفعل في الشاهد يدل على فاعل مختار ، حتى صار كالحقيقة فيه فلا يتغير شأها. وغائبا ولو أنهم أرادوا الفاعل المختار فلا مشاحة بيتا وبينهم الا في العبارة والمرجع فيها الى أرباب أهل اللسان وأهل اللغة ومعلوم انهم لا يسمون الفاعل نفسا ولا فعلا ولا علة » (١٧٠) .

وهكذا يهاجم القاضي عبد الجبار نظرية الصدور الأفلوطنية ومن تابعها من فلاسفة الاسلام ، فهو ينفي فكرة التوسط في الخلق بين الله والعالم ، فالله يخلق بلا واسطة .

كما كتب الشهرستاني كتابه المعروف « مصارعة الفلاسفة » يهاجم فيه الفلسفة الواحدة ومن اقتفى أثرها من مفكري الاسلام ويخص بالذكر ابن سينا (١٧١) .

(١٧٠) القاضي عبد الجبار : شرح الأصول الخمسة ، ص ١٢١ — ١٢٢

(١٧١) الشهرستاني : مصارعة الفلاسفة بتحقيق دكتور سهر محمد مختار ، مطبعة الجبلاوى ، القاهرة ، ١٩٧٦ وقد قام نصير الدين الطوسي ، بآلرد على كتاب الشهرستاني مصارعة الفلاسفة بكتاب سماه « مصارعة المصارع » وقد قام الشهرستاني بآلرد على ابن سينا في سبع مسائل هي :

- (١) حصر أقسام الوجود .
- (٢) وجود واجب الوجود .
- (٣) توحيد واجب الوجود .
- (٤) علم واجب الوجود .
- (٥) حدوث العالم .
- (٦) حصر المبادئ .
- (٧) مسائل مشكلة وشكوك عويصة .

وعلى أن أشهر رد على الفلاسفة هو رد الامام الغزالي في كتابه « تهافت الفلاسفة » (١٧٢) ذلك الكتاب الذي مهد له بكتابة « مقاصد الفلاسفة » (١٧٣) ولقد ذاعت وانتشرت شهرة كتاب « التهافت » في أن صاحبة قصص به هدم الفلسفة وتؤكد هذا الزعم بما انتهت اليه حياة الغزالي نفسه من تعويل على الذوق ورفض للعقل في مجال المعرفة ورفض العقل هو رفض الفلسفة (١٧٤) .

(١٧٢) الغزالي : تهافت الفلاسفة بتحقيق الدكتور سليمان دنيا دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢ م .

(١٧٣) الغزالي : مقاصد الفلاسفة ، تحقيق الدكتور سليمان دنيا دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠ م .

(١٧٤) لكن هذا الزعم خاطيء من وجوه كثيرة : فالغزالي نفسه يصرح في كتابه التهافت أن مقصوده هدم المذاهب الفلسفية عن طريق اظهار ما فيها من تناقض وتلبيس وبيان ما اشتملت عليه أدلتهم من قصور وفساد ، فهو موقف قائم على التشكيك والنقد ، وهو عمل فلسفى له قيمته ، فبعض الفلاسفة يذهب الى القول بان وظيفة الفلسفة لا تقوم في وضع الحلول للمشاكل بل تقوم في تنفيذ الحلول الموضوعية للمشاكل (الدكتور توفيق الطويل : أسس الفلسفة دار النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة السادسة ، ١٩٧٦ ، ص ١٢٦) فلا يجب أن ينظر الى الأعمال النقدية على أنها أعمال سلبية وانما هي تساعد على بناء وتشديد من نوع آخر ، فاذا كان هدف كتاب « التهافت » هو اظهار العقل بمظهر العاجز عن اقتناص الحقائق الالهية فانه يتخذ من العقل مطية للوصول الى هذه الغاية ، فعملية كله في « كتاب التهافت » يمكن ان نلخصه بأنه محاولة عقلية لاثبات قصور العقل في ميدان الالهيات ، هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هو شهادة عقلية بان للعقل حدا يجب الوقوف عنده ونصوص الكتاب خير شاهد على هذا فهو يقوم على استعراض مناهج الفلاسفة وادلتهم في المسائل التي احصاها عليهم ، ثم يستخدم العقل وحده للكشف عن قصورها وعجزها فهو عمل داخل في صميم الفلسفة بمعنى آخر

وعلى نهج الغزالي سار الذين حاربوا الفلسفة ، ودعوا الى اضطهاد أهلها وساعد هذا كله على ركود الفلسفة في الشرق الإسلامي ، بل لعل أثره امتد الى الغرب الإسلامي حتى كانت محنة ابن رشد واحراق كتبه ، واصدار منشور بتحريم الاشتغال بالفلسفة ، بل لقد بالغ بعض المتأخرين من رجال الدين منذ القرن السابع للهجرة في التنفير من الفلسفة وأهلها حتى أصدر ابن الصلاح الشهير زوري (عام ٦٤٣ هـ) فتوى دينية يحرم فيها الاشتغال بالفلسفة والمنطق تعليمًا وتعلمًا ومضى ابن تيمية (ت ٧٢٩ هـ) وتلميذه ابن القيم (ت ٧٥١ هـ) وغيرهما من الحنابلة المزمتمين في معاداة الفلاسفة (١٧٥) .

هو عمل فلسفي مجاله البحث عن طاقة العقل ، وعمل كهذا العمل لا يمكن بحال أن يكون بعيدا عن مجال الفلسفة فبوسعنا أن نقول ان الغزالي قد تفلسف في محاولته نقد الفلاسفة وانه استخدم العقل في اظهار تناقضهم وتهافت حججهم فالعقل عند الغزالي اذن ، لا سبيل الى التشكيك في قيمته ومن قال بالعقل فهو من زواية أخرى يقول بالفلسفة (انظر : الدكتور يحيى هويدي : دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، ١٩٧٩ م ص ٢٤١) . الا ان هذه المحاولة في الهجوم على الفلاسفة من الغزالي أدت بلا شك الى تحطيم تلك الهالة التي رسمها الفلاسفة المشاؤون ، حول انفسهم باعتبارهم حملة العلم اليوناني وقد مهد الغزالي السبيل للهجوم على الفلسفة المشائية وكان له الفضل في البحث عن فكر اسلامي أصيل في مواجهة المشائية الاسلامية (نفس المصدر : ص ٢٤٢) .

على ان الغزالي ميز بين العلوم الفلسفية التي تعارض أصلا من أصول الدين ، كالرياضيات والمنطق ، وتلك التي احتوت على معظم أغاليط الفلاسفة ، وهي العلوم الالهية .

(تهافت الفلاسفة ، ص ٧٧ — ص ٧٨) .

(١٧٥) الدكتور توفيق الطويل : قصة الصراع بين الدين والفلسفة مكتبة الآداب ، القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ١٢٠ وما بعدها .

وهكذا وقف المتكلمون ممن ذكرنا — على سبيل المثال لا الحصر — من الفلسفة الوافدة ، موقف العداء ، والهجوم وذلك لمخالفاتها للعقائد .

وقد أدى هذا الى عرض هذه الفلسفة الوافدة تمهيدا للرد عليها ، وقد تم أثناء ذلك ، هذا الاختلاط والامتزاج ، فبحق ما يقوله نيبيرج « من ان للعدو تأثير في تكوين الأفكار ليس بأقل من تأثير الحليف فيه ، حتى ان بعض الحنابلة قد شكوا أن أصحابه انقطعوا الى الرد على الملحدين انقطاعا أداهم أنفسهم الى الانحسار !! ، ففي عمل المدافعين أجمعين أشياء كثيرة لا بقاء لها وينبغي أن تتزلزل بزوال شروطها ، وأن يضرب عليها ويؤتى بأحسن منها وأصوب » (١٧٦) .

وقد أدى خلط الفلسفة بعلم الكلام الى ضرورة التمييز بينهما ، حتى لا يذوب علم الكلام ضمن مباحث الفلسفة فنجد ابن خلدون يشير الى التمييز بين علم الكلام والفلسفة من ناحية : الموضوع والمنهج والغاية فيقول ابن خلدون : « واعلم أن المتكلمين لما كانوا يستدلون في أكثر أحوالهم بالكائنات وأحوالها على وجود الباري وصفاته وهو نوع استدلالهم غالبا والجسم الطبيعي ينظر فيه الفيلسوف في الطبيعيات وهو بعض من هذه الكائنات الا ان نظره فيها مخالف لنظر المتكلم وهو ينظر في الجسم من حيث يتحرك ويسكن ، والمتكلم ينظر فيه من حيث يدل على الفاعل وكذا نظر الفيلسوف في الالهيات انما هو نظر في الوجود المطلق وما يقتضيه لذاته ، ونظر المتكلم في الوجود من حيث أنه يدل على الموجد ، وبالجمله فموضوع علم الكلام عند أهله انما هو العقائد الايمانية بعد فرضها صحيحة من الشرع من حيث يمكن أن يستدل عليها بالأدلة العقلية فترفع البدع وتزول الشكوك والشبه عن تلك العقائد واذا تأملت حال الفن في حدوده ، وكيف تدرج

(١٧٦) نيبيرج : مقدمة تحقيقه لكتاب الخياط : الانتصار والرد على

ابن الراوندي : ص ٥٩ — ص ٦٠ .

كلام الناس فيه. صدرا بعد صدر وكلهم يفرض العقائد صحيحة ، ويستنهض الحجج والأدلة علمت حينئذ ما قررناه لك في موضوع الفن وأنه لا يعدوه » (١٧٧) .

لا شك إن هناك خلافا واضحا بين علم الكلام والفلسفة اليونانية الموافقة يستحيل معه هذا الخلط والامتزاج ، فالبلون شاسع بينهما ، غير أن الهوة تضيق بين علم الكلام ، والفلسفة كما هي عند فلاسفة الاسلام ، وذلك لأنهم أضفوا على الفلسفة الموافقة ، سمات دينية ، وجرحوا كل الجرح على التوفيق بينهما وبين العقائد (١٧٨) .

(١٧٧) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٦ .

(١٧٨) في الحقيقة أننا لا ننكر تآثر فلاسفة الاسلام بالفلسفة اليونانية ، وأنهم عولوا عليها تعويلا كبيرا ، كما عولوا على عناصر اجنبية أخرى ، لكن كان يظهرها الفلسفة اليونانية ، غير أنها لم تحاكي هذه الفلسفة الموافقة محاكاة تامة — كما يزعم البعض — فلها جانبها الخاص من الابتكار والإبداع ، فلقد قاموا بشرح التراث الوافد ، والتعليق عليه ، وليس من شك في أن الشرح والتعليق ، يضيف جديدا يجعل النص الأصلي سهلا ميسورا القداول ، ومن خلال شروحيهم وفهمهم لهذه الفلسفة الموافقة أدركوا ما فيها من آراء تخالف العقيدة ومشكلات تركت بدون حل فأخذوا في سد الثغرات التي وجدوها في مذهب أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان كالفيلسوفين وأفلاطون ونظرا لأعجابهم بهذه الفلسفة راحوا يوفقون بينها وبين الدين فبينوا للناس أن العقيدة إذا استقنارت بضوء الحكمة تمكنت من النفس ، وثبتت أمام الخصوم ، أن الدين إذا تأخى مع الفلسفة أصبح فلسفيا ، كما تصبح الفلسفة دينية ، فالفلسفة الاسلامية وليدة البيئة التي نشأت فيها والظروف التي أحاطت بها ، وهي كما تبدو فلسفة دينية روحية ، ومن ثم واجهت مشكلات أخرى تتعلق بالدين لا نجد لها نظيرا عند اليونان .

(انظر : الدكتور ابراهيم مذكور : في الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق ،

ج ١ ، ص ١٩ — ص ٢٠) .

ومع ذلك غثمة فروق بين علم الكلام ، والفلسفة كما هي عند فلاسفة الاسلام ، ادرجها ابن خلدون في قوله السابق من هذه الفروق فروق تتعلق بالموضوع والمنهج والغاية .

اما من ناحية الموضوع : فنجد ان موضوعات علم الكلام تتعلق بالأصول الدينية : كالبحث في ذات الله تعالى وصفاته وأفعاله... وفي احكام الشريعة من : بعثة الرسل ونصب الأئمة والتكليف والثواب والعقاب... يتناولها بحسب ما وردت في الشريعة أمرا مقرررا لا مدخل للشك فيه مماولا أن يؤيدها بالأدلة العقلية ، حتى يكون الايمان بها أشد وثوقا ، وأكثر توكيدا لاجتماع دليلي النقل والعقل معا ، فضلا عن ان الدليل العقلي هو السبيل الى اثبات هذه الأصول على المحالفين من أصحاب الأديان المخالفة .

اما فلاسفة الاسلام ، فان أبحاثهم تدور حول : الوجود والمعرفة والقيم ، وما تشمله هذه المباحث الرئيسية من البحث في الله ، والعالم ، والإنسان ، وتبحث في مبادئ الوجود وعمله ، وفي وسائل المعرفة ، وطبيعتها ، وأدواتها ، ومشكلة اليقين ، وفي القيم : من الحق ، والخير ، والجمال ، ويتوخى فلاسفة الاسلام أن يكون بحثهم الفلسفي من منظور ديني عقائدي بمعنى أنهم يحرصون أن يكون بحثهم يؤيد الدين ويؤكد .

ومن هنا يقرر ابن خلدون حذف موضوع الطبيعيات والالهيات من نطاق علم الكلام فيقول : « واما النظر في مسائل الطبيعيات والالهيات بالتصحيح والبطالان فليس موضوع علم الكلام ، ولا من جنس أنظار المتكلمين ، فاعلم ذلك لتمييز به بين الفين (يقصد علم الكلام والفلسفة) ، فانهما يختلطان عند المتأخرين في الوضع والتأليف ، والحق معايرة كل منهما لصاحبه بالموضوع والمسائل » (١٧٩) .

(١٧٩) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٤٣٧ ، والدكتور أبو الوفا

التفتازاني : علم الكلام وبعض مشكلاته ، ص ٢٦ .

وهكذا يختلف موضوع علم الكلام عن الفلسفة فيما يرى ابن خلدون ، وان كنا نرى ان الموضوعات في كليهما ذات دلالات دينية عميقة ، وغايتها غاية دينية .

أما من ناحية المنهج :

فنجد فلاسفة الاسلام يغالون في استخدام العقل بدرجة تفوق استخدام المتكلمين ، فحرروا العقل من كل قيد ، وأخذوا بأحكامه ، ورفضوا ما عداها ، ونظروا في النصوص الدينية فان وجدوها على وفاق معهم قبلوها ، وان وجودها على خلاف ما انتهوا اليه صرفوها عن ظاهرها ، وحملوها على المعنى الذى انتهى اليه بحثهم .

حقيقة ان المتكلمين قد استخدموا العقل ، وقد استخدمه المعتزلة بدرجة تفوق أقرانهم من المتكلمين ، محاولين وضع منهج عقلى مترن فى خطوطه العامة واستخدموا هذا المنهج استخداما هادئا — الا فى حالات قليلة ، وأسرفوا وتطرفوا .

ومهما يكن من أمر استخدام العقل عند المعتزلة ، فهو كان فى مدار فهم العقيدة ، واذا كانوا قد لجأوا الى التأويل فذلك التأويل الذى يؤدى الى هذه الغاية الدينية الصرفة منطلقين أساسا من النصوص الدينية ، التى هى عندهم محل ثقة ويقين ، وهم فى هذا لا يقارنون بفلاسفة الاسلام ، لأنهم فى كل الأحوال ينطلقون من الدين ونصوصه محاولين تعقلها ، حتى يكون الايمان بها راسخا فيردون شبهات

الخصوم ، باقامة الحجة عليهم فغايتهم حفظ قواعد الدين . ويمكن القول ان هذا خلاف واضح بين منهج المتكلمين ومنهج فلاسفة الاسلام وهو فى درجة استخدامهم للعقل فى مجال القضايا الدينية .

ولقد عبر طاش كبرى زاده عن ذلك بقوله : « المتكلم يستند الى ما جاء به الدين ، من اعتقادات ، ثم يلتزم الحجج العقلية التي تدعمه ، أما الفيلسوف فيبحث بعقله ، ويرى حقا ما توصل اليه من دليل ، المتكلم يعتقد ثم يستدل ، أما الفيلسوف فيستدل ثم يعتقد » (١٨٠) .

ويقول ابن خلدون : انه اذا هدانا الشارع الى مدرك فينبغي أن نقدمه على مداركنا ونثق به دونها ، ولا ننظر في تصحيحه بمدارك العقل ، ولو عارضه ، بل نعتد ما أمرنا به اعتقادا ، ونسكت عما لم نفهم من ذلك ، نفوضه الى الشارع ونعزل العقل عنه (١٨١) .

على ان هناك فرقا ثالثا يتعلق بالمادة : فمادة فلاسفة الاسلام — في معظمها — مادة استمدوها من الفلسفة اليونانية التي عولوا عليها تعويلا كبيرا (١٨٢) .

(١٨٠) طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، ج ٢ ، ص ١٥٠ .

(١٨١) الدكتور ابو الوفا التفتازاني : علم الكلام وتعض مشكلاته ص ٢٥ — ص ٢٦ .

(١٨٢) يمكن القول بأن فلاسفة الاسلام وان كانوا قد استمدوا ، كثيرا من أسس مذاهبهم من الفلسفة اليونانية الا ان هذا لا يعنى نفى صفتى الأصالة والابتكار اما فيها يتعلق بالأصالة فقد لعبت العقائد والنصوص الدينية دورا كبيرا فى محتوى مذاهبهم ، واما عن الابتكار فلقد كان لهذه المذاهب مشكلاتها الخاصة بهم ، ولهم آراء مبتكرة لم تكن لدى فلاسفة اليونان ، وحقا ما قاله استاذنا الدكتور مذكور من أن تأثرها بالفلسفة اليونانية لا يقلل من قيمتها ، بل يعد مظهرا من مظاهر عظمتها ، فهكذا تيارات الفكر تتلاقى ، ويأخذ اللاحق عن السابق ، وهكذا تتعاقب الثقافات ويأخذ بعضها عن بعض ، فالفلسفة اليونانية — ذاتها — لم يبق شك اليوم انها أخذت من حضارات ، الشرق القديم ، بها خلفته من تقدم علمى ،

أما مادة المتكلمين ، فمصدرهم الأول ، القرآن الكريم كتاب الاسلام الأول ، ثم الحديث الشريف ، والنقاش العقلى الذاتى خولهما ، ولا يعولون على المصادر الأجنبية والدخيلة الا قليلا ، وفى مواضع لا تتعارض مع العقيدة ، بل تكون وسيلة للدفاع عنها . وهذا يدل دلالة قاطعة على أصالة علم الكلام والتى لا ينازع فيها .

هذه جملة من الفروق ذكرتها بشكل عام ، وهى لا تمثل الا تعميمات استقرائية ، وقد لا تكون حاضرة للمذاهب الكلامية والفلسفية ، فكل استقراء ، ليس محاصرا ، وانما هى فروق عامة تعتمد على منطق الترجيح ، وهى فروق بين علم الكلام وفلسفة مؤمنة ، هى الفلسفة الاسلامية ، وبقينا أنها ستكون أعمق لو قارنا علم الكلام الاسلامى والفلسفة الخالصة ، كما نجدها عند المحدثين والمعاصرين ، أو عند فلاسفة اليونان .

وعلى الرغم من هذه الفروق بين علم الكلام الاسلامى وبين الفلسفة كما هى عند فلاسفة الاسلام ، الا ان وجهة نظر المحدثين قد مالت الى اعتبار علم الكلام جزءا من مفهوم الفلسفة الاسلامية بالمعنى العام ، ومما يعطى وجه النظر هذه قوة طبيعة الفلسفة الاسلامية ذاتها ، فهى فلسفة دينية مؤمنة ، أكثر من كونها فلسفة بالمعنى الخاص ، أى فلسفة عقلية خالصة ، وذلك لتأثرها بالدين الاسلامى الى أبعد الحدود ، صاغ فلاسفتها مذاهبهم الفلسفية صياغة تتلاءم مع الاطار الدينى ، لهذا يندر أن نجد بينهم غيلسوبا

وما أنتجته من فكر دينى ، والفلسفة الاسلامية التى تأثرت بالفلسفة اليونانية والفلسفة الشرقية ، أثرت بدورها فى الثقافات الأوروبية ، حيث امتد اثرها الى النهضة الأوروبية (انظر : فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق ج ٢ ، ص ١٥١ وما بعدها) .

ماديا ، أو خارجا بشكل أو آخر عن حدود هذا الاطار الدينى (١٨٣) .

وهكذا يمكن القول بان علم الكلام الاسلامى يمكن اعتباره جزءا من الفلسفة الاسلامية ، التى تشملها ، كما تشمل فروعها أخرى ، بل انه أكثر أجزائها أصالة وابداعا وطرافة .

هذا عن صلة علم الكلام بالفلسفة بالمعنى العام والفلسفة عند غلاسفة الاسلام ، ويتبين لنا من كل ما تقدم ، ان هناك عوامل خارجية أدت الى تطور موضوع علم الكلام ، وهذا لا يقدر فى أصالته الاسلامية .



(١٨٣) حسام اللوسى : نشأة الفكر الاسلامى فى بواكيره (الكلامية)
مقالة بمجلة عالم الفكر ، المجلد السادس ، العدد الثانى ١٩٧٥ ، —
ص ١٥٧ — ١٥٨ .

المراجع

أولا - المراجع العربية :

- ١ - القرآن الكريم .
- ٢ - العهد القديم .
- ٣ - الأنجيل الأربعة .
- ٤ - صحيح مسلم .
- ٥ - صحيح البخارى .
- ٦ - الدكتور ابراهيم مذكور : فى الفلسفة الاسلامية منهج وتطبيق
دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٦٨ م ، الجزء الأول .
- ٧ - ابن الاثير : الكامل فى التاريخ ، لندن ، ١٢٨٣ هـ - ١٨٨٦ -
١٨٧٦ م .
- ٨ - ابن الجوزى : مناقب أحمد بن حنبل ، طبعة القاهرة ، ١٣٤٩ هـ
- ٩ - ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، دار مهر بن الخطاب ، الاسكندرية
بدون تاريخ .
- ١٠ - ابن حجر : لسان الميزان ، طبعة الهند ، ١٣٢٩ هـ .
- ١١ - ابن خزيمة : كتاب التوحيد واثبات صفات الرب عز وجل
راجعه وعلق عليه ، محمد خليل هراس ، مكتبة الكليات الأزهرية ،
الازهر ، ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٨ م .
- ١٢ - ابن رشد : مناهج الأدلة فى عقائد اهل الملة ، تحقيق الدكتور
محمود ماسم ، الانجلو المصرية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٤ م .
- ١٣ - ابن القيم : هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى ،
المكتبة القيمة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٩٩ هـ .
- ١٤ - ابن القيم : اغائة اللهفان من مكاييد الشيطان ، مصطفى البابى
الحلبى ، القاهرة ، ١٣٨١ هـ .
- ١٥ - ابن المرتضى : المنية والامل فى شرح المال والنحل ، بتصحيح
توما أرنولد ، دار المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، الهند
١٣١٦ هـ - ١٩٠٢ م .

- ١٦ — ابن النديم : الفهرست ، طبعة فلوجل ، بيروت ، ١٩٦٤ م
وطبعة القاهرة ، ١٣٤٨ هـ — ١٩٢٩ م .
- ١٧ — ابن تيمية : الأكليل فى المتنباه والتأويل مكتبة أنصار السنة
المحمدية ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٢٦٦ هـ — ١٩٤٧ م .
- ١٨ — ابن تيمية : النبوات القاهرة ، ١٣٤٦ هـ .
- ١٩ — ابن تيمية : بغية المرند فى الرد على المتفلسفة والقرامطة .
ويسمى أيضا بالسبعينية ، القاهرة ، ١٣٢٨ هـ — ١٩١١ م .
- ٢٠ — ابن تيمية : مقدمة فى أصول التفسير ، منشورا تدار مكتبة
الحياة ، بيروت .
- ٢١ — ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء ، وعلى هامشة كتاب
الملل والنحل للشهرستاني ، دار المعرفة ، وبيروت ، مصوره عن النسخة ،
الأصلية ، بدون تاريخ .
- ٢٢ — ابن حزم : الأحكام فى أصول الأحكام ، تصحيح أحمد محمود
شماكر ، مطبعة السعادة ، مصر ، الطبعة الأولى ، ١٣٤٥ — ١٣٤٨ هـ .
- ٢٣ — ابن حنبل : الرد على الزنادقة والجهمية ، بتحقيق الدكتور
على سامى النشار ، وعهار الطالبى ، ضمن كتاب عقائد السلف ، منشأة
المعارف ، الاسكندرية ، ١٩٧٠ م .
- ٢٤ — ابن خلدون : المقدمة ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة
الرابعة ، ١٣٩٨ هـ — ١٩٧٨ م .
- ٢٥ — ابن عساکر : تبیین کذب المفترى ، دار الكتاب العربى بيروت
الطبعة الخامسة ، ١٣٩٩ هـ .
- ٢٦ — ابن قتيبة : تأويل مختلف الحديث ، مكتبة المتنبى ، القاهرة
عن طبعة كردستان العلمية ، ١٣٢٦ هـ .
- ٢٧ — ابن قتيبة : الاختلاف فى اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة
مطبعة السعادة ، القاهرة ، ١٣٤٩ هـ .
- ٢٨ — ابن قتيبة : المعارف ، تحقيق الدكتور ثروت عكاشة ،
القاهرة ، ١٩٦٠ .
- ٢٩ — ابن متوية : التذكرة فى أحكام الجواهر والاعراض ، تحقيق
وتقديم دكتور سامى نصر ، ودكتور فيصل عون ، دار الثقافة للطباعة
والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .

- ٣٠ — ابن منظور : لسان العرب ، دار المعارف ، القاهرة .
- ٣١ — أبو حنيفة : رسالة الى البتلى ، نشر زاهد الكوثرى ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- ٣٢ — أبو حنيفة : العالم والمتعلم ، نشر زاهد الكوثرى ، القاهرة ١٣٦٨ هـ .
- ٣٣ — أبو حيان التوحيدى : الامتاع والمؤانسة ، نشره أحمد أمين وأحمد الزين ، القاهرة ، ١٩٣٩ م .
- ٣٤ — أبو حيان التوحيدى : مثالب الوزيرين ، اخلاق الصاحب بن عباد ، وابن العبيد ، تحقيق دكتور ابراهيم الكيلانى ، دمشق ١٩٦١ م .
- ٣٥ — أبو حيان التوحيدى : ثمرات العلوم ، مع كتاب الادب والانشاء فى الصداقة والصديق ، المطبعة الشرقية ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
- ٣٦ — أبو حيان التوحيدى : المقامسات ، تحقيق ونشر ، حسين السندوبى ، المكتبة التجارية ، القاهرة ١٩٢٩ م .
- ٣٧ — أبو حيان التوحيدى : الاشارات الالهية ، تحقيق ونشر الدكتور عود الرحمن بدوى ، مطبعة جامعة فؤاد الاول ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، الجزء الاول .
- ٣٨ — أبو حيان التوحيدى : الهوامل والشوامل (لمسكويه) تحقيق احمد أمين ، والسيد أحمد صقر ، لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٥١ م .
- ٣٩ — الدكتور أبو ريدة : الايمان فى عصر العلم ، مجلة عالم الفكر الكويت ، المجلد الاول ، العدد الاول ، ١٩٧٠ م .
- ٤٠ — أبو الفرج الأصفهاني : الأغاني ، القاهرة ، ١٣٢٣ هـ .
- ٤١ — أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل : سيرة الامام أحمد بن حنبل بتحقيق الدكتور فؤاد عبد المنعم ، دار الدعوة ، الاسكندرية ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٤ هـ .
- ٤٢ — أبو القاسم البلخى : باب نكر المعتزلة من مقالات الاسلاميين ضمن كتاب فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، اكتشاف المخطوطة وحققها فؤاد السيد ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، ١٩٧٤ م .
- ٤٣ — أبو المظفر الأسفراينى : التبصير فى الدين ، تحقيق كمال يوسف الحوت ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٣ م .

- ٤٤ — الشيخ أبو زهرة : محاضرات فى النصرانية ، دار الفكر العربى
القاهرة .
- ٤٥ — الشيخ أبو زهرة : الامام أبو حنيفة ، دار الفكر العربى ،
القاهرة .
- ٤٦ — الشيخ أبو زهرة : أحمد بن حنبل ، دار الفكر العربى ،
القاهرة ، ١٣٦٧ هـ .
- ٤٧ — الدكتور أبو الوفا الفهمى الفتازانى : الانسان والكون فى
الاسلام دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٥ م .
- ٤٨ — الدكتور أبو الوفا الغنيمى الفتازانى : علم الكلام وبعض مشكلاته
دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٧٩ م .
- ٤٩ — الدكتور أبو الوفا الغنيمى الفتازانى : ابن سبعين وفلسفته
الصوفية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٣ م .
- ٥٠ — أحمد أمين : ضحى الاسلام ، النهضة المصرية ، القاهرة ١٣٥٧ هـ
- ٥١ — الدكتور أحمد شلبى : مقارنة الأديان ، الجزء الأول ، اليهودية
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٨ م .
- ٥٢ — الدكتور أحمد شلبى : مقارنة الأديان ، الجزء الثانى ، المسيحية
مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ١٩٧٨ م .
- ٥٣ — الدكتور أحمد شلبى : مقارنة الأديان ، الجزء الرابع ، اديان
الهند الكبرى ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة الطبعة الخامسة ،
١٩٧٩ م .
- ٥٤ — الدكتور أحمد صبحى : فى علم الكلام دراسة فلسفية لآراء الفرق
الاسلامية فى أصول الدين ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، الاسكندرية
الطبعة الرابعة ، ١٩٨٢ م الجزء الأول .
- ٥٥ — أرسطو : كتاب النفس ، نقله الى العربية الدكتور أحمد فؤاد
الاهوانى ، وراجعه على الاصل اليونانى الاب جورج قنوائى ، عيسى البابى
الحلبى ، الطبعة الثانية ، ١٣٨١ هـ — ١٩٦٢ م وله ترجمة أخرى قديمة
قام بها اسحق بن حنين ، وقام بتحقيقها ونشرها الدكتور عبد الرحمن بدوى ،
مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٤ م .
- ٥٦ — أمين الخولى : مالك بن أنس ، طبعة القاهرة ، بدون تاريخ .

- ٥٧ — الأشعري : استحسان الخوض في علم الكلام ، نشره يوسف مكارشي على ذيل كتاب « اللمع » ، بيروت ، ١٩٥٣ م عن نشره حيدر آباد الدكن ، الهند ، ١٣٤٤ هـ وايضا نشره الدكتور عبد الرحمن بدوي ، ضمن كتاب « مقالات الاسلاميين » ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م الجزء الأول .
- ٥٨ — الأشعري : مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين ، بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة النهضة المصرية ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٩ م .
- ٥٩ — الأشعري : اللمع في الرد على اهل الزيغ والبدع ، نشره الدكتور غرابية ، القاهرة ، ١٣٧٤ هـ .
- ٦٠ — الايجي : المواقف ، اسطنبول ، ١٢٨٦ هـ .
- ٦١ — الباقلائي : التهيد في الرد على الملحدة والمعتلة والرافضة والخوارج والمعتزلة ، ضبطة وقدم له وعلق عليه ، محمود الخضيري ومحمد عبد الهادي أبو ريدة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٤٧ م .
- ٦٢ — الباقلائي : رسالة الحرة ، نشرها الكيوشي تحت اسم الانصاف فيما يجب اعتقاده ، ولا يجوز الجهل به ، القاهرة ، ١٣٦٩ هـ .
- ٦٣ — الباقلائي : اعجاز القرآن ، تحقيق السيد أحمد صقر ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٨١ م .
- ٦٤ — البغدادي : الفرق بين الفرق ، دار الآفاق الحديثة ، بيروت الطبعة الاولى ، ١٣٩٣ هـ — ١٩٧٣ م .
- ٦٥ — البغدادي : اصول الدين ، طبع مدرسة الالهيات ، بدار الفنون التركية ، اسطنبول ، ١٣٤٦ هـ — ١٩٢٨ م .
- ٦٦ — البردوي : اصول الفقه ، دار السعادة ، القاهرة ، ١٣٠٨ هـ .
- ٦٧ — البيضاوي : طوابع الانوار ، طبعة القاهرة ، الطبعة الخيرية ١٣٢٣ هـ — ١٩٠٥ م .
- ٦٨ — البريوني : تحقيق ما للهند من مقولة ، مقبولة في العقل أو مرذولة صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في المكتبة الاهلية بباريس دار المعارف النظامية ، حيدر آباد الدكن ، ١٣٣٧ هـ — ١٩٥٨ م .
- ٦٩ — التهانوي : كشف اصطلاحات الفنون ، كلكتا ، ٨٦٢ هـ .

٧٠. — الجاحظ : رسالة فى الرد على الفصارى ، ضمن ثلاث رسائل للجاحظ ، نشرها فتنسكل ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٣٥٢ هـ .
- ٧١ — الجاحظ : الحيوان ، بتحقيق عبد السلام هارون ، عيسى البابى الحلبي ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٩٢٤ م ، الجزء الأول ، والثانى ، والرابع .
- ٧٢ — الجرجاني : شرح المواقف ، بولاق ، مصر ، ١٢٦٦ هـ .
- ٧٣ — الجرجاني : التعريفات ، المطبعة الخيرية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٦ هـ .
- ٧٤ — الجوينى : الارشاد الى قواطع الأدلة فى أصول الاعتقاد ، تحقيق محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ١٩٥٢ م .
- ٧٥ — الجوينى : لمع الأدلة فى قواعد عقائد أهل السنة والجماعة ، بتحقيق محمد يوسف موسى ، وعلى عبد المنعم عبد الحميد ، مكتبة الخانجي ، والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- ٧٦ — الجوينى : الشامل فى أصول الدين ، القاهرة ، ١٣٨٠ — ١٩٦٠ م
- ٧٧ — جولد زيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ترجمة محمد يوسف موسى ، وآخرون ، القاهرة ، ١٣٦٦ هـ .
- ٧٨ — الحكم الجسمى : شرح عيون المسائل : مخطوط بدار الكتب المصرية ، مصور عن مكتبة صنعاء ، ميكرو فيلم ٣٠٦ .
- ٧٩ — الخوارزمى : مفاتيح العلوم ، الطبعة المنيرة ، القاهرة ، ١٣٤٢ هـ
- ٨٠ — الخياط : الانتصار والرد على ابن الراوندى الملحد ، وما قصد به من الطعن على المسلمين ، بتحقيق وتعليق وتقديم الدكتور نبيرج ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ١٣٤٤ هـ — ١٩٢٥ م .
- ٨١ — الرازى (فخر الدين) : مناقب الشافعى ، طبعة مصر ، بدون تاريخ .
- ٨٢ — الرازى (فخر الدين) : التفسير الكبير ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٣٠٨ هـ .

- ٨٣ — الرمخشري : الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل وعيون
الأقاويل فى وجوه التأويل ، المطبعة البهية المصرية ، القاهرة ، الطبعة
الأولى ، ١٣٤٣ هـ .
- ٨٤ — الزمخشري : أساس البلاغة ، دار صادر ، بيروت ١٣٨٥ هـ —
١٩٦٥ م .
- ٨٥ — الدكتور سامى نصر : نماذج من الحكمة الدينية للمسلمين
(الفرق الكلامية) مكتبة الحرية الحديثة ، جامعة عين شمس ، القاهرة
الطبعة الثانية ، ١٩٨١ م .
- ٨٦ — سعد الدين التفتازانى : شرح العقائد النسفية ، طبعة الأستانة
١٣٢٦ هـ ، على متن ، العقائد لنجم الدين النسفى ، وبهامشة حاشية
الكستلى ، ويليهام حاشية الخيالى وطبعة القاهرة ، ١٣٥٨ هـ .
- ٨٧ — الشريف المرتضى : امالى المرتضى ، طبعة الخانجى القاهرة
الطبعة الاولى ، ١٣٢٥ هـ — ١٩٠٧ م .
- ٨٨ — الشهرستانى : الملل والنحل ، على هامش الفصل فى الملل
والاهواء والنحل لابن حزم ، دار المعرفة ، بيروت الطبعة الثانية بالأوفست ،
١٣٩٥ — ١٩٧٥ م .
- ٨٩ — الشهرستانى : نهاية الأقدام فى علم الكلام ، حرره وصححه
الفرد جريم ، تدون تاريخ .
- ٩٠ — الشهرستانى : مصارعة الفلاسفة ، بتحقيق دكتورة سهر محمد
مختار ، مطبعة الجبالوى ، القاهرة ، ١٩٧٦ م .
- ٩١ — الطبرى : تاريخ الامم والملوك ، مطبعة الحسينية ، القاهرة
الطبعة الاولى .
- ٩٢ — الدكتور عبد الله شحاتة : منهج الامام محمد عبده فى تفسير
القرآن الكريم ، مطبعة القاهرة ، القاهرة ، ١٩٨٤ م .
- ٩٣ — الغزالى : مقاصد الفلاسفة ، بتحقيق وتقديم الدكتور سليمان
دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٦٠ م .
- ٩٤ — الغزالى : تهافت الفلاسفة ، تحقيق وتقديم الدكتور سليمان
دنيا ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٢ م .
- ٩٥ — الغزالى : الاقتصاد فى الاعتقاد ، حققة وخرج أحاديثه ، الشيخ
محمد مصطفى أبو العلا ، مكتبة الجندى ، القاهرة ١٩٧٢ م .

- ٩٦ — الغزالي : فيصل التفرقة بين الاسلام والزندقة ، نشرة
الكردي ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ .
- ٩٧ — الغزالي : المنقذ من الضلال ، بتحقيق الدكتور عبد الحليم محمود
ضمن كتاب قضية التصرف ، دار المعارف ، القاهرة ١٩٨١ م وايضا طبعة
مكتبة صبيح ، ١٣٩٢ هـ — ١٩٧٢ م .
- ٩٨ — الغزالي : فضائح الباطنية ، حققه وقدم له ، الدكتور عبد الرحمن
بدوي ، دار الكتب الثقافية ، الكويت ، ١٩٦٤ م .
- ٩٩ — الغزالي : الجواهر الغوالي في رسائل الغزالي ، القاهرة ١٣٥٣ هـ .
- ١٠٠ — الغزالي : الرد الجميل لالهية المسيح بصريح الانجيل ، اكتشفه
اليسوعى ، ونشر في باريس ١٩٣٩ وأعيد نشره بالقاهرة وقام بتصحيحه
المستشرق الفرنسى باسينيون ، وقام بتصحيحه الآب ، روبين شديقان
اليسوعى ، ونشر في باريس ١٩٣٩ وأعيد نشره بالقاهرة وقام بتصحيحه
وترجمة مقدمانه والتعليق عليها وعلى بعض النصوص عبد العزيز عبد الحق ،
مجمع البحوث الاسلامية ، الازهر ، القاهرة ١٣٩٣ هـ .
- ١٠١ — الغزالي : احياء علوم الدين ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ .
- ١٠٢ — الفارابى : احصاء العلوم ، بتحقيق الدكتور عثمان أمين
القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٦٨ م الطبعة الثانية ١٩٤٩ م .
- ١٠٣ — القاضى عبد الجبار ، المغنى في ابواب التوحيد والعدل ، الجزء
الخامس الفرق غير الاسلامية بتحقيق محمود محمد الخضيرى وسراجعة الدكتور
ابراهيم مذكور ، و اشرف الدكتور طه حسين ، المؤسسة المصرية العامة
للتأليف والانباء والنشر ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ،
١٩٦٥ م .
- ١٠٤ — القاضى عبد الجبار ، تثبت دلائل النبوة ، تحقيق الدكتور
عبد الكريم عثمان ، بيروت ، ١٩٦٦ م .
- ١٠٥ — القاضى عبد الجبار : شرح الاصول الخمسة ، حققه وقدم له
الدكتور عبد الكريم عثمان ، مكتبة وهبة ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٥ م .
- ١٠٦ — القاضى عبد الجبار ، المحيط بالتكليف فى العقائد ، جمع
الحسن بن متويه ، تحقيق عمر السيد عزمى ، وسراجعة الدكتور احمد مؤاد
الاهوانى ، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر القاهرة ، ١٩٦٥ م .

- ١٠٧ — القاضي عبد الجبار : تنزيه القرآن عن المطاعن ، دار النهضة الحديثة ، القاهرة ، ١٣٢٩ هـ .
- ١٠٨ — القاضي عبد الجبار : مثابة القرآن ، تحقيق الدكتور عدنان زرزور ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .
- ١٠٩ — القاضي عبد الجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة وما يبينهم لسائر المخالفين ، تحقيق غزاد السيد ، تونس ، ١٩٧٤ م .
- ١١٠ — القاضي عبد الجبار : المختصر في أصول الدين ، تحقيق الدكتور محمد عمارة ، ضمن رسائل العدل والتوحيد ، الجزء الاول ، دار الهلال ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ١١ — القرطبي : تفسير القرطبي ، دار الكتاب العرب ، القاهرة ، ١٣٨٧ هـ .
- ١١٢ — الكندي : رسائل الكندي الفلسفية ، بتحقيق وتقديم الدكتور أبو ريدة دار الفكر العربي ، ١٩٥٠ ، الجزء الاول .
- ١١٣ — السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلبي ، ومحمود محمد الطنحلي ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦٢ .
- ١١٤ — الشعراني : البواقيت والجواهر ، مطبعة مصر ، ١٣٠٧ هـ .
- ١١٥ — الماتريدي : كتاب التوحيد ، بتحقيق الدكتور فتح الله خليف ، بيروت ، ١٩٧٠ م .
- ١١٦ — الماتريدي : شرح الفقه الاكبر ، حيدر اباد الدكن ، ١٣٢١ هـ .
- ١١٧ — المسعودي : مروج الذهب ، بتحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ، ١٣٨٦ هـ .
- ١١٨ — المقرئ : الخطط ، القاهرة ، ١٢٧٠ هـ ج ٤ .
- ١١٩ — النسفي : العقائد النسفية ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ .
- ١٢٠ — النيسابوري : في التوحيد ، ديوان الاصول ، بتحقيق الدكتور محمد عبد الهادي أبو ريدة ، مطبعة دار الكتب ، القاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٢١ — اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، النجف ، ١٣٥٨ هـ .
- ١٢٢ — اوتوبريتزل : مذهب الجوهر الفرد عند المتكلمين الاولين في الاسلام ، بحث في مسألة العلاقة بين علم الكلام الاول وبين الفلسفة اليونانية نشر بمجلة الاسلام الالمانية ، المجلد التاسع عشر ١٩٣١ م وترجمه الى

العربية الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة ضمن كتاب مذهب الذرة عند المسلمين لبينيس .

١٢٣ — اوليرى : علوم اليونان وسبل انتقالها الى العرب ، ترجمة الدكتور وهيب كامل ، ومراجعة زكى على ، النهضة المصرية ١٩٦٢ م .

١٢٤ — بكر : تراث الاوائل فى الشرق والغرب ، ضمن مجموعة مقالات ترجمها ، وعلق عليها الدكتور عبد الرحمن بدوى ، جمعها تحت عنوان التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٤٠م .
١٢٥ — بينيس : مذهب الذرة عند المسلمين ، وعلاقته بمذهب اليونان والهنود ومعه فلسفة محمد بن زكريا الرازى ترجمة الدكتور محمد عبد الهادي ابو ريدة ، النهضة المصرية القاهرة ١٣٦٥ هـ — ١٩٤٦ م .

١٢٦ — الدكتور توفيق الطويل : قصة الصراع بين الدين والفلسفة مكتبة الاداب القاهرة ، بدون تاريخ .

١٢٧ — الدكتور جلال موسى : منهج البحث العلمى عند العرب ، فى مجال العلوم الطبيعية والكونية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت الطبعة الاولى ، ١٩٧٣ م .

١٢٨ — الدكتور جلال موسى : نشأة الاشعرية وتطورها ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧ م .

١٢٩ — جواد على : تاريخ العرب قبل الاسلام ، بغداد ، ١٩٢٥ م .

١٣٠ — جولد زيهر : العقيدة والشريعة فى الاسلام ، ترجمة ، محمد يوسف موسى وآخرون ، القاهرة ، ١٩٥٩ م .

١٣١ — حامد عبد القادر : زرادشت الحكيم ، نبى قدامى الايرانيين حياته وفلسفته ، مكتبة نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

١٣٢ — حسام الالوسى : نشأة الفكر الاسلامى فى بواكيره (الكلامية) ، متالة بمجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد السادس ، العدد الثانى ١٩٧٥م .

١٣٣ — الدكتور حسن حنفى : دراسات اسلامية ، دار التنوير للطباعة والنشر ، بيروت ، الطبعة العربية الاولى ، ١٩٨٢ م .

١٣٤ — حنا الفاخورى ، و خليل الجر : تاريخ الفلسفة العربية ، دار المعارف بيروت ، ١٩٥٧ م .

- ١٣٥ — دى بور : تاريخ الفلسفة فى الاسلام ، ترجمه الى العربية الدكتور محمد عبد الهادى ابو ريده مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٨ م .
- ١٣٦ — رحمه الله الهندى : اظهار الحق ، الترجمة العربية ، طبعة مصر ١٣١٧ هـ .
- ١٣٧ — زهدى جبار الله : المعتزلة ، القاهرة ، ١٩٤٧م — ١٣٦٦ هـ .
- ١٣٨ — الزواوى : مناقب الامام مالك ، طبعة القاهرة ، ١٣٢٥ هـ .
- ٣٣٩ — طاهر كبرى زاده : مفتاح السعادة ، ومصباح السيادة ، فى موضوعات العلوم ، بتحقيق كامل بكري وعبد الوهاب ابو النور ، مطبعة الاستقلال الكبرى ، دار الكتب الحديثة .
- ١٤٠ — الدكتور عبد الرحمن بدوى : فى تاريخ الالحاد فى الاسلام دراسات ألف بعضها ، وترجم بعضها ، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، ١٩٤٥ م .
- ١٤١ — الدكتور عبد الرحمن بدوى : مذاهب الاسلاميين ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م .
- ١٤٢ — الدكتور عبد الرحمن بدوى : ربيع الفكر اليونانى ، النهضة المصرية القاهرة ، الطبعة الثالثة . ١٩٥٨ م .
- ١٤٣ — عبد العزيز عبد الحق : مقدمة تحقيقه لكتاب الرد الجليل لالهية المسيح بصريح الانجيل ، مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ، ١٣٩٣ هـ
- ١٤٤ — الدكتور على سامى النشار : نشأة التفكير الفلسفى فى الاسلام دار المعارف بالاسكندرية ، الطبعة الرابعة ، ١٩٦٦ م .
- ١٤٥ — الدكتور على سامى النشار وآخرون : ديموقريطس ، فيلسوف الذرة ، واثره فى الفكر الاسلامى حتى عصورنا الحديثة ، الهيئة العامة للكتاب ، الاسكندرية ، الطبعة الاولى ، بدون تاريخ .
- ١٤٦ — الدكتور على عبد الواحد وافي : الاسفار المقدسة ، دار نهضة مصر ، القاهرة ، ١٩٧١ م .
- ١٤٧ — فخر الدين الرازى : التفسير الكبير ، القاهرة ، الطبعة الاولى ١٣٠٨ هـ .
- ١٤٨ — الدكتور فؤاد حنين محمود : مقالات فى اصالة الفكر المسلم دار الفكر العربى ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٧٦ م .

- ١٤٩ — الدكتور فوقيه حسين محمود : مدخل إلى الفكر الاسلامي ، طبعة بالافست ١٩٨٢ م .
- ١٥٠ — لويس جاردي : فلسفة الفكر الديني بين الاسلام والمسيحية ترجمه الى العربية ، الشيخ الدكتور صبحي الصالحى والاب الدكتور فريد جبر ، دار العلم للملايين بيروت ، الطبعة الاولى ، ١٩٦٧ م .
- ١٥١ — الدكتور ماجد فخري : تاريخ الفلسفة الاسلامية ، الترجمة العربية للدكتور جمال اليازجي ، ائدار المتحدة للنشر ، بيروت ١٩٧٤ م .
- ١٥٢ — محمد اسماعيل ابراهيم : معجم الالفاظ والاعلام القرآنية ، دار الفكر العربى ، القاهرة ، ١٩٦٨ م .
- ١٥٣ — الدكتور محمد صالح : عمرو بن عبيد وآراؤه الكلامية نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٥ م .
- ١٥٤ — الدكتور محمد صالح : خلق العالم عند المعتزلة . رسالة دكتوراه لم تنشر ، تحت اشراف الاستاذ الدكتور ابو الوفا الغنيمى التفتازانى
- ١٥٥ — الدكتور محمد عاطف العراقى : النزعة العقلية فى فلسفة ابن رشد ، دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٠ م .
- ١٥٦ — الامام محمد عبده . رسالة التوحيد ، دار النصر للطباعة القاهرة ١٩٦٩ م .
- ١٥٧ — الدكتور محمد على ابو ريان : تاريخ الفكر الفلسفى « الفلسفة اليونانية » دار الجامعات المصرية : الاسكندرية ، الطبعة الخامسة ١٩٧٤ م .
- ١٥٨ — الدكتور محمد على ابو ريان : تصنيف العلوم بين الفارابى وابن خلدون ، مقال بمجلة عالم الفكر ، الكويت ، المجلد التاسع العدد الاول ١٩٧٨ م .
- ١٥٩ — دكتور محمد يوسف موسى : القرآن والفلسفة ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الرابعة ، ١٩٥٨ م .
- ١٦٠ — دكتور محمود على حمادة : ابن حزم ومنهجه فى دراسة الاديان — دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الاولى ، ١٩٨٢ م .
- ١٦١ — الشيخ مصطفى عبد الرازق : تهديد لتاريخ الفلسفة الاسلامية لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٥٩ م .
- ١٦٢ — مصطفى صادق الرافعى : اعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، القاهرة بدون تاريخ .

١٦٢ — الدكتور يحيى هويدى : دراسات فى علم الكلام والفلسفة
الاسلامية انقاهرة ، ١٩٧٢ م .

١٦٤ — يوسف كرم : تاريخ الفلسفة اليونانية ، لجنة المؤلف والنزجفة
النشر ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٤٦ م .

ثانياً — المراجع الافرنجية :

165 — Burent : Greek Philosophy From Thales to Plato
London 1943.

166 — Encyclopedia Britannica, Vol. 5,

167 — Macdonald (D.) : Development of Muslim theology,
Juris Prudence and Consitutional theory. theory, London, 1927.

168 — Watt : Free will and Predestintion in Early Islam,
London. 1948.

169 — Weber : History of philosophy, New York, 1928



الفهرس

الصفحة

٩ — ٣ مة

الفصل الاول : مدخل عام لبيان اصالة علم الكلام ٥٨ — ١١

— تمهيد ١٥ — ١٤

— تعريف علم الكلام وتسمياته ١٧ — ١٤

— الموقف من علم الكلام ٤٤ — ١٧

— نزلة علم الكلام من العلوم الشرعية ٥٨ — ٤٥

الفصل الثاني : المصادر الاسلامية لبادث علم الكلام ٩٦ — ٥٩

— تمهيد — ٦١

— موضوعات علم الكلام ٧٠ — ٦١

— المصادر الاسلامية لبادث علم الكلام ٩٦ — ٧١

اولا : القرآن الكريم :

(ا) اثر الآيات المتشابهات فى نشأة علم الكلام ٧٦ — ٧٣

(ب) احتواء القرآن الكريم على ذكر العقائد المخالفة

والرد عليها ٧٨ — ٧٦

(ج) منزلة العقل فى القرآن الكريم ٨٥ — ٧٨

(د) موضوعات علم الكلام واشارة القرآن اليها ٩٦ — ٨٥

— الاستدلال على وجود الله تعالى ٨٨ — ٨٦

— ذات الله تعالى ٩٥ — ٨٨

— اشارة القرآن الى الانسان ٩٦ — ٩٥

ثانيا : النبوة :

(ا) اثبات النفس لله تعالى ٩٩ — ٩٦

(ب) ذكر الوجه لله تعالى ١٠٠ — ٩٩

(ج) ذكر العين لله تعالى ١٠١ — ١٠٠

الصفحة

- (د) السمع والبصر لله تعالى ١٠١ —
 (هـ) ذكر اليد لله تعالى ١٠٢ — ١٠٣
 (و) ذكر الرجل والقدم لله تعالى ١٠٣ — ١٠٤
 (ز) أحاديث الرؤيا ١٠٤ — ١٠٥

ثالثا : مشكلات صدر الاسلام واثرها فى نشأة علم الكلام ١٠٦ — ١٠٨

الفصل الثالث : المصادر الاجنبية واثرها فى تطور علم الكلام ١٠٩ — ٢٦٦

— تمهيد ١١١ — ١١٢

أولا : أثر الديانات السماوية فى تطور علم الكلام . ١١٢ — ١٤٢

١ — أثر اليهودية فى تطور علم الكلام ١١٣ — ١١٨

٢ — أثر المسيحية فى تطور علم الكلام ١١٨ — ١٤٢

ثانيا : أثر الديانات والملل والاهواء والنحل فى تطور علم الكلام ١٤٢ — ٢٢٣

(ا) أثر الديانات الفارسية فى تطور علم الكلام ١٤٢ — ١٥٦

(ب) أثر الصابئة فى تطور علم الكلام ١٥٦ — ١٦١

(ج) أثر الديانات الهندية فى تطور علم الكلام ١٦١ — ١٦٦

١ — علم الكلام والبراهمة ١٦١ — ١٦٤

٢ — علم الكلام والسمنية ١٦٤ — ١٦٦

ثالثا : أثر الفلسفة اليونانية فى تطور علم الكلام . ١٦٦ — ١٩١

المراجع ١٩٢ — ٢٠٥

الفهرس ٢٠٦ — ٢٠٨

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٧٨٠١

دار التوثيق والنشر
للطباعة والجمع الآلي
الأزهر - ميدان الوصلى - بجوار جامع الأزهر
ت ٩٢٥٣٠٤

